النحو عند غير النحويين



الأستاذ الدكتور
سعيد جاسم الزبيدي
قسم اللغة العربية - كلية العلوم والآداب جامعة نزوى

كنوز المعرفة
www.darkonoz.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

النحو
عند غير النحويين

النحو
عند غير النحويين

الأستاذ الدكتور
سعيد جاسم الزبيدي
أستاذ النحو العربي/ جامعة نزوى

الطبعة الأولى
1435هـ - 2014م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2013/4/1192)

415

الزبيدي، سعيد جاسم

النحو عند غير النحويين/ سعيد جاسم الزبيدي_ عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013

(   ) ص.

ر.أ: (2013/4/1192)

الواصفات: / / قواعد اللغة// اللغة العربية/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 273 - 7

دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+
موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان
الموقع الإلكتروني: www.darkonoz.com
إيميل: dar_konoz@yahoo.com - info@darkonoz.com

تنسيق وإخراج: صفاء نمر البصار 00962 78 5288504
safanimer@yahoo.com

الإهداء

إلى الذي لم يكن نحوياً، ولكنه حبّب
النحو إليّ، وإلى جيلي:

أستاذي الشاعر الدكتور

هادي حمودي الحمداني

– رحمه الله وغفر له –

وفاءً وذكرى

سعيد جاسم الزبيدي

هذا الكتاب

لهذا الكتاب قصّة استغرقت أحداثها ثلاثين عاما ونيّفاً، منذ أشار عليّ بعنوانه أستاذي المرحوم الدكتور علي جواد الطاهر رائد منهج البحث في القرن العشرين، الذي لم أتشرف في التلمذة عليه في مقاعد الدرس، ولكنّي حظيت منه برعاية خاصة إذ كنت أواضب الحضور لديه بمكتبه في كلية الآداب بجامعة بغداد، وبعدئذ في منزله بعد تقاعده،ثمّ اجتمعنا في رحاب جامعة الكوفة، فأغنى هذا التواصل الممتد بيننا حياتي العلمية الجامعية تدريساً وبحثاً.

لفت نظري إلى العنوان أولا (النحو عند غير النحويين)، وذكر لي في مقدمة ما سوّغ هذا الموضوع أنه لم يبحثه أحد، واقترح أعلاماً: أبا الفرج الأصفهاني، وأبا حيان التوحيدي، وضياء الدين ابن الأثير. وحين دعت جامعة الموصل إلى عقد (ندوة أبناء الأثير العالمية) وانتدبت عضوا في اللجنة التحضيرية لها، فأنجزت (ابن الأثير والنحو)، كان هذا عام ١٩٨٢م، وانصرفت بعده إلى رسالة الدكتوراه، ومتطلبات التدريس، والترقيات العلمية، حتّى بدأت بأبي حيان التوحيدي، ولم تكن لديّ من كتبه إلا المقابسات بطبعته العراقية، ثمّ وقعت في يدي نسخة البصائر والذخائر بتحقيق إبراهيم كيلاني، فتحصّل من ذلك مسودات خلفتها ورائي عند مغادرتي العراق عام ١٩٩٦م لأسباب معروفة، وفي عملي بجامعة قطر تعرّفت إلى شخصية طيبة الأستاذ سعد المطوي، وحدثته عن الموضوع المعطّل ومدى حاجتي إلى نسخة من (البصائر والذخائر)، فكلف منْ يعمل لديه في مكتبه وكان يهمّ بالذهاب إلى المملكة العربية السعودية، فتمكن من تحقيق هذه الأمنية وكانت بتحقيق الدكتورة وداد القاضي، فقرأت الكتاب من جديد، وجردته، ولم تطل الإقامة في قطر، ولم تزل المسودات في العراق لأنّ أسرتي ممنوعة من السفر ' حتى تمكنت من اللحاق بي بعد ثلاث سنوات من الاغتراب. ولم أستكمل بحثي في أبي حيّان سنوات إقامتي في

الأردن، حتى جاءت فرصة طيبة للعمل في سلطنة عمان، ولم تسنح الفرصة لإكماله حتى عام ٢٠١٢م، وأردفته بأبي الفرج الأصفهاني وكتابه (الأغاني) الذي تفرّغت له أربعة أشهر كاملات.

ألا ترى معي – أيها القارئ الكريم- أنهّا قصة ! ولو سردت وقائعها لصلحت أن تكون مسلسلاً تلفازياً عن منهج البحث !

وددت أن أخلص من هذا كلّه إلى:

- أن طول المدة – بتفريط منّي – نضّج لدي منهج البحث، وعلّمني الاصرار على مواصلة البحث، واستكمال ما كان معطّلا.
- الانتصار على ظروف الغربة وملابساتها.
- كيف أصارع الزمن في الحصول على المصادر النادرة.
- شكر كل من مدّ يد العون لي من زملاء وأصدقاء وطلبة دراسات عليا في قطر والأردن وسلطنة عمان والعراق.
- أسرتي وكيف حافظت على أوراقي ومسوداتي وأرسلتها لي وكأنّها تُهرّب ممنوعاً!
- التنبيه على ما فاتني في الأبحاث الثلاثة من جوانب لم ينهض بها ما بين يدي من مصادر ومراجع.

أعدت ترتيب الأبحاث على وفق وفيات الاعلام الثلاثة، لأوفّر على القارىء، والمتخصص، متابعة فكرة الكتاب.

ولا بدّ لي من تذييل يوضّح فكرة الكتاب، فقد وجدت نحواً عولجت مسائله التي عرض لها هؤلاء على غير ما ألفناه عند النحاة، وهذا أمر في غاية الأهمية لنقول إنّ الدرس النحوي نضج ولم يحترق، لنفتح الباب واسعاً لإحيائه وتيسيره،ولننطلق به إلى آفاق تخرج على دائرة العصبية الضيقة لهذا المذهب،أو ذاك.

وأدعو كل من يقرأ هذا الكتاب ولا سيما المختصون أن يقولوا كلمتهم فيه: تصحيحاً وآستدراكاً.

وقامت خطة هذا الكتاب على:

- مقدمة وثلاثة فصول:
- الفصل الأول: أبو الفرج الأصفهاني والنحو.
- الفصل الثاني: أبو حيان التوحيدي والنحو.
- الفصل الثالث: آبن الأثير والنحو.

وضمّ كل فصل مقدمة وعدة مباحث وخاتمة ونتائج بحث.

وقد لا تكفي كلمة شكر:

- لأسرتي أولاً.
- لزملائي في العراق واليمن وقطر والأردن وسلطنة عمان ومصر والسعودية.
- لطلبتي جميعاً ولا سيما طلبة الدراسات العليا.
- لجامعة نزوى التي هيأت لي الظروف المناسبة
- لدار كنوز المعرفة العلمية في الأردن لإخراجها هذا الكتاب بهذه الحُلَّة الجميلة.

ـ وقل ربّ زدني علماً ـ

أ.د. سعيد جاسم الزبيدي

جامعة نزوى

١٣ /٢٠١٢/١١ م

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

الفصل الثالث

المقدمة

هذا بحث أستكمل فيه كتابي الموسوم (النحو عند غير النحويين)؛ الذي قطعت فيه ربع قرن من عمري منذ كان فكرة ألقاها إليّ أستاذي طيّب الذكر الدكتور/ علي جواد الطاهر، حين أشار عليّ بهذا العنوان، ومن ينهض به من الأعلام، فأنجزت أولا (ضياء الدين بن الأثير والنحو)، ثمّ أردفته ثانيا (أبو حيان التوحيدي والنحو)، وأتبعته ثالثا (أبو الفرج الأصفهاني والنحو)، وبدا لي أن أعيد ترتيبهم على وفق سنوات وفياتهم؛ لأرسم صورة النحو عندهم بإطار زمانهم، ومشاكلة تطوّر البحث النحوي فيه، فنظرت في كتاب (الأغاني)؛ مختارا ما تيسر عندي طبعة حققها إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، ولن أعرض هنا ترجمة أبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) فقد تجردت دراسات له، ولكتابه الذي يعد من أوسع كتب الأدب العربي، وأعظمها شهرة وأكثرها تداولا على مر العصور[١]، فقد جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم، وأنسابهم، وأيامهم، ودولهم... ولعمري إنّه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم... ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب، ويقف عندها [٢]، وتنوعت الدراسات التي دارت عليه، ومنها:

- رنّات المثالث والمثاني في روايات الأغاني، الأب أنطون صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، سنة ١٨٨٨ – ١٩٠٨م.
- دراسة الأغاني، شفيق جبري، مطبعة الجامعة السورية – دمشق، سنة ١٩٥١م [٣].
- أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، محمد عبد الجواد الأصمعي، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٥٦م.
- صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية، محمد أحمد خلف الله، دار الكتاب العربي.

١- محمد علي دقة، ومحمد شفيق البيطار، وشوقي المعري: المكتبة العربية، مطبعة الداوودي – دمشق، منشورات جامعة دمشق، (د.ط)، سنة ١٩٩٨-١٩٩٩م، ص: ٨٠.

٢- ابن خلدون: *المقدمة*، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة،ط١، سنة ٢٠٠٤م، ص: ٧١٠.

٣- ينظر شفيق جبري: *أبو الفرج الأصفهاني*، سلسلة نوابغ الفكر العربي (١٠)، دار المعارف، القاهرة، ط٣، سنة ١٩٧٥م، ويبدو أنّ هذا الكتاب ملخص لتلك الدراسة.

- حلّ رموز كتاب الأغاني للمصطلحات الموسيقية العربية، الحاج هاشم محمد الرجب، مطبعة العاني – بغداد، ط١، سنة ١٩٦٧م.
- شرح الأصفهاني في كتاب الأغاني، جمع وتصنيف طلال سالم الحديثي، وكريم علكم الكعبي، دار التضامن– بغداد، سنة ١٩٦٧م.
- شخصيات كتاب الأغاني، داود سلوم، ونوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي– بغداد، سنة ١٩٨٢م.
- دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه، داود سلوم، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية– بيروت، سنة ١٩٨٥م.
- السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، وليد الأعظمي، دار الوفاء، المنصورة– مصر، ط٣، سنة ١٩٩٢م.
- النقد الأدبي في كتاب الأغاني، وليد محمود خالص، دار أسامة– عمّان، ط١، سنة ٢٠٠٠م.
- الأصفهاني المؤرخ الأدبي، حازم الحلي، مطبعة أكرم روتردام– هولندا، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

وجاءت هذه الدراسة التي لم يسبق أحد إليها في حدود اطلاعي المتواضع على الوجه الآتي:

- مقدمة، ووقفة على روايات أبي الفرج في نشأة النحو وواضعه، وأبوابه، ومذاهبه.
- المبحث الأول: الاسم وما يتعلق به.
- المبحث الثاني: الفعل وما يتعلق به.
- المبحث الثالث: الحرف وما يتعلق به.
- المبحث الرابع: مسائل متفرق.
- الخاتمة

والله الموفق للصواب،،،

سعيد جاسم الزبيدي

أستاذ النحو العربي بجامعة نزوى

٢٠١٢/٩/٢٥م

الفصل الأول

أبو الفرج الأصفهاني والنحو

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاسم وما يتعلق به.

المبحث الثاني: الفعل وما يتعلق به.

المبحث الثالث: الحرف وما يتعلق به.

المبحث الرابع: مسائل متفرقة.

المبحث الأول: الاسم وما يتعلق به

في نشأة النحو:

قبل أن ندخل في صميم المباحث النحوية وقف أبو الفرج على مسألة تاريخية – وهو المؤرخ الثبت– في نشأة علم النحو فقال:

"أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل، وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي: أنّ أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته في البصرة فقالت له: يا أبتِ ما أشدُّ الحر (رفعت أشد) فظنها تسأله، وتستفهم منه: أيُّ زمان الحر أشدّ ؟ فقال لها: شهر ناجر (يريد شهر صفر، الجاهلية كانت تسمّي السنة بهذه الأسماء) فقالت: يا أبتِ، إنما أخبرتك، ولم أسألك، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب لمّا خالطت العجم، وأوشك إن تطاول الزمان أن تضمحل، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى مصحفا، وأملّ عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا القول أول كتاب سيبويه، ثمّ رسم أصول النحو كلها، فنقلها النحويون وفرّعوها، قال أبو الفرج: هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي، واللفظ يزيد وينقص"[1]

ثمّ أضاف:

"أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني،

١- *كتاب الأغاني*، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر – بيروت، سنة ٢٠٠٠م، ١٢/ ٢١٥-٢١٦.

قال: أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف، فنقطها، ورسم من النحو رسوما، ثمّ جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثمّ زاد بعده عنبسة بن معدان النحوي، ثمّ جاء الخليل بن أحمد الأزدي صليبة فلحب الطريق، ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوما وهم الآن يعملون عليها.[1]

ثمّ أضاف:

قيل لأبي الأسود: فأين لك هذا العلم؟ يعنون به النحو، فقال: أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

قال أبو حرب: أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب[3].

تعليق:

يتضح من النصوص التي أوردها أبو الفرج جملة أمور:

- عنايته بسند ما يروي "فهو يورد أخباره مسندة"[4]، وتتجلى فيها أمانته في النقل، وتمحيصه الأخبار بين يديه[5].
- هذه إحدى الروايات التي تداولتها كتب التراجم في نشأة علم النحو، على اختلاف في التفاصيل[6].

١- نفسه: ١٢/ ٢١٦.
٢- *كتاب الأغاني*: ١٢/ ٢١٦.
٣- نفسه: ١٢/ ٢١٧.
٤- الطاهر أحمد مكي: *دراسة في مصادر الأدب*، دار المعارف، القاهرة،ط٥، سنة ١٩٨٠م، ص: ٢٠١.
٥- وليد محمود خالص: *النقد الأدبي في كتاب الأغاني*، دار أسامة-عمّان|،ط١،سنة ٢٠٠٠م،١/ ١٢.
٦- ينظر:
- محمد بن سلاّم الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق:محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة، د.ط، تاريخ المقدمة ١٩٨٠م، السفر الأول، ص: ١٢-١٣.
- وابن النديم: الفهرست، تحقيق: محمد عوني عبد الرؤوف، وإيمان السعيد جلال، الذخائر (١٤٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة — القاهرة، د.ط، سنة٢٠٠٦م، ١/ ٤٠-٤١.
- وأبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، ط٢، سنة١٩٧٣، ص: ٢١-٢٢.
- وأبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ط١، سنة ١٩٥٥م، ص:١٧.

- سلسلة الإضافات في النحو على وفق الأعلام الذين تلوا أبا الأسود الدؤلي.
- ميّز من كان عربيا صليبة ممن كان مولى، من النحاة.
- ذكره اختلاف نحاة الكوفة عن غيرهم في مسائل النحو.
- أول ما وضع من أبواب النحو.

للباحث أن يضع هذه الرواية مع روايات أخرى تختلف في واضع النحو الأول، والأبواب التي تدرج في ذكرها أعلام أسهموا مع أبي الأسود وصولا إلى الخليل الذي أقام نظرية النحو العربي[١]، وصورتها الواضحة في (الكتاب)[٢].

★ شعراء الاستشهاد:

وأشار أبو الفرج إلى مسألة تؤسس منهجا في بناء النحو العربي، هي الاستشهاد بالشعر، ورواية اللغة، فذكرهما في أكثر من موضع وهما:

آخر من يحتج بشعره:

كان الأصمعي يقول: خُتِم الشعراء بابن هرمة[٣].

=

- وأبو البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،صيدا-بيروت، ط١، سنة٢٠٠٣م، ص: ١٤-١٥.
- والشيخ محمد طنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، راجعه: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب-بيروت،د.ط، سنة ٢٠٠٥، ص: ١٣-١٨.
- وشوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط١، سنة ١٩٦٨م، ص:١٣-١٧.
- ومحمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، د.ط، سنة ١٩٩٦م، ص: ٤٣-٤٨.
- وصلاح روّاي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، دار غريب، - القاهرة، د.ط، سنة ٢٠٠٣م، ص:٣٥-٣٩.

وغير هؤلاء كثير.

١- ينظر مهدي المخزومي:
- *الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه*، دار الرائد العربي- بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٦م، ص:٣٦.
- *عبقري من البصرة*، سلسلة الكتب الحديثة(٥٣) وزارة الإعلام- بغداد، ط١، سنة ١٩٧٢م، ص:٣٥.

وينظر جعفر نايف عبابنة، *مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي*، دار الفكر-عمّان،ط١، سنة١٩٤٨م، ص:٢٨-٢٩.

٢- ينظر علي النجدي ناصف: *سيبويه إمام النحاة*، عالم الكتب- القاهرة،ط٢، سنة ١٩٧٩م، ص: ٦.
٣- *الأغاني*: ٤/ ٢٦١.

"أخبرني علي بن سليمان النحوي، قال: حدثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابي أنه كان يقول: خُتِم الشعراء بابن هرمة"[1].

تعليق:

والشاعر ابن هرمة هو: "إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة"[2] "ولد سنة تسعين...ثمّ عُمّر بعدها طويلا"[3]، وتوفي في النصف الثاني للهجرة، سنة ١٧٦هـ[4]

وقد اختلف الأصمعي في آخر من يحتج بشعره، إذ ينقل أبو الفرج: "كان الأصمعي يقول: بشار خاتمة الشعراء"[5]، وأنّ أبا عمرو بن العلاء كان يقول: خُتِم الشعر بذي الرمة"[6].

"وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء"[7]، وقد انعكس هذا الخلاف في مناهج الدراسة النحوية، وصار سمة بارزة!

والثاني: في أخبار عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى قال: "شاعر مقدّم فصيح، وكان يسكن بادية البصرة... وكان النحويون يأخذون عنه اللغة"[8]، ويسوق خبرا يعزز ما تقدم قال: "أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: سمعت محمد بن يزيد(يعني المبرد) يقول: خُتِمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل"[9].

وقال: "سمعت سَلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول: كان جدي أبو عمرو يقول: خُتِم الشعر بذي الرمة، ولو رأى جدي عمارة بن عقيل لعَلِمَ

١- نفسه:٤/ ٢٧٦.
٢- نفسه: ٤/ ٢٥٧.
٣- نفسه:٤/ ٢٧٦.
٤- ينظر <u>شعر *ابن هرمة القرشي*</u>، تحقيق:محمد نفّاع، وحسين عطوان، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق،د.ط، سنة١٩٦٩ (المقدمة).
٥- *<u>الأغاني</u>*:٣/ ٩٩.
٦- نفسه: ٢٤/ ١٣٧.
٧- نفسه:١٠/ ٧٤.
٨- نفسه:٢٤/ ١٣٧.
٩- نفسه:٢٤/ ١٣٧.

أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرمة. قال العنزي: ولعمري لقد صدق... وما وجدوا لعمارة سقطة واحدة في شعره"[1].

تعليق:

لعل الخبر الذي نقله أبو الفرج نفسه يناقض ما ذكره هنا إذ قال: "وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة...فرده عليه أبو حاتم السجستاني وهو يتغيظ"[2]. فبهذا وغيره حاجة إلى تدقيق ونظر!

أقسام الكلام:

"وأملّ عليه (أي علي بن أبي طالب على أبي الأسود الدؤلي): الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا القول أول كتاب سيبويه"[3].

تعليق:

جاء في كتاب سيبويه: "هذا باب علم ما الكلم من العربية، فالكلم:اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى"[4].

وتواترت الروايات بأنّ أول من وضع النحو علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- وقال لأبي الأسود الدؤلي: " انحُ هذا النحو"[5]

وكلام أبي الفرج دقيق وواضح.

١- نفسه:٢٤/ ١٣٧.
٢- نفسه: ٢٤/ ١٤٤.
٣- *الأغاني*:١٢/ ٢١٦.
٤- *الكتاب*(طبعة هارون) ١/ ١٢.
٥- ينظر من القدماء:
- الزجاجي: *الإيضاح في علل النحو*، تحقيق:مازن المبارك، دار النفائس- بيروت،ط٥، سنة١٩٨٦م، ص:٨٩.
- أبو الطيب اللغوي: *مراتب النحويين*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، سنة ١٩٥٤م، ص:٥.
- أبو البركات الأنباري: *نزهة الألباء*، ص:١٤.
وينظر من المعاصرين:
- طنطاوي: *نشأة النحو*، ص:.٤
- خديجة الحديثي: *المدارس النحوية*، دار الأمل، إربد – الأردن، ط٣، سنة ٢٠٠٢م، ص:٣٩، وغيرهما كثير.

تعريف الاسم:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدقال: حدثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: كان وضّاح اليمن والمقنع الكندي وأبو زبيد الطائي يردون مواسم العرب مقنعين يسترون وجوههم خوفا من العين، وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم. قال خالد بن كلثوم: فحدثت بهذا الحديث مرة وأبو عبيدة معمر بن المثنى حاضر ذلك، وكان يزعم أنّ وضاحا كان من الأبناء، فقال أبو عبيدة: داذ اسم فارسي، فقلت له: عبد كلال اسم يماني، وأبو جمد كنية يمانية، والعجم لا تكتني، وفي اليمن جماعة تسموا بأبرهة، وهو اسم حبشي، فينبغي أن تنسبهم إلى الحبشة. وأي شيء يكون إذا سمّي عربي باسم فارسي! وليس كل من كني أبا بكر هو الصديق، ولا من سمّي عمرا (كذا) هو الفاروق، وإنّما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسبا ولاتدفعه. قال: فوجم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب[1].

تعليق:

نقلت هذا الخبر الذي ساقه أبو الفرج على طوله لأضع بين يدي المتلقي هذه المقولة التي تنطوي على ما يأتي:

أولا: الاسم علامة.

ثانيا: الاسم دلالة.

قال ابن فارس: قال قوم: الاسماء سمات دالة على المسمّيات، ليُعرف بها خطاب المخاطِب، وهذا الكلام محتمل وجهين:

أحدهما أن يكون الاسم سمة كالعلامة والسيماء.

والآخر أن يقال: إنّه مشتق من (السمة) [٢].

وقد ذكر النحاة للاسم تعريفات تنيف على سبعين تعريفا[٣].

١- *الأغاني*: ٦/ ١٤٩.

٢- ابن فارس: *الصاحبي*، ص:٩٩.

٣- ينظر أبو البركات الأنباري: *أسرار العربية*، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، تاريخ المقدمة١٩٥٧م، ص:٩-١٠.

وفي هذه المقولة كلمة (علامات) متأثرة برأي الكوفيين الذين يرون أن كلمة (اسم) مأخوذة من (السمة) أي العلامة[١].

وفيها كلمة (دلالات) أي أنّ الاسم "ما دل على معنى مفرد"[٢] على اختلاف في الألفاظ عند الآخرين[٣].

يتبنى أبو الفرج هذا التعريف الذي أثار مصطلح (العلامة) الذي أشاعه السيميائيون الآن نقلا عن (دوسوسير) فكان أكثر شمولا، إذ يتجاوز (الاسم) بعلاقة مرجعية[٤].

الاسم والكنية واللقب:

إنّ كتاب الأغاني "سجل ضخم لتراجم أعلام الشعراء"[٥] فقد بنى مادته على مئة صوت[٦]، فعُني باسم مَنْ ترجم له، وكنيته، ولقبه، وما يتعلق بذلك توثيقا وضبطا، فصار نهجا لمؤرخي الأدب بعامة.

ومن ذلك:

الاسم:

ذكر أبو الفرج أسماء الشعراء في "سائر المئة صوت المختار فإنّها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين"[٧] وبدأ بأبي قطيفة: "هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي

١- ينظر أبو البركات الأنباري: *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، سنة ٢٠١٢م، المسألة الأولى، ١/ ٨.
٢- أبو بكر بن السراج: *الأصول في النحو*، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٨م، ١/ ٣٦.
٣- ينظر نعمان بن محمد الرحبي، *الاسم عند القدامى*، بحث تخرج في دراسة الماجستير، قسم اللغة العربية، بكلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، سنة ٢٠١١م، غير منشور، ص:٧-٢٩.
٤- ينظر صلاح فضل: *في النقد الأدبي*، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سنة ٢٠٠٧م، الفصل السادس، ص:٦٩.
٥- الطاهر أحمد مكي: *دراسة في مصادر الأدب*، دار المعارف، القاهرة، ط٥، سنة ١٩٨٠م، ص:١٩٩.
٦- ينظر داود سلوم، ونوري القيسي: *شخصيات كتاب الأغاني*، مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢م.
٧- *الأغاني*: ١/ ٢٥.

معيط، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. هذا الذي عليه النسابون[1].

وانتهى بالمتلمس وخبره فقال: "واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبدالله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلّي بن أحمس بن ضُبيعة بن ربيعة بن نزار[2].

تعليق:

يوثق أبو الفرج أسماء الأعلام من الشعراء والمغنين ومن يرد غيرهم في أسماء الأخبار التي يسوقها من:

- النسابين، على ما مر.
- كتب الأنساب، مثل: كتاب المثالب للهيثم بن عدي.
- رواة الأخبار الذين نقل عنهم.

فمصادره متعددة، وهو لا ينقل إلا عن تثبت وتدقيق، وقد يذكر أكثر من رواية في الأسماء إن لم يقطع بأوثقها وما صح لديه.

الكنية:

يعرفها النحاة "ما كان في أوله أب أو أم كأبي عبد الله وأم الخير"[3].

قال: "أبو خبيب: عبد الله بن الزبير، كان يكنى أبا بكر، وخبيب ابن له هو أكبر ولده، ولم يكن يكنيه به إلا من ذمّه. يجعله كاللقب له[4].

تعليق:

يوسّع أبو الفرج من دلالة الكنية لتكون ذمّا[5]

١- نفسه: ١/ ٣١.
٢- نفسه: ٢٤/ ١٤٦.
٣- *شرح ابن عقيل*: تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٤م، ١/ ١١٤.
٤- *الأغاني*: ١/ ٣٣.
٥- ينظر *الأغاني*: ٥/ ٢٣٧، "وكان يكنى أبا القنافذ".

وقد تكون الكنية عنده كناية أي رمزا:

"يــا للرجــال لوجــدك المتجــدد ولمــا تؤمــل مــن عقيلــة في غــد

"أنّ عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين -عليهما السلام- كنّى عنهـا بعقيلـة"[1]. وغير هذا[2].

وقد تكون سخرية:

"قال أبو من؟ قال: أبو قيس، قال: لا... كنيناك بكنية قرد"[3].

والكنية لديه خاصة بالعرب دون غيرهم من الأمم قال: "وأبو جَمَد كنية يمانية، والعجم لا تكتني"[4]

وربما كان للشخص أكثر من كنية.قال: "كان لعبد الله بن الـصمة ثلاثـة أسمـاء وثلاث كنى:عبدالله ومعبد وخالد،ويكنى أبا ذفافة، وأبا فرعان، وأبا أوفى"[5]، وتكرر هذا في مكان آخر[6].

وللكنية آداب فلا يتكنى بحضرة الخليفة قال: "اجتمـع مـروان بـن أبـي حفـصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي، فابتدأ مروان ينشد... فقال اليزيدي، لحن والله وأنـا أبو محمد،... فقال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أيتكنى في مجلسك؟"[7].

وقد يذكر سبب الكنية قال: "وكُنّي أبا دلامة باسم جبل بمكة"[8].

وتكون الكنية تشريفا:

قال: "أنا يا سيدي أبا المهنا، أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة منك"[9].

١- نفسه:٤/ ١٨٢-١٨٤.
٢- ينظر مثله: ١٠/ ١٣١-١٣٢، ١٢/ ١٣٨.
٣- *الأغاني*:٤/ ٢٨٦.
٤- نفسه:٦/ ١٤٩.
٥- الأغاني: ١٠/ ١٠.
٦- ينظر نفسه:١٠/ ٢٨.
٧- نفسه: ١٠/ ٦٦-٦٧.
٨- نفسه:١٠/ ١٩٠.
٩- نفسه:١٤/ ١٣٦.

وقد تتغير الكنية، قال: "ولمّا ولدت أمّ هاشم خالد بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها، واكتنت بخالد"[1].

والكنى عند أبي الفرج مصاحبة للأسماء، فبعددها ترد وهذا ينتظم (الأغاني) جميعه.

تعليق:

لم تكن مهمة أبي الفرج في الأغاني منحصرة في الرواية والتاريخ والأدب والنقد، وهي واضحة جلية فحسب؛ بل تولى بيان قدرته اللغوية ومعرفته الوطيدة بمسائل اللغة، ومنها أنه حين يوثق علما، أو يترجم له، يُعنى باسمه ونسبه وكنيته ولقبه، وما اختلف فيه، وما صح لديه، وما ترمي إليه من دلالات.

فالكنية والكناية بمعنى واحد؛ لأنهما من جذر لغوي واحد، فيذكر الشيء بغير اسمه تحسينا للفظ، وإكراما للمذكور، والكنى مما كان للعرب خصوصا، ثمّ تشبه غيرهم بهم في ذلك[2].

ومراتب الألقاب: مدحا، أو ذما، أو لا يعلق عليها بمدح أو ذم.

وأفرد أحد الفضلاء كتابا عنوانه:

(الكنى والألقاب) للشيخ عباس القمي، منشورات مكتبة الصدر، طهران، ط٥، سنة ١٣٥٩هـ، وجاء بثلاثة أجزاء ضمّ ثلاثة أبواب هي:

الباب الأول: فيما صُدّر بأب.

الباب الثاني: فيما صُدّر بابن.

الباب الثالث: في المعروفين بالألقاب والأنساب.

اللقب:

عرفه ابن فارس: "ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب... وذلك في العرب على

١- نفسه:١٧/ ٢٤٦.

٢- *الصاحبي*: ص:١٠٨، وينظر *شرح ابن عقيل*:١/ ١١٤.

ثلاثة أضرب: ضرب مدح، وضرب ذم، وضرب تلقّب الإنسان لفعل يفعله"[1].

* **يذكر أبو الفرج ما كان اللقب مدحا، يقول:**

"الغريض لقب لقب به؛ لأنه كان طري الوجه، نضرا غضّ الشباب، حسن المنظر فلقب بذلك. والغريض: الطري من كل شيء. وقال ابن الكلبي: شبه بالإغريض وهو الجمّار... وثقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه"[2].

وقال: "وإنّما سمي النابغة لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ثمّ نبغ فقاله"[3].

وقال: "إنّما لقب عبيدالله بن قيس الرقيات؛ لأنه شبب بثلاث نسوة سمّين جميعا رقية"[4].

وقال: "قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين، أو سمعت به، ثمّ أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه، ولم تسمع به"[5].

وقال: "وضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه"[6].

وقال: "وكان يلقب مورّقا، سمّي بذلك لحسن وجهه، وحسن شعره، وحلاوة حديثه"[7].

وقال: "وكان يلقب بالقُس لعبادته"[8].

وقال: "وذكر أهل الرواية أنه إنّما لقب النابغة لقوله: فقد نبغت لهم منا شؤون"[9].

وقال: "الأقيشر لقب غلب عليه؛ لأنه كان أحمر الوجه أقشر"[10].

١- *الصاحبي*: ص:١٠٨، وينظر *شرح ابن عقيل*:١/ ١١٤.
٢- *الأغاني*: ٢/ ٢٣٥.
٣- نفسه:٥/ ٦.
٤- نفسه:٥/ ٤٨.
٥- نفسه:٦/ ٥٥.
٦- نفسه:٦/ ١٤٨.
٧- نفسه:٨/ ١١٣.
٨- نفسه:٨/ ٢٤٠.
٩- نفسه: ١١/ ٥.
١٠- نفسه: ١١/ ١٦٩.

وقال: "وقيل إنه كان يلقب الطّراح لقوله:..."[1].

وقال: "وسمّي جد منصور (مطعم الكبش الرخم)؛ لأنه أطعم أناسا نزلوا به، ونحر لهم، ثمّ رفع رأسه فإذا رُخَم... حول أضيافه، فأمر بأن يذبح لهم كبش، ويرمى به بين أيديهم، ففُعِل ذلك...فسمّي مطعم الكبش الرخم"[2].

وقال: "وكان يقال لأبيه (ربيع المقترين) لجوده وسخائه"[3].

وقال: "فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل: الموصلة بنت الموصلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال"[4].

وقال: "حدثنا محمد بن النضر، قال: كانت فوز جارية لمحمد بن منصور، وكان يلقب فتى العسكر"[5].

وقال: "المقنع لقب غلب عليه؛ لأنه كان أجمل الناس وجها"[6].

وقال: "وإنّما سمّي زيد الخيل لكثرة خيله"[7].

وقال: "عمارة بن الوليد...وهو أحد أزواد الركب، ويقال له: الوحيد، وكان أزواد الركب لا يمر عليهم أحد إلا قروه، وأحسنوا ضيافته، وزودوه ما يحتاج إليه لسفره"[8].

وقال: "ولُقّب جدّه مفرّغا؛ لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كلّه فشربه كلّه حتى فرّغه، فلُقّب مفرّغا"[9].

وقال: "وسمّي يعمر بالشدّاخ؛لأنه تحمّل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة، وقال: قد شدخت هذه الدماء تحت قدمي؛ فسمّي الشدّاخ"[10].

١- نفسه:١٢/ ٢٥.
٢- نفسه:١٣/ ٩٧.
٣- نفسه:١٥/ ٢٤٦.
٤- نفسه:١٦/ ١٨٧.
٥- نفسه: ١٧/ ٥٢.
٦- الأغاني:١٧/ ٨٢.
٧- نفسه: ١٧/ ١٧٧.
٨- نفسه:١٨/ ٨٩.
٩- نفسه:١٨/ ١٨٦.
١٠- نفسه:١٨/ ٢٣٤.

وقال: "...أبو صفرة، وكان يلقب بذلك لأنه كان يصفّر لحيته، فدخل على عمر مع ابن الجلندى ولحيته مخضوبة مصفّره"[1].

وقال: "وتأبط شرا لقب لقّب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه...فإذا هو الغول"[2].

وقال: " وكان أبو عمرو بن العلاء يسمّيه الكيّس لحسن شعره"[3].

وقال: " وكان يقال لأبيه: مُنهب الوَرِق. وقيل: جدّه المسمّى بذلك؛لأنه كسب مالا فعجب أهل المدينة من كثرته، فأباحهم إياه فنهبوه "[4].

وقال: " القتّال لقب غلب عليه لتمرده وفتكه"[5].

وقال: "والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل وجودة نعته إياها"[6].

- وما كان ذمّا وما تنطوي عليه دلالته:

قال: " إنّ الحطيئة غلب عليه، ولقّب به لقصره وقربه من الأرض"[7].

وقال: "أخبار ابن عائشة ونسبه...ويلقبه من عاداه أو أراد سبّه (ابن عاهة الدار)"[8].

وقال: "لقّب بشار بالمرعث؛ لأنه كان في أذنه وهو صغير رعاث"[9].

وقال: "وإنّه لقّب بالأحوص لحوص في عينيه"[10].

وقال: " والأخطل لقب غلب عليه"[11].

١- نفسه:٢٠/ ٢٨.
٢- نفسه:٢١/ ٩٤.
٣- نفسه:٢٢/ ١٩١.
٤- نفسه:٢٤/ ١٠.
٥- الأغاني: ٢٤/ ٩١.
٦- نفسه:٢٤/ ١١٢.
٧- نفسه:٢/ ١٠١.
٨- نفسه:٢/ ١٣٢.
٩- نفسه:٣/ ٩٧.
١٠- نفسه:٤/ ١٦١.
١١- نفسه:١٨/ ٢٠١.

وقال: "وكان يقال له الملك الضليل، وقيل له أيضا ذو القروح"[1].

وقال: " ويلقب وجه القَرْعة "[2].

وقال:: سمّيت فاطمة بنت الخرشب العرجاء،ولم يكن بها عرج،إنّما هو لقب غلب عليها"[3].

وقال: "ولقّب سلم بالخاسر؛لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبورا"[4].

وقال:الفرزدق لقب غلب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تُبسط فيخبز منها الرغيف، شبّه وجهه بذلك؛ لأنه كان غليظا جهما"[5].

وقال: "وهو العكابة... كان العكابة اسم كلب للحارث بن ربيعة بن عجل فلقّب باسم كلبه"[6].

وقال: " ولقّب بصخر الغيّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شرّه"[7].

وقال: "إنّما سمّي ذا الكلب؛ لأنه كان له كلب لا يفارقه"[8].

- وقد يذكر أبو الفرج اللقب من غير أن يعلّق عليه:

قال: "طويس لقب غلب عليه"[9].

وقال: "وكان يلقب عروة الصعاليك"[10].

وقال: "وكان أبوه ميضأة المدينة فسمّي صاحب الوضوء"[11].

١- نفسه:٩/ ٥٩.
٢- نفسه:١٥/ ٢٤٢.
٣- نفسه:١٧/ ١٣٢.
٤- الأغاني: ١٩/ ١٧٨.
٥- نفسه:٢١/ ١٩٣.
٦- نفسه:٢٢/ ٢٢٨.
٧- نفسه: ٢٣/ ٥.
٨- نفسه:٢٣/ ٩.
٩- نفسه:٣/ ٢٢.
١٠- نفسه:٣/ ٥١.
١١- نفسه: ٣/ ٩٢.

وقال: "الحادرة لقب غلب عليه"[1].
وقال: "الأبجر لقب غلب عليه"[2].
وقال: " وشهوات لقب غلب عليه"[3].
وقال: " دحمان لقب لقّب به"[4].
وقال: "السيّد لقبه"[5].
وقال: "والخطفى لقب"[6].
وقال: "وله لقب يقال له عنترة الفلحاء، وذلك لتشقق شفتيه"[7].
وقال: "والشمّاخ لقب"[8].
وقال: " الفرزدق لقب غلب عليه"[9].
وقال: "ديك الجن لقب غلب عليه"[10].
وقال: "والخنساء لقب غلب عليها"[11].
وقال: "فلقب يومئذ (الحطم)"[12].
وقال:والأسلت لقب أبيه"[13].
وقال: "وذو الرمة لقب"[14].
وقال: "جبهاء لقب غلب عليه"[15].

١- نفسه: ٣/ ١٩٠.
٢- نفسه:٣/ ٢٣٨.
٣- *الأغاني*:٣/ ٢٤٣.
٤- نفسه:٦/ ١٩.
٥- نفسه:٧/ ١٧٧.
٦- نفسه:٨/ ٥.
٧- نفسه:٨/ ١٦٨.
٨- نفسه:٩/ ١١٨.
٩- نفسه:٩/ ٢٤٠.
١٠- نفسه:١٤/ ٣٣.
١١- نفسه:١٥/ ٥٤.
١٢- نفسه:١٥/ ١٧١.
١٣- نفسه:١٧/ ٨٨.
١٤- الأغاني:١٨/ ٥.
١٥- نفسه:١٨/ ٦٩.

وقال: "يلقّب صريع الغواني"[1].

وقال: "فسمّي عويف القوافي"[2].

وقال: "ويلقب بالعكوك"[3].

وقال: "مسكين لقب غلب عليه"[4].

وقال: "أبو حشيشة لقب غلب عليه"[5].

وقال: "تويت لقب"[6].

وقال: "وماني لقب غلب عليه"[7].

وقال: "القطامي لقب غلب عليه"[8].

وقال: "المتنخل لقب"[9]، وقال: "المتلمس لقب غلب عليه"[10].

النسب:

"وهــل ينبــتُ الخطــيّ إلا وشــيجه وتُغــرَس إلا في منابتهــا النخــلُ

...

والخطي: رماح نسبها إلى الخطّ وهي جزيرة بالبحرين"[11].

"مثــل الــرديني لم تنفَــدْ شــبيبتُهُ كأنّــه تحــت طــيّ البُــرْد أســوارُ

...

والرديني: الرمح منسوب إلى ردينة:امرأة كانت تقوّم الرماح"[12].

١- نفسه:١٩/ ٢٥.
٢- نفسه:١٩/ ١٣٧.
٣- نفسه: ١٩/ ٢٣٣.
٤- نفسه:٢٠/ ٦١.
٥- نفسه:٢٠/ ١٢١.
٦- نفسه:٢٣/ ٧٦.
٧- نفسه:٢٣/ ١٢٠.
٨- نفسه:٢٣/ ١٥٩.
٩- نفسه:٢٤ / ١٣.
١٠- نفسه:٢٤/ ١٤٦.
١١- الأغاني:١٠/ ١٣٦-٢٣٧.
١٢- نفسه:١٥/ ٥٨.

- حدثني اليزيدي...قال لي أبو محمد:

كنّا مع المهدي... قبل أن يستخلف...وكان الكسائي معنا، فذكر المهدي العربية...فجئت أنا فإذا الكسائي على الباب قد سبقني...فلما دخلنا عليه أقبل عليّ، وقال: كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحرانيّ، ونسبوا إلى الحِصنين فقالوا: حصنيّ، ولم يقولوا حصناني كما قالوا بحراني؟ فقلت: أصلح الله الأمير؛لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحريّ لم يعرف أإلى البحرين نسبوا أم إلى البحر؟ فلما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له: الحصن ينسب إلى غيرهما، فقالوا: حصني. قال أبو محمد: سمعت الكسائي يقول...لو سألني الأمير لأخبرته فيها بعلة هي أحسن من هذه...فقال الكسائي:لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان، فقالوا حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة، فقالوا: بحرانيّ، فقلت: أصلح الله الأمير، فكيف تنسب رجلا من بني جنّان؟ فإنّه يلزمه على قياسه أن يقول: جنّي. إنّ في جنّان نونين، فإن قال ذلك فقد سوّى بينه وبين المنسوب إلى الجن[1].

تعليق:

يذكر أبو الفرج ثلاث مسائل في النسب وما أشكل منهما ليعرّف المتلقي ذلك.

الاشتقاق:

وقف أبو الفرج على مفردات وردت في النصوص الشعرية، وعلّق على اشتقاقهاممّ أُخذت، ومن ذلك:

- يالقومي قد أرقتني الهمومُ ففؤادي مما يُجِنّ سقيمُ

...

يجنّ: يخفي، والجُنة من ذلك، والجن أيضا مأخوذ منه[2].

- وتعرّضت لك فاستبتك بواضحٍ صلتٍ كمنتص الغزال الأتلعِ

...

١- نفسه: ٢٠/ ١٣٤-١٣٥.

٢- الأغاني: ٣/ ٣٢.

وأصل الصَلَت: الماضي ومنه الناقة المصلات الماضية... يقال:انتصّ فلان أي انتصب،ومنصة العروس مأخوذة من هذا، ومنه نصّ الحديث: رفعه إلى صاحبه[١].

-تَرجو مواعد بعث آدم دونها كانت خبالا للفؤاد المقصدِ

...

والخَبَل والخَبال: النقصان من الشيء، والمخبّل أصله مأخوذ من النقص؛لأنه ناقص العقل[٢].

-فشأنكها، إنّي أمين وإنني إذا ما تحالى مثلها لا أطورها

تحالى:من الحلاوة[٣].

-وتظلّف النفس التي قد كان من حاجاتها

يقال: اظلفْ نفسك عن كذا أي: امنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه، وهو مأخوذ من ظلف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه[٤]

-والرعاث: القِرَطة واحدتها رعثة... والرعث: الاسترسال والتساقط، فكأنّ اسم القِرَطة اشتق منه[٥].

-أمن آل ميّة رائح أو مغتدي عجلان ذا زادٍ وغير مزوّدِ

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ

...

وعجلان من العجلة...وتنعاب الغراب: صياحه، يقال: نَعب الغراب ينعِب نعيبا ونعبانا، والتنعاب تَفعال من هذا[٦].

-فتى كان أحيا من فتاةٍ حييّة وأشجعَ من ليثٍ بخفّان خادرِ

...

وخادر: مقيم في مكمنه وغِيله، وهو مأخوذ من الخِدْر[٧].

١- نفسه:٣/ ١٨٨-١٨٩.

٢- نفسه: ٤/ ١٨٢.

٣- نفسه:٦/ ١٩٤.

٤- نفسه: ٩/ ٣٦.

٥- *الأغاني*: ٣/ ٩٧.

٦- نفسه: ١١/ ٨-٩.

٧- نفسه: ١١/ ١٤٠.

- أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال: حدّثني أبو هفّان قال: قال لي دعبل، قال لي أبو زيد الأنصاري: مم اشتق دعبل؟ قلت: لا أدري. قال: الدعبل الناقة التي معها ولدها[1].

تعليق:

ظهر من تعليقات أبي الفرج اللغوية على ألفاظ استوقفته في النصوص الشعرية التي يرويها أنّه لم يعنَ بالخلاف بين المذهبين: البصري والكوفي بعامة، ولا سيما في أصل الاشتقاق أهو من المصدر أم من الفعل أم من غيرهما[2]. فمرة نراه بصريا، ومرة نراه كوفيا، وثالثة غيرهما!

أرواح أم رياح؟:

والحق بمبحث الاشتقاق مسألة لغوية أوردها أبو الفرج وهي مما ليس منه، ولكنّها أقرب إليه في أصل ياء (ريح) عند جمعه أهي واو أم ياء؟ فظهر عند ذوي التحقيق أن جمع (ريح) أرواح، أما رياح فهي اسم جمع.

-لَعِبَ البلى بجديدها وتنفست عرصاتها الأرواح والأمطارُ

قال أبو علي: وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة، فقال: الأرياح فرّده عليه أبو حاتم السجستاني وهو يتغيظ[3].

"قال أبو حاتم السجستاني: هذا لا يجوز إنّما هو الأرواح فقال: لقد جذبني إليها طبعي، فقال له أبو حاتم قد اعترضه علمي، فقال: أما تسمع قولهم: رياح ؟ فقال أبو حاتم هذا خلاف ذلك قال: صدقت ورجع".

الجموع:

استرعى انتباهي وأنا أردد النظر في بحث كتبه الأستاذ المرحوم الدكتور أحمد

١- نفسه: ٢٠/ ٦١.
٢- الأنباري: *الإنصاف* ١/ ١٩٠.
٣- *الأغاني*: ٢٤/ ١٤٤، وينظر ٢٤/ ١٤١.

مختار عمر: (تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم)[1]، فتناول (٥٧) مفردا شمل كل أشكال الجموع التي تعرفها العربية: جمع التكسير بأنواعه المعروفة، القلة والكثرة، وصيغة منتهى الجموع، وجمع الجمع، واسم الجمع، واسم الجنس الجمعي، وجمعي السلامة: جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وما يلحق بهما، وتعزز هذا كله حين وقفت على صيغ الجمع عند أبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) على ما سيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا الكتاب، وما انتهيت إليه عند أبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، وما صادفني فيهما من أحكام مطّردة، وما خالف هذا الاطّراد، بالخروج على مقاييس اللغويين، وجرى على ألسنة الفصحاء، فاستقر لدي أنّ جموع التكسير لا ينتظمهما باب، ولا يطرد فيها قياس إلا في صيغ معروفة، فمنها ما يطّرد، ومنها ما لا يطرد،وهذا مقصور على السماع، وعلى ما نقله الثقات من الرواة واللغويين، وبما أن أبا الفرج يصدر في هذا عمّا ورد في الأصوات المئة، فتجلّى دوره في بيان الجمع دلالة وبيان مفرده، أو ذكر المفرد معناه وجمعه، فتحصل عندي جملة كبيرة من الجموع بأنواعها، وعرض دلالتها ومفردها لتأثيرها في سياق النص الذي يقف عليه أبو الفرج.

ورتبت هذه الجموع على الوجه الآتي:

- جموع التكسير بأوزانها (القلّة والكثرة) لكثرة ورودها.
- ومن جموع التصحيح لم يرد إلا جمع المؤنث السالم فأردفته بجمع القلة.
- ووردت صيغة واحدة لاسم الجنس الجمعي، وواحدة لجمع لم يسمع واحده، وصيغة من الجمع لم تسمع عن العرب.

وعلى وفق ورودها في أجزاء كتاب الأغاني(طبعة إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس).

١- ينظر كتاب: *دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته*، عالم الكتب،القاهرة، ط٢، سنة ٢٠٠٦م، الفصل السابع، ص: ١٩٣-٢٣٧.

صيغ الجموع الدالة على القلة

١- أفعلة.

٢- أفعال.

٣-جمع المؤنث السالم

أفعلة:

سقط النصيف ولم ترد أسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ

...

والنصيف: الخمار، والجمع أنصفة، ونُصُف[١].

تعليق:

يذكر أبو الفرج للفظة (نصيف) أكثر من جمع، فمرة للقلة(أنصفه) وآخر للكثرة (نُصُف) بملاحظة تعدد الجمع للمفرد الواحد.

صيغة أفعال:

جاء في كتاب الأغاني:

وتبدّلتُ من مساكن قومي والقصور التي بها الآطامُ

كل قصر مشيّد ذي أواس يتغنى على ذراه الحمامُ

الآطام: جمع أطُم وهي القصور والحصون. قال الأصمعي: الآطام الدور المسطحة السقوف.وفي رواية ابن عمار (ذي أواشٍ) بالشين معجمة، كأنه أراد به أنّ هذه القصور موشية أي منقوشة، ورواه إسحاق (أواسٍ)بالسين غير معجمة، وقال: واحدها آسيّ، والأساس واحد[٢].

كناطحٍ صخرةٍ يوماً ليوهنها فلم يضرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

...

١- *الأغاني*:١١/ ١٠.

٢- الأغاني: ١/ ٤١.

والوعل: التيس الجبلي، والجمع أوعال[1].

يـــدعون عـــنتر والرمـــاح كأنهـــا أشـــطان بئـــر في لبـــان الأدهـــم

...

والأشطان: الحبال، واحدها شطن[2].

تحنـــو لأطلائهـــا عِـــينٌ ملمعـــةٌ سـفعُ الخـدود بعيـدات مـن الرامـي

...

وأطلاؤها: أولادها، واحدها طلا[3].

كأنه علم في رأسه نار، أي أنه مشهور والعلم: الجبل، وجمعه أعلام[4].

لتـــأتِ المنيـــة -بعـــد الفتـــى المغـــادر بـــالمحو- أذلالهـــا

...

سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: أمور النـاس جاريـة علـى أذلالهـا، أي علـى مسالكها، واحدها ذل[5].

ومعملَـــة سُـــقتَها قاعـــدا فأعلمـــت بالـــسيف أغفالهـــا

...

والأغفال:ما لاسمة عليها، واحدها غُفْل[6].

تعليق:

على زنة أفعال أورد أبو الفرج ثمانية جموع هي:

- آطام، ومفردها أطْم.
- أواشٍ ومفردها آشيّ.
- أواس ومفردها آسيّ.
- أوعال ومفردها وعل.

١- نفسه: ٩/ ١١٥.
٢- نفسه: ٩/ ١٦٥.
٣- نفسه: ١٢/ ٩٥.
٤- نفسه: ١٥/ ٨٥.
٥- الأغاني: ١٥/٦٦.
٦- نفسه: ١٥/ ٦٧.

- أشطان ومفردها شطن.
- أطلاء ومفردها طلا.
- أعلام ومفردها علم.
- أذلال ومفردها ذِل.

وأشار إلى معانيها انطلاقا من النص وانتهاء به.

جمع المؤنث السالم:

أنـــت ابـــن مـــسلنطح البطـــاح ولم تطـــرقْ عليـــك الحِـــنيُّ والـــوُلُج

...

والحنيّ: ما انخفض من الأرض، والواحدة حنا والجمع حِنُيّ مثل عصا وعصيّ، والولُج: كل متسع في الوادي، الواحدة وَلَجة، ويقـال: اللوَلَجـات بـين الجبـال مثـل الرحاب[1].

وإنما لقب عبيد الله بن قيس الرقيات؛ لأنه شـبب بـثلاث نـسوة سُـمّين جميعـا رقية[2].

وقد أغتدي والطير في وكراتها..

بالراء. قال أبو عبيدة: والأكنان في الجبال كالتماريد في السهل والواحـدة أكنـة، وهي الوقنات والواحدة أقنة...والهيكل الذكر والأنثى هيكلة والجمع هياكل[3].

ووجــهٌ نقــيّ اللــون صــافٍ يزينُــهُ مــع الحَلْــي لبّــاتٌ لهــا ومعاصــمُ

...

وقال: لبّات لها وإنّما لها لبة واحدة، ولكنّ العرب تقول ذلك كثيرا، يقـال: لهـا لبّات حسان، يراد اللبة وما حولها[4].

لنــا الجفنــاتُ الغــرُّ يلمعــن بالــضحى وأســيافنا يقطــرن مــن نجــدة دمــا

...

١- الأغاني: ٤/ ٢٢١-٢٢٢.
٢- نفسه:٥/ ٤٨.
٣- نفسه: ٩/ ٥٧.
٤- نفسه:٩/ ٧٩.

فقال: إنّك لشاعر لولا أنّك قللت عدد جفانك... وفي رواية أخرى،فقال له: إنّك قلت (الجفنات) فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر[1].

فقال زهير:

تحنّ إلى مثل الحبابير جُثّم | لدى منتجٍ من فيضها المتفلقِ

الحبابير: جمع حبارى، وتجمع أيضا حُباريات[2].

واستباء الزقّ من حاناتها | شائل الرجلين معصوبا يميل ...

والحانات: جمع حانة، وهي الموضع الذي تباع فيه الخمر[3].

كُل خليل عليه الرعاث والحُبَلات كذوبٌ ملقْ

الحُبلات: واحدتها حَبَلة، وهي جنس من الحلي قدر ثمر الطلح[4].

تعليق:

ذكر أبو الفرج من جمعي التصحيح (المذكر السالم / والمؤنث السالم) تسع صيغ من جمع المؤنث السالم هي:

- الوَلَجات واحدها وَلَجة.
- رقيّات واحدها رقيّة.
- الوكرات وحدها وكرة.
- الأكنات واحدها أكنة.
- الوقنات واحدها أقنة.
- اللبّات واحدها لبّة، وعلّق هنا أن ليس هناك لبّات بل لبّة واحدة، ولكن العرب تتسع كثيرا تريد اللبة وما حولها.
- الجَفَنات واحدها جفنة.

١- نفسه: ٩/ ٢٥٢.
٢- الأغاني: ١٧/ ٦٥.
٣- نفسه: ١٧/ ١٧٦.
٤- نفسه:٢٢/ ١٩٣.

- الجباريات واحدها جباري.
- الحانات واحدها حانة.

ساد الرأي عند اللغويين أنّ جمعي التصحيح (المذكر السالم) و (المؤنـث السـالم) يدلان على القلة، وقد يدلان على الكثرة بقرينة خارجة عنهما، والأرجـح أنهمـا لا يختصان بالقلة، وإنّما يصلحان للقلة والكثرة عند خلو الكلام من قرينة تعيّن الجمـع لأحدهما[1]، أو بقرينة.

صيغ الجموع الدالة على الكثرة:

١- فُعَل.

٢- فُعْل.

٣- فِعَل.

٤- فُعُل.

٥- فِعْل.

٦- فَعْل.

٧- فَعَل.

٨- فِعال.

٨- فُعُول.

٩- مفاعل.

١٠- فعاليل.

١١- فعائل.

١٢- فُعلان.

١٣- فواعل.

١٤- أفاعل.

١- ينظر عبد المنعم عبد العال: *جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية*، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، سنة ١٩٧٧م، ص:٣٤.

١٥- أفاعيل.
١٦- فياعل.
١٧- فَعيل.
١٨- فعولي.
١٩- فواعيل.
٢٠- فُعال.
٢١- فعالي.
٢٢- فعالل.
٢٣- اسم الجنس الجمعي.
٢٤ - جمع لم يسمع له واحد.
٢٥- ما لم يسمع من الجمع.

فُعَل:

كُــــل قـــصرٍ مـــشيّدٍ ذي أواسٍ يتغنّـــــى علـــــى ذُراه الحمـــــامُ
...

وذُرى كلّ شيء: أعاليه، وهو جمع واحدته ذروة[١].

بْنـــاتِ كـــرامٍ لم يُــــرَبْنَ بـــضُرِّةٍ دمـــى شَــرِقات بـــالعبير روادعـــا
...

والدمى: الصُوَر، واحدتها دُمية[٢].

أولئـك قـومٌ إن بنـوا أحـسنوا البُنـى وإنْ عاهدوا أوفوا وإنْ عقـدوا شـدّوا
...

قال: وقال الأصمعي وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت: ما واحد البُنـى ؟ قـال: بنْيه، فقال له: أتجمع فِعْلة على فُعَل؟ قال: نعم مثل رِشوة ورُشى، وحِبوة وحُبى[٣].

١- الأغاني: ١/ ٤١.
٢- نفسه: ٢/ ٩٦.
٣- نفسه: ٢/ ١١٥.

يـــا بيـــت عاتكـــةَ الـــذي أتعـــزلُ   حـــذر العِـــدا وبـــه الفـــؤاد موكّـــلُ

...

العِدا: جمع عدوّ ويقال عُدا بالضم وعِدا بالكسر[1].

تعليق:

انطلق أبو الفرج في إيراده أوزان جموع التكسير على(فعل) للكثرة بالصور الآتية:

فُعَل: جاءت هذه الصيغة ست مرات:

- ذُرى واحدتها ذِروة.
- دُمى واحدتها دُمية.
- بُنى واحدتها بنية.
- رُشى واحدتها رِشوة.
- حُبوة واحدتها حِبْوة.
- عُدا واحدتها عدوّ.

مع ذكر النظائر والضبط الذي ترد صورة الجمع فيه فضلا عن المعنى الذي هو هدف أبي الفرج في ذكره لإيضاح معنى البيت الذي يقف عليه.

فُعْل:

لا أمْتـــع العـــوذَ بالفـــصال ولا   أبتـــاع إلا قريبـــــةَ الأجـــــل

...

العوذ: الإبل التي قد نُتجت، واحدتها عائذ[2].

وإنّ حـــديثا منـــك لـــو تبذلينـــه   جنـى النحـل في ألبـانِ عـوذٍ مطافـل

...

والعوذ: جمع عائذ[3].

١- نفسه: ٢١/ ٧٢.
٢- الأغاني: ٥/ ١٦٧.
٣- نفسه: ٦/ ١٩١.

ضنين بمن خلفي شحيح بطاعتي طِراد رجال لا مطاردة الحُصْنِ

...

الحُصْن: جمع حِصان[1].

وتبدّلت بعد الأنيس بأهلها عُفْر البوارق يرتعين وعورا

...

والعُفْر: الظباء، واحدها أعفر[2].

وعرفوا حنف فرسه،

والحنف: أن تُقبل إحدى اليدين على الأخرى، وفي الناس أن تُقبل إحدى الرجلين على الأخرى، وأن يطأ الرجل وحشيّهما، وجمع الأحنف: حُنْف[3].

كأنّ الفرند المحض معصوبة به ذرا قورها ينقدّ عنها ويُنصَحُ

...

وقد عصبت به ذرى قورها وهي الجبال الواحدة قارة[4].

تعليق:

وردت صيغة (فُعْل) جمع تكسير للكثرة ست مرات، هي:

- عُوْذ واحدتها عائذ، وتكررت مرتين.
- حُصْن واحدتها حِصان.
- عُفْر واحدتها أعفر.
- حُنْف واحدتها أحنف.
- قور واحدتها قارة.

والصيغة ليست قياسية في ضوء واحدها، وبيان دلالة كلّ لفظة منها انطلاقا من البيت الذي وردت فيه ليحقق أبو الفرج القصد من وراء ذلك.

١- نفسه: ١٥/ ٧.
٢- نفسه:١٧/ ٤٠.
٣- نفسه: ١٧/ ١٤٧.
٤- *الأغاني*: ١٧/ ٢٨٢.

فِعَل:

قـف بالـديار الـتي لم يعفهـا القـدم　　بلـــى وغيّرهـــا الأرواح والـــدِيم

...

الديم: جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوما أو يومين مع سكون[١].

لهـــم شـــيمة لم يعطهـــا الله غيرهـــم　　مـن النـاس والأحـلام غـير عـوازبِ

...

الشيمة: الطبيعة، وجمعها شيم[٢].

ضـرارا علـى مـا كـان قـدّم والـدي　　إذا روّحـتهم حرجـفٌ تطـرد الـصِرَمْ

...

والصِرَم: جمع صِرمة وهي القطعة من الإبل[٣].

يـــا بيـــت عاتكـــة الـــذي أتعـــزلُ　　حَـــذَر العـــدا وبـــه الفـــؤاد موكّـــلُ

...

العِدا: جمع عدو[٤].

تعليق:

تكررت هذه الصيغة (فِعَل) جمع تكسير للكثرة أربع مرات هي:

- دِيَم واحدتها ديمة.
- شِيَم واحدتها شيمة.
- صِرَم واحدتها صِرمة.
- عِدا واحدتها عدوّ.

مع بيان دلالات هذه الألفاظ، وتطّرد في كلّ اسم تام لم يحذف من أصوله شيء[٥].

١- الأغاني: ١١/ ١٤-١٥.
٢- نفسه: ١١/ ١٣٥.
٣- نفسه:٢١/ ٧٤.
٤- نفسه:٢١/ ٧٤.
٥- ينظر عبد المنعم سيد عبد العال: *جموع التصحيح والتكسير في اللغة*، ص:٤٥.

فُعُل:

أنـــت ابـــنُ مـــسلنطح البطـــاح ولم   تطـــرقْ عليـــك الحـــني والـــوُلُج

...

والوُلُج: كل متسع في الوادي، الواحدة وَلْجة"[1].

"قال من ذكرنا من النسابين: قيس بن الحارث هو الخُلُج... وسُمّوا الخُلُج لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه... وأهل المدينة يقولون: إنّما سُمّوا الخُلُج لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُج (وواحدها خليج)"[2].

"غَــرْبٌ علــى بكــرةٍ أو لؤلــؤ قلــقٌ   في الــسلك خــان بــه رباتــه الــنُظُمُ

...

والنُظُم: جمع واحدها نظام"[3].

"سَــقَطَ النــصيفُ ولم تُــرِدْ إســقاطَه   فتناولتـــــه واتقتنـــــا باليـــــدِ

...

والنصيف: الخمار، والجمع أنصفه، ونُصُف"[4].

تعليق:

وقف أبو الفرج على صيغة (فُعُل) أربع مرات، هي:

- وُلُج واحدتها وَلْجة.
- خُلُج واحدتها خليج.
- نُظُم واحدتها نظام.
- نُصُف واحدتها نصيف.

وذكر دلالتها وهو المطلوب لإيضاح النص.

١- *الأغاني*: ٤/ ٢٢١-٢٢٢.
٢- نفسه: ٤/ ٢٥٧.
٣- نفسه:١٠٨/ ٢٣٥.
٤- نفسه:١١/ ١٠.

فِعْل:

فــذو رهـــاش فميـــث عرتينـــاتِ عفتهـــا الـــريح بعـــدك والـــسماءُ

...

والميث: جمع ميثاء[1].

إلى إرمٍ وأحجـــــارٍ وصـــــيرٍ وأغـــصانِ مـــن الـــسلمات سُـــمْرِ

...

صير، الواحدة صيرة وهي حظيرة الغنم[2].

ولكنّـــه ممـــا أصـــاب عـــشيرتي وقـــومي بـــأقرانِ حـــواليهم الـــصير

...

والصير: الحظائر، واحدها صيرة[3].

تعليق:

جاءت صيغة (فِعْل) جمع تكسير للكثرة ثلاث مرات هي:

- مِيْث واحدها ميثاء.
- صِيْر واحدها صيرة؛ تكررت مرتين، مع ذكر معاني كل جمع ليتضح معنى البيت الذي وردت فيه.

فَعْل:

وحـــوليَ ممـــا خـــوّل اللّـــه هجمـــةٌ عطـــاؤك منهـــا شَـــوْلُها وعِـــشارها

...

الشول: النوق التي شالت بأذنابها... واحدتها شائل[4].

قامـــت تبـــدّى بـــذي ضـــالٍ لتحـــزنني ولا محالـــة أن يـــشتاق مـــن عـــشقا

...

والضال: السدر الصغار واحدتها ضالة[5].

١- *الأغاني*: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.
٢- نفسه: ١٥/ ٦٨.
٣- نفسه: ١٧/ ٢٦٩.
٤- *الأغاني*: ٥/ ٥٩.
٥- نفسه: ١٠/ ٢٣٣.

وْلــو لم تكــوني غــير شـــامٍ بقفــرة تجُــرُّ بهــا الأذيــال صـــيفية كُــدْرُ

...

والشام: موضع يخالف لون الأرض وهو جمع، واحدته شامة[١].

تعليق:

ذكر أبو الفرج ثلاث صيغ على زنة (فَعْل) للكثرة هي:

- الشوْل وواحدتها شائل.
- الضال وواحدتها ضالة.
- الشام ووا حدتها شامة.

مع بيان دلالتها بما يوضح البيت الذي وردت فيه.

فَعَل:

فْـإن كنــتِ منّــي أو تريــدين صــحبتي فكــوني لــه كالــسمن رُبّــت لــه الأَدَمْ

...

والأَدَم: جمع واحدها أديم وجمعها أدَم. كما يقال أفيق وأَفَق[٢].

تعليق:

وردت صيغة (فَعَل) مرتين: الأولى وردت في النص والأخرى تمثيل وهما:

- الأَدَم واحدها أديم.
- أَفَق واحدها أفيق.

وذكر دلالتهما.

فِعال:

بْـــأنّ المـــرء لم يخلَـــقْ حديـــداً ولا هــــــضبا توقــــاه الوبِـــارُ

...

١- نفسه: ١٨/ ٣٦.

٢- *الأغاني*: ١١/ ١٣٤-١٣٥.

والوِبار: جمع وَبْر[1].

صُـــهيبيةٍ صـــفراءَ تُلقـــي رِباعَهـــا بمنعـــرج الـــصمان والجـــرع الـــسهلِ

...

وواحد الرِباع رُبْع[2].

تعليق:

وشذّ من رُبَع وأرباع ورِباع [3].

ويبدو أنّ ضبط المحققين لكلمة (رُبْع) هنا خطأ، وصوابها (رُبَع)[4].

وقـــــال ريـــــمٌ مُرعَـــــثٌ ســـــاحرُ الطـــــرفِ والنظـــــر

...

لقب بشار بالمرعّث لأنّه كان في أذنه وهـو صـغير رِعـاث، والرِعـاث:القِرَطـة، واحدتها رَعثة وجمعها رعاث، ورَعثات الديك: اللحم المتدلي تحت حنكه"[5].

"يـــادار عبلـــةَ بـــالجواء تكلّمـــي وعمـــي صـــباحا دار عبلـــة واســـلمي

...

الجِواء: بلد بعينه، والجواء أيضا: جمع جوّ وهو البطن الواسع من الأرض[6].

"متقلـــــدا ربـــــقَ الفـــــرا ر كأنّـــــه في الجيـــــد غُـــــلُّ

...

والفرار: أولاد الغنم، واحدها فُرارة[7].

"حتّى أثووها بالقُنّة (يقال قُنّة وقِنان)[8].

إنّ جـــنبي علـــى الفـــراش لنـــابِ كتجـــافي الأســـرّ فـــوق الظـــرابِ

...

١- *الأغاني*: ٢/ ٩٧.
٢- نفسه: ٢/ ٢١١.
٣- نفسه:ينظر الرضي الاسترابادي: *شرح الشافية*: ١-٢ / ٩٩.
٤- نفسه: ١-٢/ ٩٩.
٥- *الأغاني*: ٣/ ٩٧.
٦- نفسه: ٩/ ١٦٥.
٧- الأغاني: ١١/ ٩٤.
٨- نفسه: ١١/ ٩٦.

والظراب: النشوز والجبال الصغار، واحدها ظِرْب[1].

فَمـــدافع الريّـــان عُـــرّي رسمُهــــا   خَلَقًـا كمـا ضَـمِنَ الـوحي سِـلامها

...

وسِلامها: صخورها، واحدتها سَلِمة[2].

تعليق:

الصيغ التي جاءت على زنة (فِعال) ثماني مرات وقف عليها أبو الفرج هي:

- الوِبار جمع وَبْر.
- الرِباع جمع رَبْع.
- الرِعاث جمع رَعْثة.
- الجِواء جمع جَوّ.
- الفِرار جمع فُرارة.
- قِنان جمع قُنّة.
- الظِّراب جمع ظِرْب.
- سِلام جمع سلمة.

مع بيان دلالتها وتعدد الجمع في بعضها.

فُعُول:

أنــت ابــن مــسلنطح البطــاح ولم   تطـــرق عليـــك الحُـــنيّ والـــوُلُج

...

والحُـنيّ: مـا انخفـض مـن الأرض، والواحـدة حنـا، والجمـع حُـنيّ مثـل عـصا وعُصي"[3].

فإن كنت قد تـشكو مـن خليـل مخانـة   فتلـك الجـوازي عقبهـا ونُـصورُها

...

١- نفسه: ١٢/ ١٤٩.
٢- نفسه: ١٥/ ٢٤٥.
٣- الأغاني: ٤/ ٢٢١-٢٢٢.

ونُصورها:أي تُنصر عليك، الواحد نصر[1].

توهمــــتُ بـــالخيف رسمـــا محـــيلا لعـــزّةَ تعـــرف منهـــا الطلـــولا

...

والطلول جمع طلل، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار[2].

أســـــعداني بعـــــبرةٍ أســـــراب مـــن شـــؤونٍ كـــثيرة التـــسكابِ

...

الشؤون: الشُعَب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الـرأس واحـده شـأن مهموز[3].

سـكنوا الجـزْعَ جـزْعَ بيـت أبـي مـو سى إلى النخـل مـن صُـفيّ الـسبابِ

...

وصُفيّ السباب: جمع صفاة وهي الحجارة[4].

دعْ ذا ولكـــن رأيـــت ظعائنـــا قـــرّبن أجمـــالا لهـــنّ قُحـــورا

...

القحور واحدها قَحْر، وهو المُسن[5].

إذا ارفـضّ أطـراف الـسياط وهللـت جـروم المهـارى عـذبتهنّ صـيدحُ

...

والجروم: الأبدان، واحدها جِرْم بالكسر[6].

تعليق:

أمّا صيغة (فُعُول) من صيغ الكثرة فقد وردت سبع مرات هي:

- الحُنِيّ مفردها حنا، مثل عُصيّ عصا.
- نُصُور مفردها نصْر.
- الطلول مفردها طلل.

١- نفسه: ٦/ ١٩٥.
٢- نفسه: ٨/ ٢٦٩.
٣- نفسه: ٩/ ١٢٩.
٤- نفسه: ٩/ ١٢٩.
٥- *الأغاني*:١٧/ ٤١.
٦- نفسه: ١٧/ ٢٨٢.

- الشؤون مفردها شأن.
- صُفيّ مفردها صفاة.
- القُحُور مفردها قَحْر.
- الجُرُوم مفردها جِرْم.

ذكرها أبو الفرج وبيّن دلالتها ليتضح معنى البيت.

مفاعل:

"وأقطاع طُفْي قد عفت في المعاقل
...

والطفي: خوص المقل، والمعاقل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها معقل، وواحد الطُفي: طُفْية"[1].

"شائك المنازلُ بالأبرقِ دوارس كالعين في المُهْرقِ
...

والمهرق: الصحيفة والجمع المهارق"[2].

وتكرر الكلام نفسه في ٨/ ١٤٤.

"ووجهٌ نقيُّ اللون صافٍ يزينه مع الحَلْي لبّاتٌ لها ومعاصمُ
...

وقال: لبّات لها وإنّما لها لبّة واحدة، ولكنّ العرب تقول ذلك كثيرا، يقال: لها لبّات حسان يراد اللبّة وما حولها، والمعاصم: موضع الأسورة، وواحدها معصم"[3].

"أبلغ يزيدَ بني شيبان مألكة أبا ثبيت أما تنفك تأتكلُ
...

مألكة: رسالة، والجمع مآلك"[4].

"إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعبِ
...

١- الأغاني: ٦/ ١٩٠.
٢- نفسه: ٨/ ١٣٣، وتكرر نفسه في ٨/ ١٤٤.
٣- نفسه: ٩/ ٧٩.
٤- نفسه: ٩/ ١١٥.

والمصاعب واحدها مصعب: وهو الفحل الذي لم يمسسه الحبل[1].

كـــأنّ أوابـــد الـــثيران فيهـــا   هجـــأن في مغابنهـــا الكـــلاء

...

والمغابن: الأرفاغ، واحدها مغبن[2].

تعليق:

جاءت الجموع الدالة على الكثرة بصيغة (مفاعل) ست مرات هي:

- المعاقل جمع معقل.
- المهارق جمع مهرق، وتكررت في ٨/ ١٤٤.
- المعاصم جمع مِعْصم.
- المآلك جمع مألكة.
- المصاعب جمع مصعب.
- المغابن جمع مغبن.

فعاليل:

عـصافير تنـزو في الفـساد وفي الـوغى   إذا راعَهـــا روعٌ جمـــاميحُ بـــروق

...

الجماميح: ما نبت على رؤوس القصب مجتمعا، وواحدها جماح[3].

تُنـسى بلائـي إذا مـا غـارةٌ لَحِقـتْ   تخـرج منهـا الطـوالات الـسراعيفُ

...

والسراعيف: السِراع، واحدتها سرعوفة[4].

تُنتـــاش صـــفراء مطروقـــا بقيّتهـــا   قد كاد يـأزي عـن الـدعموص آزيهـا

...

والدعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص[5]

١- نفسه: ١١/ ١٥.
٢- *الأغاني*: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.
٣- الأغاني: ٤/ ١٧٧.
٤- نفسه: ٨/ ١٦٨-١٦٩.
٥- نفسه: ٨/ ١٨٨_١٨٩.

تحـــنّ إلى مثـــل الحبـــابير جُـــثَّم لـــدى منـــتج مـــن قيـــضها المتفلّـــقِ

...

الحبابير: جمع حبارى، وتجمع أيضا حباريات[1].

تعليق:

صيغة (فعاليل) الدالة على الكثرة وردت أربع مرات هي:

- الجماميح جمع جماح.
- السراعيف جمع سرعوفة.
- الدعاميص جمع دعموص.
- الحبابير جمع حبارى.

فذكر أبو الفرج معانيها وبيان البيت الذي وردت فيه.

فعائل:

وإذا صـحوتُ فمـا أقـصّر عـن نـدى وكمـــا علمـــتِ شمـــائلي وتكرمـــي

...

وشمـائلي: أخلاقـي، واحـدها شمال،يقـال: فـلان حلـو الـشمائل والنحائـت والضراب والغرائز[2].

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الجمحي عن شيخ مـن قريش: أنّه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منـايم علـى دار عثمـان المقبلة على المسجد... قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منايم[3].

تعليق:

وردت صيغة (فعائل) أربع مرات هي:

- شمائل جمع شِمال.

١- نفسه: ١٧/ ٦٥.
٢- الأغاني: ٩/ ١٦٥.
٣- نفسه: ٢١/ ٨٤.

- النحائث جمع نحيتة.
- الغرائر جمع غريرة، وأظنّ أنّ هنا تصحيفا صوابه الغرائز جمع غريزة؛ حتى يتفق المعنى مع مثيلاتها.
- المنايم جمع منامة.

فُعلان:

"عفا من سليمى مُسْحلان فحامُرهْ   تمشّى به ظلمانُهُ وجآذرُهْ
بمستأسد القريان عاف نباته   فنوّاره ميل إلى الشمس زاهرُهْ
...

والظلمان: ذكور النعام واحدها ظليم، والجآذر: أولاد البقر واحدها جؤذر، والقريان: مجاري الماء إلى الرياض واحدها قري"[1].

"من وحشٍ وجدة موشيّ أكارعه   طاوي المصير كسيف الصيقل الفَرَدِ
...

والمصير: المعيّ، وجمعه المُصران"[2].

تعليق:

وردت صيغة(فُعلان) بدلالة الكثرة ثلاث مرات،هي:

- الظُلْمان جمع ظليم.
- القُريان جمع قِري.
- المُصران جمع مصير.

عُني أبو الفرج بدلالتها ومفردها وبيان السياق الذي وردت فيه.

فواعل:

"عفا من سليمى مُسْحلان فحامُرهْ   تمشّى به ظلمانُهُ وجآذرُهْ
...

١- *الأغاني*: ٢/ ٩٩-١٠٠.
٢- نفسه: ١١/ ٢٤.

والجآذر: أولاد البقر واحده جُؤْذُر وجُؤْذَر بضم الذال وفتحها[1].

ولم يــدعُ داعٍ مــثلكم لعظيمـــةٍ إذا وزمـــت بالـــساعدين الـــسوارقُ

...

السوارق: الجوامع، واحدتها سارقة[2].

تعليق:

ذكر أبو الفرج صيغة (فواعل) مرتين، هما:

- الجآذر جمع جؤذر.
- السوارق جمع سارقة.

مع بيان المعنى والمفرد.

أفاعل:

كـالبيض بـالأدحيّ يلمـع في الـضحى فالحُـــسْنُ حُـــسْنٌ والنعـــيم نعـــيمُ

...

الأدحي: المواضع التي يبيض فيهـا النعـام واحـدتها أُدحيـة، وذكـر أبـو عمـرو الشيباني أنّ الأدحي البيض نفسه، ويقال فيه أدحيُّ، وأداحٍ أيضا[3].

وهل يرجعُ التسليم أو يُكشف العمـى ثـــلاث الأثـــافي والـــديارُ بلاقـــعُ

...

والأثافي الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر، واحدتها أثفية[4].

تعليق:

وقف أبو الفرج على صيغة (أفاعل) مرتين هما:

- أداحٍ جمع أدحية.
- أثافي جمع أثفية، وقد تخفف ياء (أثافي).

١- *الأغاني*:٢/ ٩٩-١٠٠.
٢- نفسه:١٣/ ٩.
٣- الأغاني: ٤/ ٢١١.
٤- نفسه: ١٨/ ٣٦.

أفاعيل:

"وإنّما سميت الأنبار؛ لأنه كان يكون بها أهراء الطعام، وهي الأنابير"[1]

"إلا الأواريّ لأيــــا مــــا أبيّنهـــا   والنـؤي كـالحوض بالمظلومـة الجلـدِ

...

والأواري: جمع آري"[2].

تعليق:

أورد أبو الفرج صيغة (أفاعيل) مرتين هما:

- الأنابير جمع أنبار.
- الأوراي جمع آريّ.

وبيان المعنى والمفرد.

فياعل:

"وقــد أغتـدي والطـير في وكناتهـا   بمنجــردٍ قيــد الأوابــد هيكــل

...

والهيكل: الذكر، والأنثى هيكلة، والجمع هياكل، وهو العظيم العبل الكثيف اللّيّن"[3].

"وموشــية سُــحْم الـصياصي كأنّهـا   مجللــة حــوٌ عليهــا البراقــعُ

...

والصياصي: القرون واحدتها صيصية"[4].

تعليق:

صيغة (فياعل) وردت مرتين هما:

- الهياكل جمع هيكل.

١- *الأغاني*: ٩/ ٦١.
٢- نفسه: ١١/ ٢٢-٢٣.
٣- الأغاني:٩/ ٥٤-٥٥.
٤- نفسه: ١٨/ ٣٦.

- الصياصي جمع صيصية.

وبيان المعنى والمفرد.

فَعيل:

وهـــل ينبـــت الخطـــيّ إلا وشـــيجه ... وتغـــرس إلا في منابتهـــا النخـــلُ

...

والوشيج: القنا واحدتها وشيجة[1].

كـأنّ رحلـــي وقـــد زال النهـــار بنـــا ... يـــوم الجليـــل علـــى مـــستأنس وحـــدِ

...

والجليل: الثمام، واحدته جليلة[2].

تعليق:

صيغة (فعيل) النادرة الاستعمال ذكرت مرتين هما:

- الوشيج جمع وشيجة.
- الجليل جمع جليلة.

مع ذكر المعنى والمفرد.

فعولى:

مَنْ يرى العير لابـن أروى علـى ظهـــ ... ــــر المـــروري حـــداتهنّ عجـــالُ

...

المروري جمع مروراة وهي الصحراء[3].

تعليق:

صيغة (فعولى) نادرة أيضا وردت مرة واحدة هي:

- المروري جمع مروراة.

وبيان المعنى والمفرد.

١- الأغاني: ١٠/ ٢٣٧.
٢- نفسه: ١١/ ٢٤.
٣- الأغاني: ٥/ ٨٩.

فواعيل:

آمــن أم اوفــى دمنــة لم تكلــم   بحومانــة الــدراج فــالمتثلم

...

الحومانة فيما ذكر الأصمعي الأرض الغليظة وجمعها حوامين[1]

تعليق:

صيغة (فواعيل) وردت مرة واحدة هي:

- الحوامين جمع الحومانة.

وبيان المعنى والمفرد.

فُعال:

ومـن يعـصِ أطـراف الزجـاج فإنّـه   يطيـع العـوالي رُكّبـت كـل لهـذم

...

الزجاج جمع زُجّ[2].

تعليق:

صيغة (فُعال) وردت مرة واحدة هي:

- الزجاج جمع زُجّ.

مع ذكر المعنى والمفرد.

فَعالي:

ومَنْ خطبُـهُ فَـصْلٌ إذا القـوم أفحمـوا   يـصيب مـرادي قولـه مـن يحـاولُ

...

المَرادي: جمع مرداة وهي صخرة تُردى بها الصخور أي تكسر[3].

١- نفسه: ١٠/ ٢٢٢.
٢- *الأغاني*: ١٠/ ٢٢٥.
٣- نفسه: ١٤/ ١٣.

تعليق:

صيغة (فعالي) جاءت مرة واحدة هي:

- المَرادي جمع مرداة.

وذكر معناها ومفردها.

فعالل:

كَكرفئـــة الغيــث ذات الـــصبيـــر ترمـــي الـــسحابَ ويرمـــي لهـــا

...

قال الأصـمعي: الكرفئـة، وجمعهـا كرفِـئ: قطـع مـن الـسحاب بعـضها فـوق بعض[1].

تعليق:

في ما ذكره أبو الفرج -وقـع خطـأ طبـاعي أو وهـم مـن المحققـين- ورد بلفـظ (كَرِفِئ) والصواب (كرافىء)، وهذه الصيغة (فعالل) وردت مرة واحدة.

اسم الجنس الجمعي:

كـالبيض بـالأدحيّ يلمـع في الـضحى فالحـــسن حـــسن والنعـــيم نعـــيم

...

الأدحيّ: المواضع التي يبيض فيها النعام، واحدتها أدحية... ويقال فيهـا أدحـي وأداحٍ أيضاً[2].

تعليق:

وجاء اسم الجنس الجمعي مرة واحدة هي:

- أدحيّ جمع أدحية.

وذُكر معناها ومفردها.

١- *الأغاني*: ١٥/ ٦٧.
٢- نفسه: ٤/ ٢١١.

جمع لم يسمع له واحد:

"ويقال برمة أعشار، قال ولم أسمع للأعشار واحدا"[1].

تعليق:

لم يُسمع لهذه الصيغة مفر د، فتستعمل للمفرد والجمع وصفا.

ما لم يسمع من الجمع:

"تلاعب نينان البحور وربّما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

...

وقال: (أي الأخفش):... ولم أسمع بنون ونينان،... وكان قال: (نينان البحور) فعابه سيبويه فجعله (تيار البحور)"[2].

تعليق:

وردت صيغة (نينان) جمعا لنون ولم يسمع به الأخفش الأوسط، ولم ترد ولم يسمع به، فعمد الشاعر إلى تصحيحه اللفظ إلى (تيار) بدلا منها.

خاتمة:

جعل أبو الفرج الأصفهاني مادة كتابه منطلقا لبيان الغامض منها، فكان من ذلك أن وقف على جملة صالحة من الجموع فأوضح معناها، وذكر واحدها، أو تناول مفردا عُني بدلالته مشفوعا بجمعه، فتحصّل من هذا مادة غزيرة عرضناها بعد استقرائها، ولا أزعم أنني استقريتها بتمامها، فربّما فاتنا منها شيء، ولكنّنا حاولنا أن نمر بها جميعا، فظهر لنا:

- أنّ أبا الفرج على علم وطيد باللغة يتجلّى في حفظه عن شيوخ اللغة من غير انحياز لبصري أو كوفي لأنّ هدفه لغوي خالص.
- عُني بجموع التكسير لأنها لا ضابط لها في أغلبها إلا ما روي، وما استعملته العرب.
- برزت ظاهرة تعدد الجموع للمفرد الواحد، وفيها غناء للمتأدب، والمتلقي، والمبدع.

١- الأغاني: ٩/ ٥٥.
٢- نفسه: ٣/ ١٧٠.

- كان اهتمامه بالجموع دلاليا ليوظفه في جلاء معنى النص الذي ورد فيه.
- ظهر من ورود الجمع أنّ الشعراء جريا على عادة العرب في استعمال صيغة شائعة في الجمع للقلة أو للكثرة أنّها غير مقصودة لذاتها بل تتضح دلالتها بقرينة خارجة عن الصيغة؛ لأنّ الشعر محكوم بأمور أخرى، وبهذا الجانب حاجة إلى مزيد تأمل.
- أنّ الصيغ التي وقفنا عليها رتبناها منهجيا على وفق مرات ورودها، وعلى الصيغة التي تدل عليها.

نرجو من المتخصصين والقرّاء بيان ما أخل به هذا الاستقراء، أو المنهج الذي ارتضيناه.

التصغير:

وغاب قميرٌ كنتُ أرجو غيوبه   وروّح رعيان ونوّمَ سمّرُ

...

قال سعيد بن المسيّب: ماله قاتله الله لقد صغّر ما عظّم الله[1].

وشيّد بنياناً وظاهرَ كسوة   وطال جديعٌ بعد ما كان أوقصا

...

تصغير جدع جُديع بالدال غير المعجمة[2].

غرّاء فرعاء مصقولٌ عوارضُها   تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوَحِلُ

...

والهوينى تصغير الهونى، والهونى مؤنث الأهون[3].

وقفت فيها أصيلالا أسائلها   أعيت جوابا وما بالربع من أحدِ

...

وروى الأصمعي أصيلانا وهو تصغير أصلان[4].

١- *الأغاني*: ١/ ٧٤.
٢- نفسه: ٦/ ٤٠.
٣- نفسه: ٩/ ١١٥.
٤- نفسه: ١١/ ٢٣.

تعليق:

وقف أبو الفرج على أربعة ألفاظ مصغرة:

- قمير.
- جديع.

وكلا اللفظين مصغر لثلاثي على زنة (فُعيل)، ربط الأول بتعليق خارج اللغة، والشاعر لا يقصد هذا! والثاني هو اسم علم جاء على صيغة التصغير.

- الهوينى: لم يكتف أبو الفرج بمصغرها فأضاف إليها ذكر مكبرها (الهونى) وأردفها بمذكرها (الأهون)؛ ليحقق أكثر من فائدة صرفية.
- أصيلانا: تصغير أصلان وهو جمع (أصيل) على غير قياس نادر؛ لأنّه إنّما يُصغّر من الجمع ما كان على بناء أدنى العدد، وأصلان جمع كثرة[١].

وللبيت ثلاث روايات:

أصيلانا – أصيلالا - أصيلا[٢].

والعجيب اللافت أنّ محققي كتاب الأغاني يذكرون في الهامش (١) من ١١/ ٢٣ ما يأتي:

(١) أصلان جمع أصيل وهو القسي ! وأظنها خطأ طباعي يراد (العشيّ)، وهكذا وردت في تاج العروس[٣].

والأصيل- على ما هو معروف ومقصود في البيت - الوقت دون غروب الشمس.

١- ينظر مرتضى الزبيدي: _تاج العروس من جواهر القاموس_، تحقيق علي شيري، دار الفكر – بيروت، د.ط، سنة ١٩٩٤ م، مادة (أصل)، ونسب هذا القول إلى أبي سعيد السيرافي..
وينظر: _شرح الأشموني_، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، سنة ٢٠١٠م، ٣/ ٢٥٨.

٢- ينظر الخطيب التبريزي: _شرح القصائد العشر_، تحقيق فواز الشعّار، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٦م، ص:٢٤٧.

٣- ينظر الزبيدي: _تاج العروس_، مادة (أصل).

وفي هذا دليل على تمكن أبي الفرج من علم التصريف، وما ينتفع منه في تفسير مقصود الشاعر ودلالة السياق.

ما لا ينصرف:

متى ما تزرنا من معدٍّ عصابةٌ   وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدّما

...

قيل: إنّ قوله (وغسانَ) ها هنا قسم أقسم به[1].

تعليق:

الواو جارّة للقسم، وضبطت لفظة (غسانَ) بالفتح على أنّه لا ينصرف أو لا يجرى للعلمية وزيادة الألف والنون.[2]

ولقد قتلتكم ثناءً وموحدا   وتركت مُرّة مثل أمسِ المدبرِ

...

قال الأثرم: مثنى وثناء لا ينونان... لأنهما مما صرف عن جهته، والوجه أن يقول: اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع، غير أنّ الكميت قال:

فلم يستريثوك حتّى رمد   ت فوق الرجال خصالا عشارا[3].

تعليق:

مما يمنع الصرف: العدل والصفة في أسماء العدد على زنة (فُعال) و (مَفْعَل)، وسُمع استعمال هذين الوزنين في: أحاد ومُوحد، وثُناء ومثنى، وثلاث و مثلث، ورباع ومربع، وهذه الألفاظ متفق عليها[4]، واختلف فيما جاوز ذلك فمنهم من عدّه قياسيا لكثرته[5].

١- *الأغاني*: ٩/ ٢٥٠.

٢- ينظر: *شرح ابن عقيل* (تحقيق: محيي الدين عبد الحميد)، ٢/ ٣٠٢.

٣- *الأغاني*: ١٥/ ٧٠.

٤- ينظر: شرح الأشموني، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١، سنة ٢٠١٠م، ٢/ ٤١٠.

٥- نفسه: ٢/ ٢١٠.

الاستثناء:

"يتنـــــاولون سُـــــلافة عانيـــــةً طابــت لــشاربها وطــاب المقعــدُ

...

أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح؟... فقلت له: أما علمت – أصلحك الله- أنّ الله -عزوجل- يقول في الشعراء: ((وإنّهم يقولون ما لا يفعلون))، فقال: صدقت، وقد استثنى قوما منهم، فقال: ((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)) فإن كنت منهم دخلت تحت الاستثناء"[1].

"فلمّا سمع عمر-رضي الله عنه- قوله:

ولست عن الصهباء يوما بصابر

قال: قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبة... فقال له علي -عليه السلام- ما ذلك لك، وما يجوز أن تعاقب رجلا قال لأفعلنّ وهو لم يفعل وقد قال الله تعالى في الشعراء ((وإنّهم يقولون ما لا يفعلون))، فقال عمر: قد استثنى الله منهم قوما فقال: ((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات))، فقال علي -عليه السلام-: أفهؤلاء عندك منهم، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن)"[2].

تعليق:

لم يعرض أبو الفرج أسلوب الاستثناء على ما كان في كتب النحو، ولم يبيّن عناصره، وإنّما اكتفى بالإشارة إلى مصطلحه، وذكر آية من سورة الشعراء ليدفع عمّن ذكر الخمرة في شعره، فالموقف هنا شرعي لا لغوي، ذكرناه للاستئناس بأسلوب الاستثناء.

ليس أداة استثناء:

"أخبرني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا محمد بن زكريا بن ميمون الفرغاني قال: سمعتُ دعبل بن علي يقول في كلام جرى: ليْسَك، فأنكرته عليه،

١- *الأغاني*: ١٦/ ١٢٤-١٢٥.
٢- نفسه: ١٩/ ١٤.

فقال: دخل زيد الخيل على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: يا زيد ما وصف لي رجل إلا رأيته دون وصفه ليسك، يريد غيرك[1].

تعليق:

ذكر ابن هشام أنّ ليس "كلمة دالة على نفي الحال... وهي فعل لا يتصرف... وزعم ابن السراج أنّه حرف بمنزلة ما... وقيل: قد تخرج عن ذلك في مواضع:

أحدهما: أن تكون حرفا ناصبا للمستثنى بمنزل إلا نحو)آتوني ليس زيدا)... وهذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه النحو، وذلك أنّه جاء إلى حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ) لكتابة الحديث، فاستملى قوله -صلى الله عليه وسلم-:(ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء)، ليس أبو الدرداء فصاح به حمّاد: لحنت يا سيبويه، إنّما هذا استثناء فقال سيبويه: والله لأطلبنّ علما لا يلحقني فيه أحد[2].

واستعمال (ليس) في الاستثناء قليل!

النداء:

لايكن حبّك حبّاً ظاهراً　　　ليس هذا منك يا عَمْرَ بسرٌ

...

عمْرَ: ترخيم عمرة[3].

تعليق:

في تنبيه أبي الفرج هذا ما يزيل لبسا ليوضح معنى.

كليني لهم يا أميمةَ ناصبِ　　　وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

...

هكذا روي قوله (يا أميمةّ) مفتوح الهاء، قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم، فتقول: يا أميم، ويا عزّ، ويا سلمَ، فلمّا لم يرخم لحاجته إلى الترخيم

١- *الأغاني*: ٢٠/ ٨٢.
٢- *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ١/ ٣٨٦-٣٨٧.
٣- *الأغاني*: ٣/ ١٤.

أجراها على لفظها مرخمة وأتى بها بالفتح[1].

تعليق:

في ضبط (أميمةَ) بالفتح إشكال يصطدم وحكم المنادى العلم، فأورد أبو الفرج تعامل الخليل الذي استند إلى عادة العرب في مثل هذه المناديات.

"فـإن تكـن القتلـى بـواءً فـإنكم فتـى مـا قتلـتم آلَ عـوفِ بـن عـامرِ

...

وآلَ عوف نداء[2].

تعليق:

توجيه أبي الفرج هنا ضروري لإزالة اللبس.

"ألا يا اسلمي يـا دار مـيّ علـى البلـى ولا زال مـنهلاً بجرعائـك القطـرُ

...

وقوله:يا اسلمي ها هنا نداء، كأنه قال: يا دار ميّ اسلمي، ويـا هـذه اسـلمي، يدعو لها بالسلامة، ومثلـه قولـه تعـالى: ((ألا يـسجدوا لله الـذي يخـرج الخـبء في السماوات والأرض))[3]، فسره أهل اللغة هكذا، كأنه قال: يا قوم اسجدوا لله، وميّ ترخيم ميّة إلا أنه أقامه مقام الاسم الذي لم يرخم فنونه[4].

تعليق:

اتفق النحاة على توجيه استعمال (يا) متلوة بفعل أنّ المنـادى محـذوف وقـدّروه بـ (دار) أو (هذه) [5]، ولا يحسن أن تكون (يا) هنا حرف تنبيـه لـئلا يتـوالى حرفـان

١- نفسه: ١١/ ١٣-ذ١٤٤.

٢- نفسه: ١١/ ١٤٠.

٣- الآية ٢٥ من سورة النمل.

٤- *الأغاني*: ١٨/ ٣٥.

٥- ينظر:

- الزمخشري: *الكشاف*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض،ط١، سنة ١٩٩٨م، ٤/ ٤٤٨.
- العكبري: *إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٩م، ٢/ ١٧٣.
- البضاوي: *تفسير البيضاوي*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ٢/ ١٧٤.

بمعنى واحد فـ (ألا) حرف تنبيه! وقد عزز أبو الفرج ما ذهب بآية قرآنية.

ويرى ابن جنّي أنّ (يا) ولا منادى معها قد جرّدت من النداء، وخلصت تنبيها[1]. وجعل ابن فارس هذا الأسلوب من سنن العرب في إضمار الأسماء كقولهم: (ألا يا اسلمي) يريدون يا هذه اسلمي معززاً بآيةٍ من سورة النمل، ولعل ما ذكره أبو الفرج هو السائد في كتب النحو.

قُتيلي فجارٍ أنتما إن قتلتما بجوفٍ دحيسٍ أو تبالة يا اسمعا

...

يريد يا هذان اسمعا[2].

تعليق:

وتوجيه أبي الفرج هذا مثل سابقه.

ألا يا لَقومي للنوائب والدهرِ وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري

...

قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم يالَ كذا بفتح اللام، وإذا دعوت للشيء، قلت بالكسرة، تقول: ياللَرجال ويا لَلقوم، وتقول: يالِلغنيمة، ويالِلحادثة،أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة[3].

تعليق:

في أسلوب (الاستغاثة) يُجرّ المستغاث بلام مفتوحة والمستغاث له بلام مكسورة، وهذا ما نقله أبو الفرج عن الأصمعي، وهو متفق وما قرره النحاة[4].

١- *الصاحبي*: ص:٣٨٦.
٢- نفسه: ٢١/١٧٨.
٣- *الأغاني*: ٢١/١٧٨.
٤- ينظر:
- شرح ابن عقيل: ٢/٢٥٦.
- شرح الأشموني: ٢/ ٣٣٠.
- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط٣٩، سنة ٢٠٠١م، ٣/١٦٢،١٦١.

المبحث الثاني: الفعل وما يتعلق به

تصريف الأفعال ومعانيها:

يحتل الفعل في الدرس اللغوي العربي مكانة كبيرة لما يؤديه من وظائف متعددة، وهو فيه أحد أركان الجملة، والإسناد مستمد منه. ولأن كثرة استعماله تقتضي " أن تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الكثير في التعبير، لأن العربي جرت سليقته، ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة[1].

لا أريد التفصيل في دراسة الفعل فهذا أمر يطول، لتعدد زوايا النظر فيه[2]. فضلا عن أنّ ما أتصدى لبيانه عند أبي الفرج الأصفهاني وقفاته البيانية على الفعل في مروياته الشعرية، وآثرت أن أتناولها في هذا المبحث مرتبة على:

- تصريف الأفعال ومعانيها.
- أبنية الفعل واستعمالها.
- معاني الأفعال.

فأبو الفرج لم يقصد الوقوف على (الفعل) نحويا بل كانت وقفته دلالية، و للوصول إليها بما يتسق ومعنى البيت الذي ورد فيه ذ كر تصريفا وبناء ومعنى، وعلى الوجه الآتي:

تصريف الفعل:

-أناخوا فجروا شاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسربلوا

...

١- علي الجارم: الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية / القاهرة، سنة ١٩٥٣م، ٣١٧/٧.

٢- ينظر:

- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها،عالم الكتب/ القاهرة، ط ٦، سنة ٢٠٠٩،ص: ١٠٨.
- أحمد عبد الستار الجواري: نحو الفعل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / عمان،طبعة جديدة،سنة ٢٠٠٦م.

يقال شصا يشصو.شصا ببصره إذا رفعه كالشاخص"[1].

وتكررت وقفة أبي الفرج على البيت والفعل في ١١/ ٤٣ فقال:

"يقال شصا برجله إذا رفعها، وشصا ببصره إذا شخص"

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة شصى: "شصا السحاب يشصو"

ثم ذكر هذا البيت شاهدا.

- "يـــا لُبينـــى أوقـــدي النـــارا   إنّ مَـــنْ تهـــوين قـــد حـــارا

...

حار يحير هنا: ضل، وحار في موضع آخر: رجع"

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة(حير): "حار الرجـل في أمـره فهـو حـائر وحـيران.. ويجوز أن يراد ماكرّ ورجع..."

تتجلى هنا معرفة أبي الفرج اللغوي في أصل الفعل وتصريفه ومعناه.

"من تغلبٍ دنف أو معتمد...

المتعمد: الذي عمده الوجع يعمده عمدا"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (عمد): "عمدت فلانا أعمده عمدا أي قصدته...

والعميد: المعمود الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يعمـد بالوسـائد... وأما قول ابن ميادة:

وأعمد من قومٍ كفاهم أخوهم

.... قال عرّام: "إني أجد من ذلك ألماً ووجعاً".

١- *الأغاني* ١/ ١٨٩.
٢- *الأغاني*: ٢/ ٩٧.

وجاء في الصحاح مادة (عمد):

"وعمده المرض أي: فدحه"

-أيهـــا الـــشامت المعيّـــر بالدهـــ ـــــر أأنـــت المـــبرأ الموفـــورُ.

...

الموفور: الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء، يقال: وفر يوفر"[1]

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (وفر):

"الوفر:المال الكثير الذي لم ينقص منه شيء وهو موفور"

وجاء في الصحاح مادة(وفر):

"والموفور: الشيء التام... قال الفراء:إذا عـرض عليـك الـشيء فلـك أن تقـول توفر وتحمد"

جمع أبو الفرج بين معنى المفردة وتصريف الفعل.

"فـلا زلْـنَ حَـسْرى ظلّعـا لم حملْنهـا إلى بلـــدٍ نـــاءٍ قليـــل الأصـــادقِ

....

يقال: حسر ناقته فهو يحسرها"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (حسر):

"والحسر والحسور: الإعياء، تقول: حـسرت الدابـة وحـسرها بعـد الـسير فهـي حسير ومحسورة وهن حسرى".

وجاء في الصحاح مادة (حسر):

"حسر البعير يحسر حسورا."

والتطابق واضح.

١- نفسه ٢/ ٢٢٨.

٢- *الأغاني*: ٧/ ٢١٢.

"أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدللِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

...

وأزمعت صُرمي وأجمعت وعزمت وكلّه سواء... يقال: صرمته أصرِمه صرما مفتوح إذا قطعته"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (زمع):

"قال الخليل:أزمعت على أمر... إذا ثبت عليه عزمك،وقال الكسائي:يقال أزمعت الأمر..."

وجاء فيه مادة (صرم):

"صرمت الشيء صرما، إذا قطعته."

يذكر أبو الفرج الفعل وما يشترك معه في الدلاله مبتغيا انفتاح النصّ على المتلقي فضلا عن بيان تصريف الفعل.

"فتوضحَ فالمقراة لم يَعفُ رسمها لما نسجتها من جنوبٍ وشمالِ

...

ويقال:عفا يعفو عُفُواً وعفاء"[2].

تعليق:

وجاء في كتاب العين مادة(عفو):

"تقول:عفت الديار تعفو عُفُواً، والريح تعفو الدار عفاءً وعُفُوا."

جاء في الصحاح مادة (عفا):

"العفاء بالفتح والمدّ: التراب... وقال أبو عبيدة: العفاء:الدروس، والهلاك... وعفت الريح المنزل:درسته، وعفا المنزل يعفو: درس، يتعدى ولا يتعدى."

١- *الأغاني* ٩/ ٥٥.
٢- نفسه ٩/ ٥٥.

فأنظر دقة أبي الفرج في معرفته اللغوية، وهو لا يقصد أن يحوّل تعليقاته الى درس في التصريف قدر ما يبين ما يكون عليه الفعل ومصادره.

"... فسلّي ثيابي من ثيابك تنسُلِ

...

وقوله: تنسُل: تَبِنْ عنها، ويقال للسن إذا بانت فسقطت والنصل اذا سقط: نَسَلَ ينسُلِ"[1].

تعليق:

وجاء في كتاب العين مادة(نسل):

"واما ينسُل نسولا فخروج الشيء من الشيء وسقوطه كتسيل شعر الدابة اذا نسل فسقط... وعلى هذا المعنى قول امرئ القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تنسُلِ"

وجاء في الصحاح مادة (نسل):

" ويقال:

نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلا ونسل الثوب عن الرجل: سقط."

وسع أبو الفرج دلاله نسل اي سقط للسن والنصل والثوب.

"تسلت عمايات الرجال عن الصِبا...

والصبا: اللعب، قال ابن السكيت: صبا يصبو صَبْوا وصبوا وصباء وصِبا"[2].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (صبو):

"صبوت اليه صُبُوا... تصبو...وفلان يصبو الى معالي الأمور".

وجاء في الصحاح مادة (صبا):

"وصبا يصبو صبوة وصُبُواً... وصَبي صَباء مثل سمع سماعا."

١- الأغاني: ٩/ ٥٥.
٢- الأغاني: ٩/ ٥٦.

ينسب ابو الفرج تصريف الفعل الى ابن السكيت ليمنح التصريف وثاقة، ويعدد الصيغ التي تشتق منه.

"وقد أغتدي والطير في وكناتها...

...ويروى...

وقد أغتدي والطير في وكراتها...

بالراء... وهي الوقنات... وقد وقن يَقِن، وقال الأصمعي:

إذا أوى الطير إلى وكره قيل: وَكَرَ يَكِرُ و وَكَنَ يَكِن."[1]

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (وكن):

"وكن: الطير في وُكُناتها و وُكَناتها و وُكْناتها في مواقعها وأعشاشها."

وجاء في الصحاح مادة (وكن):

"الوكن بالفتح:عش الطائر في جبل أو جدار... قال الأصمعي:

مأوى الطائر في غير عش،الوكر بالراء:ما كان في عش...

والجمع وكنات، ووكنات."

لم يرد ما ذكره أبو الفرج (وقن -يقن)بهـذا المعنـى لا في (كتـاب العـين)و لا في (أساس البلاغة) ولا في (الصحاح).

"هريـــــرة ودّعْهــــا وإن لام لائــــمُ غــداة غــدٍ أم أنــت للــبين واجــمُ

....

الواجم: الساكت المطرق من الحزن،يقال وَجَم يَجِمُ وجوماً."[2]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (وجم):

"وَجَم من الأمر وجوما،والواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عـن الكـلام...

١- الأغاني: ٩/ ٥٧.
٢- الأغاني: ٩/ ٧٩.

ويقال لم أجم عنه: لم أسكت عنه فزعا."

وهو ما أراده أبو الفرح من التصريف والمعنى.

"بهـا العـين والآرام يمـشي خِلْفـةً   وأطلاؤهـا ينهـضن مـن كـلّ مَجْـثَم

...

ويروى: مَجْثَم، ومجْثِم قال: جَثَمَ يجثُم جثوما، ومن قـال: مجثِم قـال جـثم يجـثِم جَثْما."(١)

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (جثم):

"جثم الطائر، أي تلبد بالارض، يجثِم، يجثُم جثوما، وكذلك الإنسان"

والتطابق واضح.

"أهوى لها أسفع الخدين مطّرقُ...

وقال: هوى: انقضّ، وأهوى: أوفى."(٢)

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (هوى):

"وهو الطائر يهوي هَوْيا... وتقول: أهوى إليه فأخذه أي أهوى إليه يده."

وجاء في الصحاح مادة (هوى):

"الأصمعي: هوى بالفتح يهْوى هويا أي سقط إلى أسفل..."

استعمل أبو الفرج (انقـضّ) بمـا يناسـب سـياقه، ولم أجـد (أوفـى) مـن معـاني أهوى!

"زعـم البـوارح أنّ رحلتنـا غـداً   وبـذاك تنعـابُ الغـراب الأسـود

....

يقال: نعَب الغراب ينعِب ونعباناً، والتنعاب تَفْعال من هذا."(٣)

١- نفسه ١٠/ ٢٢٥.
٢- *الأغاني*: ١٠/ ٢٤٠.
٣- *الأغاني*: ١١/ ٩.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (نعب):

"نعب الغراب أي صاح ينعِب نعبا ونعيبا ونعبانا وتنعابا."

والتطابق واضح.

"كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب...

...

وكليني أي دعيني.ووكلته إلى كذا أكِلَه وِكالةً."[1]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (وكل):

"يقال وكّلته بأمر كذا توكيلا، والاسم الوَكالة والوِكالة..."

وقول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب.... أي دعيني."

- ولا تعليق.

"علــى عارفــات للطعــان عــوابسٍ   بهــنّ كلــومٌ بــين دامٍ وجالــبِ

...

وجالب أي عليه جُلبة وهي قشرة تكون على الجرح، يقال جَلَبَ الجرح يجلِب جلوبا وأجلب إجلابا."[2]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (جلب):

"والجُلْبة:جُليدة تعلو الجرح عند البُرء، تقول منه: جَلَب الجـرح يجلِـب ويجلُـب، وأجلب مثله."

اختار أبو الفرج (يجلِب) مضارعا،وذكر (أجلب).

١- نفسه ١١/ ١٤.
٢- الأغاني: ١١/ ١٥.

"يا دار ميّة بالعلياء فالسند...

والعلياء: المكان المرتفع بناؤه، يقال من ذلك علا يعلو وعَلِيَ يعلى مثل حلا يحلو وحلِيَ يحْلِى، وحلا يسلو وحلي يسْلى."[1]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (علا):

"علا في المكان يَعْلو علوّاً... ويقال أيضا: علا بالفتح يعْلِي.

قال رؤبة:

لما علا كعبك بي عليتُ

فجمع بين اللغتين."

وجاء فيه مادة (حلا):

"يقال:حلا الشيء يحلو حلاوة... ويقال حَلِيَ فلان بعيني بالكسر وفي عيني وفي صدري يحْلِي إذا أعجبك."

وجاء فيه مادة (سلا):

"سلوت عنه سلوّاً وسليت عنه بالكسر سِليا مثله."

وتتجلى هنا معرفة أبي الفرج بالتصريف وذكر النظائر فيه.

" هذا الثناء فإنْ تسمعْ به حسناً   فلم أعرِّض أبيتَ اللعنَ بالصفد

... يقال: أصفده يُصفده إصفادا إذا أعطاه وصفده، يَصفده صفدا إذا أوثقه"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (صفد):

" صفَد يصفِده صفدا أي شدّه وأوثقه... والصَفَد بالتحريك:العطاء، والصفد: الوثاق، وأصفدته إصفادا أي أعطيته مالا أو وهبت له عبدا."

١- *الأغاني*: ١١/ ٢٣.
٢- *الأغاني*: ١١/ ٢٦.

والأمر واضح عند الموازنة بين النصين، والتصريف مطلوب في صفد وأصفد.

"ولا قرار على زأر من الأسدِ

...

والزأر: صياح الأسد يقال: زأر زئيرا وهو الزأر."[1]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (زأر):

"الزئير: صوت الأسد في صدره، وقد زأر يزأر زأرا وزئيرا."

- والموازنة واضحة.

"إذا المــالُ لم يوجــب عليــك عطــاءه صــنيعةُ تقــوى أو صــديق توامقــه

...

توامقه: تفاعله من الموامقة أي تودّه ويودّك، يقال ومقته أمقه أي أحببته"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (ومق):

"المقة: المحبة... وقد ومِقه بمِقه بالكسر فيهما أي أحبه فهو وامق."

وآشتق (وامقه) على فاعله الدالّ على المشاركة، والمعنى متطابق.

"خليلــيّ عوجــا اليــوم نقــض لبانــةً وإلا تعوجــا اليــوم لا ننطلــقْ معــا

وإن تنظراني اليوم أتبعكَما غدا....

وعوجا: احبسا، وتلبثا، عاج يعوج عياجا، وما أعـيج بكلامـك أي مـا التفـت إليه... وتُنظراني وتُنظراني، يقال نظرته أنظره، وأنظرته أنظره إنظارا ونظـره أيـضا إذا أخّرته[3]، قال الله عزوجل: (فنظِرة إلى ميسرة)"[4].

١- *الأغاني*: نفسه ١١/ ٢٦.
٢- *الأغاني*: ١١/ ١٣٣.
٣- نفسه ١١/ ١٣٩.
٤- من الآية ٢٨٠من سورة البقرة.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (عوج):

"وعجت بالمكان أعوج، أي: أقمت به... وذكر ابن الأعرابي: فلان ما يعوج عن شئ أي: مايرجع عنه."

وجاء فيه مادة (نظر):

"والنَظِرة بكسر الظاء التأخير. وأنظرته أي: أخرته."

وعلى عادة أبي الفرج في ذكر النظائر من الأفعال: عاج، ونظر وتصريفهما، ومعانيهما.

"قال: وعجرد مأخوذ من المعجرد، والعريان في اللغة، يقال:يتعجرد الرجل إذا تعرى فهو يتعجرد تعجردا، وعجردت الرجل أعجرده عجردة إذا عريقة"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (عجرد):

"قال الفراء: المعجرد: العريان."

وفي المعنى غناء، والتصريف معروف.

"عـوّدوا مهـري الـذي عوّدتـه   دلج الليـل وإيطـاء القتيـل

...

والدلج: السير في آخر الليل، يقال دَلَجَ يدلِج مخففة إذا سار من آخر الليل، وأدّلج يدّلج إذا سار الليل كله"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (دلج): "الدَلَج والدُلجة سير وارتحال في الليل... ويقال: أدلج من آخر الليل، وادّلج الليل كله.

١- *الأغاني*: ١٤/ ٢٠٦.
٢- *الأغاني*: ١٧/ ١٧٦.

جاء في الصحاح مادة (دلج):

"أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل، والاسم الدَلَج بالتحريك...فإن ساروا من آخر الليل فقد ادّلجوا بتشديد الدال."

ونص أبي الفرج يتطابق مع نص (كتاب العين) !

أبنية الفعل واستعمالها:

فعل وأفعل وفاعل:

- "جَرَت سُنُحا فقلتُ لها أجيزي نوىً مشمولةً فمتى اللقاءُ

...

وقوله أجيزي أي أنفذي، قال الأصمعي: يقال أجزت الوادي إذا قطعته وخلّفته، وجزتُهُ أي سرتُ فيه فتجاوزته، وجاوزتُهُ مثلُه"[1].

تعليق:

الفعل: جاز وأجاز وجاوز في الاستعمال:

جاء في الصحاح مادة (جوز):

"جزت الموضع أجوزه...وأجزته أي خلفته وقطعته... وجاوزت الشيء إلى غيره وتجاوزته بمعنى أي أجزته."

-"حنّت إلى برقٍ فقلتُ لها قِري بعض الحنين فإنّ شجوك شائقي

...

وقوله: قِري من الوقار."[2]

١- *الأغاني*: ٢/ ١٣٦، وتكرر هذا في ١٠/ ٢٤٢.
٢- نفسه: ٢/ ١٥٦.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (وقر):

"الوقار: الحلم والرزانة، وقد وقر الرجل يقر وقاراً وقرةً...قال تعالى: (وقـرن في بيوتكن). والمراد واضح.

زرى، وأزرى:

"أزرى بنـــا أننـــا شـــالت نعامتنـــا فخـــالني دونـــه بـــل خلتـــه دونـــي

...

معنى قوله أزرى بنا: قصّر بنا، يقال: زريت عليه إذا عبت عليه فعله، وأزريـت به إذا قصّرتُ به في شيء، وشالت نعامتهم إذا انتقلوا بكليتهم، يقال شالت نعامتهم، وزفّ رألهم إذا انتقلوا عن الموضع،ولم يبق فيه منهم أحد، ولم يبـق لهـم فيـه شـيء، وخالني: ظنني، يقال: خلت كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننته."[1]

تعليق:

يذكر أبو الفرج هنا أكثر من فعل: زرى وأزرى – شال- زفّ-خال.

جاء في الصحاح مادة (زرى):

"زريت عليه بالفتح...إذا عبت عليه... يقال: أزريت به إذا قصّرت به."

واستعمال: شالت نعامتهم كناية عن صفة لم يرد مثل هذا التعبير في المعجم.

وفي مادة (زفف):

"يقال للطائش الحلم:قد زفّ رأله..." واستعير للانتقال.

إخال:

"خلت الشيء خيلاً وخيلة ومخيلة وخيلولة، أي ظننته... وهو مـن بـاب ظننـت وأخواتها... وتقول في مستقبله إخال بكسر الألف وهو الأفصح".

١- الأغاني: ٣/ ٦١.

وقد بلغ أبو الفرج مراده من معاني هذه الأفعال.

تصحيح صيغة فعل:

"مــا مــرّ يــومٌ إلا وعنــدها لحــمُ الرجــال أو يَوْلغــان دمــا

...

وكان قال في قصيدته هذه (أو يالغان دما) بالألف، وكذلك روي عنه ثمّ غيّرته الرواة... سُئل يونس عن قول ابن قيس الرقيات:

مــا مــرّ يــومٌ إلا وعنــدها لحــمُ الرجــال أو يَوْلغــان دمــا

فقال يونس: يجوز يَوْلغان و لا يجوز يالغان، فقيل له: فقد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حجازي فصيح،فقال: ليس بفصيح ولا ثقة، شغل نفسه بالشرب بتكريت"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (ولغ):

"ولغ الكلب في الإناء يلغ ولوغاً أي: شرب ما فيه بأطراف لسانه، ويُولَغ أي أولغه صاحبه، قال الشاعر:

مــا مــرّ يــومٌ إلا وعنــدها لحــمُ الرجــال أو يَوْلغــان دمــا"

ونص أبي الفرج أكثر دقة ووثاقة؛ لأنّ يروي الصيغة عن يونس بن حبيب وكفاه به ثقة وعلما.

فعُل يفعُل:

"قالت أميمة ما لجسمك شاحباً...

الشاحب: المُغيّر المهزول، يقال: شَحُب يشحُب"[2].

١- *الأغاني*: ٥/ ٥٧-٥٨.
٢- نفسه:٦/ ١٩١.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (شحب):

"شحب جسمه يشحُب شحوبا إذا تغيّر"

والنصّان متطابقان.

حذا وحدا:

"فآليتُ لا أنفك أحدو قصيدة تكون وإيّاها بها مثلا بعدي

... ويروى (أحذو قصيدة) فمن قال: أحذو بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: (أحدو) أراد أغنّي"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (حذا):

"حذوت الفعل بالفعل حَذْوا قدّرت كل واحدة على صاحبتها، يقال: (حذو القُذّة بالقذة)."

وفي مادة (حدا):

"الحدو: سوق الإبل والغِناء لها"

وكلاهما مراد على ما روي.

فعل بـ:

"خليلي الذي دلّى لغيٍّ خليلتي جهارا فكلٌّ قد أصاب عُرورها

يقال: عَرّه بكذا أي أصابه به"[2].

---

١ - الأغاني: ٦/ ١٩٣.
٢ - الأغاني: ٦/ ١٩٤.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (عرر):

"وعرّه بشرٍّ أي: لطخه به فهو معرور وعرّه أساءه"

وما قاله أبو الفرج منتزع من هذا.

فعل وأفعل ومستقبلهما:

"فلا تجزعَنْ من سنّةٍ أنت سرْتَها   فأول راضٍ سنّة مَنْ يسيرها

ويروى قد أسرتها أي جعلتها سائرة، ومن رواه هكذا روى (يُسيرها)؛ لأنّ مستقبل أفعل أسارها يُسيرها و (يَسيرها) مستقبل سار السيرة يسيرها."[1]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (سير):

"سار يسير سيراً ومسيراً وتسياراً...وسارت الدابة وسارها صاحبها يتعدى ولا يتعدى قال الهذلي:

فلا تجزعَنْ من سنّةٍ أنت سرْتَها   فأول راضٍ سنّة مَنْ يسيرها"

وإضافة أبي الفرج في (أسار) واضحة.

فعل بالواو والياء:

"تسلّت عمايات الرجال عن الصبا...

تسلّت: ذهبت، يقال: سلوتُ عنه وسليت إذا طابت نفسك بتركه، قال رؤبة:

لو أشرب السلوان ما سليت"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (سلا):

"سلوت عنه سلّواً وسليت عنه بالكسر... قال الأصمعي: يقول الرجل لصاحبه:

١- نفسه: ٦/ ١٩٥.

٢- *الأغاني*: ٩/ ٥٦.

سقيتني سلوةً وسلواناً أي: طيّبت نفسي عنك".

ولأبي الفرج شاهدان لهذا المعنى.

"إنّ الخليط أجدّ البين فانفرقا...

وأجدّ وجدّ بمعنى واحد، من الجدّ خلاف اللعب"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (جدد):

"تقول منه: جدّ في الأمر يجِدّ جدا بالفتح ويجُدّ، وأجدّ في الأمر مثله، قال الأصمعي: يقال إنّ فلانا لجادّ مجدّ باللغتين جميعاً".

جمع أبو الفرج اللغتين في الفعل، واستعمل مصطلح (مستقبل) للدلالة على صيغة (يفعل).

انفعل:

"إنّ الخليط أجدّ البين فانفرقا...

انفرق: انفعل من الفرقة"[2].

تعليق:

حاء في الصحاح مادة (فرق):

" فرقت بين الشيئن أفرُق فرقاً وفرقاناً، وفرّقت الشيء تفريقاً وتفرقةً فانفرق، وافترق، وترّق".

يوضح أبو الفرج استعمال صيغة (انفعل) من (فرق).

أفعل:

"صددت فأطولت الصدود ولا أرى وصالاً على طول الصدود يدوم

١- نفسه: ١٠/ ٢٣٣.

٢- *الأغاني*: ١٠/ ٢٣٣.

أطولت الصدود أي أطلته وإنّما قال هذا ضرورة[1].

تعليق:

استشهد به سيبويه وعلّق قائلا: وإنّما الكلام: وقلّ ما يدوم وصال[2].

وكرر الكلام في موضع آخر، ولم يقف على (أطول)، ونسبه محقق الكتاب إلى عمر بن أبي ربيعة، وفي الهامش قال: أو المرار الفقعسي.

جاء في الصحاح مادة (طول):

"وطُلْت، أصله طولْت... وأطلت الشيء وأطولت على النقصان والتمام بمعنى، وأنشد سيبويه للمرار:

صددت فأطولت الصدودا".

ولاتعليق.

فَعَل، وتفعّل:

"فمن بمحفله كم بنجوته...

وقد روي (بمحفشه) وهما واحد، ومعناهما مجرى معظم السيل،... ويقال في معنى المحفش، حفشت الأودية إذا سالت، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه[3].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (حفش):

"وحفش السيل يحفش حفشا إذا سال من كل جانب... ويقال معنى قوله عليه السلام-: (هلا قعد في حِفْش امّه)، اي عند حِفْش امّه"

والتطابق واضح.

١- نفسه: ١٠/ ٢٣٣.
٢- الكتاب (طبعة هارون): ١/ ٣١.
٣- الأغاني: ١١/ ٤٨.

معاني الأفعال:

يؤرث:

"رب نـــار بـــتّ ارمُقهـــا تقعـــنم الهنـــديّ والغـــارا

عنـــدها ظـــبي يؤرثهـــا عاقـــد في الجيـــد زنّـــارا

...

يؤرثها: يوقدها ويكثر حطبها"[1].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (أرث):

"أرّثْ نارك أوقدها".

في نص أبي الفرج إضافة إلى المعنى اللغوي بقوله:(يكثر حطبها).

تعتاق:

"ينـــسون إخـــوانهم ومـــصرعهم وكيـــف تعتـــاقهم مخالبُهـــا

...

تعتاقهم: تحبسهم، يقال: اعتاقه واعتقاه"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (عوق):

"عاقه فاعتاقه وعوّقه... ويجوز عقاني في معنى عاقني"

جاء في أساس البلاغة مادة (عوق):

" أخرتني عائقة من عوائق الدهر... وعاقه واعتاقه وعوّقه"

والمعنى واضح وتصريف الفعل دقيق عند أبي الفرج وما ورد في (كتاب العين).

١- *الأغاني*: ٢/ ٩٤.
٢- نفسه: ٢/ ٩٤.

يخبو:

"ولكن كالشهاب فثمّ يخبو...

ويخبو: يطفأ"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (خبو- وخبأ):

"خبت النار تخبو... أي طفئت"

وليس بنصّ أبي الفرج حاجة إلى تعليق.

تمشّى:

"عفى من سليمى مسحلان فحامرُه   تمشّى به ظلمانُهُ وجآذره

...

وتمشّى: تكثر المشي"[2].

تعليق:

من المعروف المشهور صرفيا أنّ من معاني صيغة (فعّل) تكثير الحدث وتكراره.

جاء في الصحاح مادة (مشا)

"مشى يمشي مشيا، ومشّى تمشية".

تُلقي:

"صهيبية صفراء تلقي رباعها...

تلقي رباعها: تطرح أولادها..."[3].

١- الأغاني: ٢/ ٩٧.
٢- الأغاني: ٢/ ١٠٠.
٣- نفسه: ٢/ ٢١١.

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (ربع):

"وفرس رباع...."

وجاء في الصحاح مادة (ربع):

"فالرُبع: الفصيل يُنتج في الربيع، وهو أول النتاج، والجمع رباع".

وهذا ما أراده أبو الفرج من (رباعها).

يدلح وأدجن:

"بأحســن منهــا ولا مزنــة دلح تكــشّف إدجانهــا

...

يقال: مرّ يدلحُ بحمله إذا مرّ به مثقلا...يقال: أدجنت السماء، وقولـه: تكـشّف إدجانُها إذا انكشف السواد عنها، وذلك أحسن لها، أراد مُزْنة بيضاء"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين (طبعة المخزومي والسامرائي) مادة (دلح):

"دلح البعير فهو دالح إذا تثاقل في مشيه من ثقل الحمل".

ولم يرد (أدجن) في العين، وإنّما ورد في أساس البلاغة (دجن):

"ودجنت السماء وأدجنت".

وجاء في الصحاح مادة (دجن):

"وقد دجن يومنا يدجُن بالضم دجنا ودجونا... وأدجنت السماء: دام مطرها".

وما ساقه أبو الفرج يتفق وما ورد في المعجمات في (دلح) و (دجن – أدجن).

يجنّ وأندب:

"يــا لقــومي قــد أرقــتني الهمــوم ففــؤادي ممــا يُجــنّ ســقيمُ

١- الأغاني: ٢/ ٢٨٠-٢٨١.

أنـــدب الحـــبُّ في فـــؤادي ففيـــه لـــو تـــراءى للنـــاظرين كلـــومُ

يجنّ: يخفي، والجُنّة من ذلك، والجنّ أيضا مأخوذ منه، وأندب: أبقى ندبا فيه ندبا وهو أثر الجرح"[1].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (جنن):

"جنّة: ستره... واستجنّ بجُنّة: استتر بها... ولا جِنّ بكذا أي لا خفاء به".

وجاء فيه في مادة (ندب):

"به ندب من الجرح... فأندبه: أثّر بجلده".

وجاء في الصحاح مادة (جنن):

"يقال أيضا: جنّة الليل وأجنّه بمعنى... والجُنّة بالضم ما استترت به من سلاح".

ما ذكره أبو الفرج متفق مع ما ورد في المعجمين.

يربع، انتصّ، استبى:

"بكـــرت سُـــمّيه غـــدوةً فتمتعـــي وغـــدوت غـــدوّ مفـــارق لم يربـــع

وتعرّضـــت لـــك فاســـتبتك بواضـــحٍ صَـــلتٍ كمنـــتصّ الغـــزال الأتلـــعِ

...

ولم يربع: لم يُقِم... يقال: انتصّ فلان أي انتصب، ومنصة العروس مأخوذة من هذا، ومنه نصّ الحديث: رفعه إلى صاحبه، واستبتك: غلبتك على عقلك"[2]

تعليق:

في النصّ وقف أبو الفرج على ثلاثة أفعال:

لم يربع – وانتصّ – واستبى.

١- نفسه: ٣/ ٣٢.
٢- الأغاني: ٣/ ١٨٨-١٨٩.

جاء في أساس البلاغة في مادة (ربع):

"ربع بالمكان: أقام به".

وجاء في مادة (نصص):

"الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصة وهي تنصّ عليها... ومن المجاز نصّ الحديث إلى صاحبه، قال: ونصّ الحديث إلى أهله...، ونصّ فلان سيدا: نُصِبَ".

وجاء في مادة (سبي):

"ومن المجاز هن يسبين القلوب، ويستبين".

فانظر أيها المتلقي كيف تطابق ما قاله أبو الفرج والمعجم.

ساخ:

"ساخَ وارتدّ أو لكان له ... في سائر الأرض عنك منعرجُ

...

وقوله: (لساخ أي لغاض في الأرض، وارتدّ أي عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا كان له منعرج إلى سائر الأرض"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (سوخ):

"ساخت الأرض... انخسفت، وكذلك تسوخ الأقدام في الأرض".

وفي أساس البلاغة مادة (سوخ):

"ساخت قوائم الدابة في الأرض، وهذه أرض تسوخ فيها الأقدام".

وفي تاج العروس باب الخاء:

"ساخت قوائمه في الأرض...أي غاصت"

ويبدو لي أنّ محققي كتاب الأغاني وقعوا في تصحيف (غاص) فذكروا (غاض)، وربما كان خطأ طباعيا! فبينهما فرق دقيق.

١- الأغاني: ٤/ ٢٢٢.

وجاء في الصحاح مادة (ردد):

"والارتداد: الرجوع من المرتدّ".

فتأمل تعبير أبي الفرج عن (ارتدّ) ما أجمله!

يُعرّض:

"فأمر له بسبعمئة دينار في قضاء دينه، ومئة دينار يتجهز بها، ومئة دينار يُعرّض بها أهله... قوله: (يُعرّض بها أهله) أي يُهدي لهم بها هدية، والعُراضة: الهدية قال الفرزدق...:

كانت عُراضتك التي عَرّضتنا يوم المدينة زكمة وسُعالا"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (عرض):

"ويقال: اشترِ عُراضة لأهلك أي: هدية وشيئا تحمل".

من الأفعال النادرة الاستعمال في معناه، والمعجم يتفق والذي ساقه أبو الفرج هنا، وما جاء في أساس البلاغة مادة (عرض):

"وعرّض قومه: أهدى لهم عند مقدمه، واشترِ عُراضة لأهلك".

تراءى:

"سَلِ الدارَ من جَنْبي حبِّرٍ فواهبٍ إذا ما رأى هَضْبَ القليبِ المضيّحُ

ثمّ جُزْتُ، فقال لي قفْ فوقفت، فقال لي: ماذا يقول؟ فلم أدرِ ما يقول! فقال لي حمّاد: يا ابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا"[2].

تعليق:

ينقل أبو الفرج خبراً عن حمّاد الراوية "وكان من أعلم الناس بأيام العرب

١- *الأغاني*: ٤/ ٢٧٠.
٢- *الأغاني*: ٦/ ٥٦.

وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغتها[1]، وقال أبو عمرو الشيباني صاحب كتاب (الجيم): "ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حمّاد الراوية إلا قدّمه على نفسه، ولا سألت حمّادا عن أبي عمرو إلا قدّمه على نفسه"[2].

والمعنى الذي ذكره حمّاد قاربه أساس البلاغة (مادة رأى):

"تراءينا الهلال، وتراءت لنا فلانة تصدّت لنا لنراها"

وجاء في الصحاح مادة (رأى):

"ويقال: قوم رئاء أي: قابل بعضهم بعضا، وتراءى الجمعان:رأى بعضهم بعضاً".

وفي نص الصحاح مطابقة مع ما ذكره أبو الفرج نقلا عن حمّاد.

رقّش:

"والـــدار وحـــشيّ والرســـوم كمـــا رقّـــشَ في ظهـــر الأديـــم قَلَـــمْ

... ورقّش: زيّن"[3].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (رقّش): "وهو يترقش للناس: يتزيّن لهم".

واستشهد الجوهري في الصحاح مادة (رقش) بالبيت المذكور في رواية أخرى:

والـــدار قفـــرٌ والرســـوم كمـــا رقّـــشَ في ظهـــر الأديـــم قَلَـــمْ

والمعنى الذي ذكره أبو الفرج واضح.

تشاب:

-"مطافـــل أبكـــار حـــديث نتاجهـــا تـــشاب بمـــاءٍ مثـــلِ مـــاء المفاصـــلِ

...

١- نفسه: ٦/ ٥٥.

٢- نفسه: ٥/ ٥٧.

٣- نفسه: ٦/ ٩٢.

وتشاب: تخلط[١].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (شوب):

"شاب العسلَ بالماء"، أي خلط.

مطابق.

ابتذل:

"قالت أمامة ما لجسمك شاحباً ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

..."

ابتذلت: امتهنت نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العمل والسفر، ومثل مالك يغنيك عن هذا[٢].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (بذل): "وابتذل نفسه إذا امتهنها"

وهو المراد عند أبي الفرج.

يلائم، أقضّ:

"أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا ... إلا أقضّ عليك ذاك المضجع"

ويلائم: يوافق، أقضّ عليك أي خَشُنَ فلم تستطع أن تضطجع عليه[٣].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (لأم): "وفلان لا يلائمني: لا يوافقني".

مطابق.

١- *الأغاني*: ٦/ ١٩١.
٢- *الأغاني*: ٦/ ١٩١.
٣- نفسه:٦/ ١٩١-١٩٢.

وجاء في أساس البلاغة مادة (قضض): "وأقضّ عليه المضجع، وأقضه عليه الهم،واستقضّه صاحبه، ودرع قضّاء: خشنة المسّ لمّا تنسحق".

وهو المراد عند أبي الفرج.

ودّع:

"فأجبتها أن ما لجسمي أنّه   أودى بنيٌّ من البلاد فودعوا

...

وودّعوا: ذهبوا، استعمل ذلك في الذهاب؛لأنّ من عادة المفارق أن يودّع"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (ودع):

"والوداع: توديعك أخاك في المسير، والوَداع: الترك والقلى، وهو توديع الفراق"

وانتزع أبو الفرج ما قاله من هذه المعاني.

تحالى، وأطور:

"فشأنكها إنّي أمين وإنني   إذا ما تحالى مثلها لا أطورها

تحالى: من الحلاوة، أطورها: أقربها"[2].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (حلو):

"تحالى الرجل، وتحالت المراة أظهرت حلاوتها".

وجاء في الصحاح مادة (طور):

"ويقال: لا أطور به، أي: لا أمرّ به"

ولعلك تدرك هنا دقة أبي الفرج في الفعلين ومعناهما.

١- الأغاني: ٦/ ١٩١-١٩٢.
٢- نفسه: ٦/ ١٩٤.

نشور:

وقاسمهما بالله جهداً لأنتمُ ألذ من السلوى إذا ما نشورها

نشورها: نجتينها[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (شور):

"وشرت العسل واشترتها أي: اجتنيتها"

وما ذكره أبو الفرج متطابق مع المعجم.

تجور:

فإن التي فينا زعمت ومثلَها لفيك ولكنّي أراك تجورها

تجورها: تُعرض عنها[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (جور):

"الجور: الميل عن القصد، يقال: جار عن الطريق"

اختار أبو الفرج (تعرض) بما يناسب النصّ متكئا على الدلالة المعجمية، فهو لا يتقيّد حرفيا بما ورد بل يتصرف ودلالة السياق في النصّ.

يرمح ويمصح:

وهجرةٍ من دون مية لم تَقِلْ قلوصي بها والجندبُ الجون يرمحُ

بتيهاء مقفار يكاد ارتكاضها بآل الضحى والبحر بالطرف يمصحُ

١- *الأغاني*: ٦/ ١٩٥.

٢- نفسه: ٦/ ١٩٥.

... وقوله يرمح أي ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقرّ علـى الأرض... يمـصح: يذهب بالطرف"[1].

تعليق:

لم أعثر على معنى (رمح) هذا في معجم، أما مصح فجاء في كتـاب العـين مـادة (مصح): "والدار تمصح: أي تدرس وتذهب".

وفي أساس البلاغة مادة (مصح): "مصح الظلّ: ذهب".

وما ذكره أبو الفرج من معنى دقيق بما يلائم السياق في البيت.

توجّس:

"حتى إذا استأنسا للوقـت واحتـضرت   توجـسا الـوح منهـا عنـد غاديهـا

توجسا: استمعا"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (وجس): "وتوجست الأذن إذا سمعت فزعاً"

وجاء في أساس البلاغة مادة (وجس): "توجّس الصوت: تسمّعه"

والتطابق واضح.

ترأد، واحتطب:

"تـرأد حـين قامـا ثمّـت احتطبـا   علـى نحـائف منـآد محانيهـا

ترأد: تثنيا، واحتطبا: دنوا"[3].

تعليق:

جـاء في كتـاب العـين مـادة (رأد): "وتـرأدت الحيـة أي اهتـزت في انـسيابها...

١- *الأغاني*: ٧/ ٢٨١-٢٨٢.
٢- *نفسه*: ٨/ ١٨٩.
٣- *الأغاني*: ٨/ ١٨٩.

والجارية المشوقة ترأد في مشيها"

وجاء في أساس البلاغة مادة (رأد): "والجارية المشوقة ترأد في مشيها، وترأدت الحية في انسيابها"

وجاء في كتاب العين مادة (حطب): لم يرد هذا المعنى الذي ذكره أبو الفرج في هذه المادة من كتاب العين!

وجاء في كتاب أساس البلاغة (حطب): "حطب الحطّاب واحتطب... وفلان يحطب رفقاءه ويسقيهم"

انتزع أبو الفرج هذا المعنى من هذه المادة بما يتناسب والسياق في البيت.

رضّ:

"مثلين رضّا رفاض البيض عن رغبٍ   ورِقّ أسافلُها بيضٌ أعاليها

...

رضّا: كسراً"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (رضض): "والرضراض: حجارة تترضرض على وجه الأرض أي تتحرك ولا تثبت، وسُمّيت بها لتكسّرها من غير فعل الناس بها".

وجاء في أساس البلاغة مادة (رضض): "وإمّا المِرَضّة بالكسر فلأنها ترضّه إلى الأرض أي تكسره إليها، وتميله، أو تفتر عظامه و تكسّرها".

والمعنى واحد.

انجلِ:

"ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ...

انجل: انكشف، والأمر الجلي: المنكشف، وقوله: أنا ابن جلا أي: أنا ابن

١- نفسه:٨/ ١٨٩.

المكشوف الأمر المشهور غير المستور، ومنه جلاء العروس، وجلاء السيف"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (جلو): "جلا الصيقل السيف جلاء، والماشطة تجلو العروس... والانجلاء: الانكشاف وعن الهموم، وجلا: اسم، قال:

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا..."

وجاء في الصحاح مادة (جلا): "وجلا: اسم رجل، سُمّي بالفعل الماضي...أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا... كأنّه قال: أنا ابن الذي يقال له جلا الأمور وكشفها...وجلوت السيف جِلاء بالكسر أي صقلت، وجلوت العروس جلاء أيضاً".

وما ورد في المعجمات لم يتجاوزه أبو الفرج.

بيقر:

"ألا هل أتاها والحوادث جمة ... بأنّ امرأ القيس بن تملك بيقرا

بيقر: أي جاء العراق والحضر، ويقال: بيقر الرجل إذا هاجر"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (بقر): "وبيقر الرجل أقام بالحضر وترك قومه بالبادية، قال امرؤ القيس: ألا هل أتاها...".

والمعنى واضح توسّع فيه أبو الفرج دلاليا.

عُلّق:

"عُلّقتها عَرَضَا وعُلّقت رجلا ... غيري وعُلّق أخرى غيرها الرجلُ

...

وعُلّقتها: أحببتها"[3].

١- *الأغاني*: ٩/ ٥٦.
٢- *الأغاني*: ٩/ ٥٩.
٣- نفسه: ٩/ ١١٥.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (علق): "والعَلَق أيضا: الهوى... وعلِق حبّها بقلبه أي: هويها... وعلّق الرجل امرأة من علاقة الحب، قال الأعشى: عُلّقتها عرضا..."

والموازنة تدلك على دقة ما ذكره أبو الفرج.

ما تنفك، وتأتكل:

أبلغ يزيدَ بنَ شيبانَ مألكة أبا ثُبيتٍ أما تنفك تأتكل

...

ما تنفك: ما تزال، وتاتكل: تتحرق[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (فكك): "وما انفك فلان قائما، أي: ما زال قائما".

وجاء في الصحاح مادة (أكل): "ويقال أيضا: فلان يأتكل من الغضب أي: يحترق ويتوهج".

والفعلان اللذان ذكرهما أبو الفرج متطابقان وما جاء في الصحاح.

تربّع:

كيف القرار وقد تربّع أهلها بعنيزتين وأهلها بالغيلم

...

تربّع أهلها: نزلوا في الربيع[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (ربع): "وارتبع البعير إذا أكل الربيع، وتربّع مثله، وارتبعنا بموضع كذا أي: أقمنا به في الربيع".

ذكر أبو الفرج (تربّع- ارتبع) أي أقام في الربيع، وهو ما أراده من الفعل.

١- *الأغاني*: ٩/ ١١٤- ١١٥.
٢- نفسه: ٩/ ١٦٣-١٦٥.

تـردّم:

"هل غادر الشعراء من متردم...

... يقال: تردّمت الناقة على ولدها إذا انعطفت عليه...وردم فـلان حائطـه أي بناه"[1].

تعليق:

جـاء في الـصحاح مـادة (ردم): "ردمـت الثلمـة أردِمهـا بالكـسر ردمـا أي: سددتها...والمتردم: الموضع الذي يُرقّع، قال عنترة: هل غادر الشعراء من متردم..."

ولم أجد معنى (تردمت الناقـة) في (كتـاب العـين) ولا (أسـاس البلاغـة)، ولا (الصحاح)، وربما كان هذا من فوات المعجمات.

تسربل:

"مـا زلـت أرمـيهم بثغـرة نحـره ولبانـه حتـى تـسربل بالـدم

...

وتسربل أي صار له سربال من الدم"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (سربل): "السربال: القميص، وسربلته فتسربل أي: ألبسته السربال".

والصيغة صحيحة، والمعنى واضح.

شكّ:

"فشككت بالرمح الطويل ثيابه...

وشككت بالرمح: نظمت"[3].

١- *الأغاني*: ٩/ ١٦٣-١٦٥.
٢- نفسه: ٩/ ١٦٣-١٦٥.
٣- *الأغاني*: ١٦٤-١٦٥.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (شكك): "وشككته بالرمح أي: خرقته وانتظمته".

ولاتعليق.

رنّق:

"وسنان أقصده النّعاس فرنّقت   في عينه سِنَة وليس بنائم

...

الترنيق: الدنوّ من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رنّقت العقاب لصيدها إذا دنت منه، ويقال: طير مرنّقة إذا جاءت تطير ثمّ أرادت الوقوع، ومدّت أجنحتها فلم تخفق وترجّحت، ويقال للقوم إذا قصّروا في سيرهم، وللسابح إذ قصّر في الخفق بيديه ورجليه: قد رنّقوا ترنيقا"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (رنق): "والترنيق: كسر جناح الطائر حتّى يسقط من آفة، وهو مرنق الجناح".

وجاء في أساس البلاغة مادة (رنق): "رنّقت منه المنية: دنا وقوعها"

وجاء في الصحاح مادة (رنق): "وارنقته أنا، ورنّقته ترنيقا أي: كررته...ورنّق الطائر إذا خفق بجناحيه في الهواء وثبت ولم يطر".

جمع أبو الفرج مادة (رنق) والمعاني التي يخرج إليهامن عدة معجمات على ما عرضناه.

سال:

"كأنّ عيني وقد سال السليل بهم...

سال السليل بهم: أي ساروا فيه سيرا سريعا، والسليل وادٍ"[2].

١- نفسه: ٩/ ٢٣١-٢٣٢.

٢- *الأغاني*: ١٠/ ٢٣٥.

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (سلل): "والسَلّ والسليل والسلان: جماعة أودية بالبادية".

وجاء في الصحاح مادة (سلل): "والسليل أي: الوادي الواسع الذي يُنبت السَلَم والسَمر... قال زهير:

كأنّ عيني وقد سال السليل بهم..."

فانظر كيف أفاد أبو الفرج من (سال) ومنح الفعل (سار) السرعة منه، وأسنده إلى الوادي على المجاز، كقوله:

أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطحُ

* البيت مختلف في نسبته، إذ ينسب إلى كثير عزة أو إلى يزيد بن الطثرية أو لعقبة بن كعب بن زهير، ينظر:

- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط١، سنة ١٩٩١م، ص:٢١.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، المحقق نفسه، دار المدني، جدّة، ط٣، سنة ١٩٩٢م، ص:٧٤،٧٥،٢٩٤، ٢٩٦.

أقوى:

"لمن الديار بقُنّة الحَجْر أقوين مذ حجج ومذ دهرِ

...

أقوين: خلون"[1].

ومثله ورد في قوله:

"أقوت وطال عليها سالف الأمد...أقوت: أقفرت وخلت من أهلها"[2].

١- الأغاني: ١٠/ ٢٣٦.
٢- نفسه: ١١/ ٢٣.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (قوا): "يقال: أقوت الدار وقويت أيضا أي: خلت".

وما ذكره أبو الفرج واضح.

أجمّ، وتأوب، وسحف:

"وكنت إذا ما جئت يوماً لحاجةٍ مضتْ وأجمّت حاجة الغد ما تخلو

...

تأوبني ذكر الأحبة بعد ما هجعت ودوني قُلّةُ الحزن والرملُ

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سُحِفَت فيه المقاديمُ والقملُ

...

وأجمّت: دنت، وتأوبني: أتاني ليلا، والتأويب: سير يوم إلى الليل، سُحِفَت: حُلِقَت، يقال: سَحَفَ رأسه وسبَتَه وجَلَطَه: حَلَقَه"[1].

تعليق:

ذكر أبو الفرج ثلاثة أفعال هي: أجمّت، تأوّب، سحف.

جاء في الصحاح مادة (جمم): "وأجمّ الأمر، إذا دنا وحضر".

وجاء فيه مادة (أوب): "التأويب: أن تسير النهار أجمع وتنزل الليل... وأبته إلى بني فلان وتأوبتهم إذا أتيتهم ليلا".

وجاء فيه مادة (سحف): "وسحف رأسَه، أي حلقه".

وجاء فيه مادة (سبت): "والسبت: حلق الرأس".

وجاء فيه مادة (جلط): "قال الفراء: جلمط رأسه، أي حلقه، والميم زائدة".

تتضح سعة اطلاع أبي الفرج اللغوية، ولم يعتد بالميم في (جلمط) فذكر (جلط) وعدّها من نظائر سحف وسبت.

١- نفسه: ١٠/٢٣٦.

أراح:

"وصدر أراح الليل عازب همّه..."

أراح: ردّ، يقال أراح الرجل إبله أي ردّها، فيقول: ردّ هذا الليل ما عزب من همي بالنّهار"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (روح): "وأراح إبله، أي: ردّها إلى المراح... وأرحت على الرجل حقّه إذا رددته عليه".

وما قصده أبو الفرج من معنى (أراح) متطابق مع ما ورد في المعجم.

تقاعس:

"تقاعس حتّى قلت ليس بمنقضٍ...

تقاعس: تأخر، وأصل تقاعس الرجوع إلى خلفٍ القهقرى"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (قعس): "والقعاس:التواء يأخذ في العنق من ريح كأنّما يكسره إلى الوراء".

وجاء في الصحاح مادة (قعس): "يقال: رجل أقعس وقعِس ومتقاعس... وتقاعس الرجل عن الأمر، أي: تأخر، ولم يتقدم"

يذكر أبو الفرج معنى الفعل وأصل استعماله.

لبّد:

"ردّت عليه أقاصيه ولبّده ضرب الوليدة بالمسحاة فالثأدِ

...

ولبّده: طمأنه"[3].

١- الأغاني: ١١/ ١٤.
٢- الأغاني: ١١/ ١٤.
٣- نفسه: ١١/ ٢٣.

تعليق:

وجاء في كتاب العين مادة (لبد): "لَبِد يلبد لبودا: لزم الأرض".

وجاء فيه مادة (طمن): "أرض منخفضة المتطأمنة".

وجاء في الصحاح مادة (لبد): "ولبد الشيء بالأرض بالفتح يلبد لبودا:تلبّد فيها، أي: لصق".

ومفردة أبي الفرج (طأمنه) وردت في كتاب العين وأساس البلاغة والصحاح في مادة (طمن): إطمأن وتطأمن، وهو ما أراده أبو الفرج.

رفّع:

"خلّست سبيل أتيٌّ كان يحبسه ورفّعته إلى السجفين فالنضدِ

...

ورفّعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السجفين، وليس رفّعته ها هنا من ارتفاع العلو"[1].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (رفع): "ورفعته لأمر كذا: قدّمته إليه".

وجاء في الصحاح مادة (رفع): "وكذلك رفّعته ترفيعا، والرفع تقريبك الشيء"

وهو المراد عند أبي الفرج.

أقوى:

"أقوت وطال عليها سالف الأمدِ

...

أقوت: أقفرت وخلت من أهلها"[2].

١- الأغاني: ٢٣/١١.
٢- الأغاني: ٢٣/١١.

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (قوي): "وأقووا: نزلوا بالقفر، وأقوت الدار من أهلها"

وواضح ما ذكره أبو الفرج.

أخنى:

"أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

...

وأخنى: أفسد"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (خنا): "وأخنى عليه الدهر أي: أتى عليه وأهلكه ومنه قول النابغة: أضحت خلاءً... وأخنيت عليه: أفسدت".

وهذا مراد أبي الفرج.

حفّ:

"يحفّه جانبا نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تُكحل من الرمدِ

...

يقال: حفّ القوم بالرجل أي اكتنفوه"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (حفف): "وحفّ القوم بسيدهم، أي أطافوا به وعكفوا، ومنه قوله تعالى: (حافين من حول العرش)[3]".

وجاء في الصحاح مادة (حفف): "وحفّوا حوله يحفّون حفّاً أي: أطافوا به واستداروا".

١- نفسه: ١١/ ٢٣.
٢- الأغاني: ١١/ ٢٥.
٣- من الآية (٧٥) من سورة الزمر.

وعبارة أبي الفرج (اكتنفوه) أليق.

أثّمر:

"مهــلا فــداءٌ لــك الأقــوامُ كلّهــم   ومــا أُثمــر مــن مــالٍ ومــن ولــدِ

...

أثمر: أصلح وأجمع"[١].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (ثمر): "والثمر: أنواع المال والولد ثمرة القلب... وثمّر الله مالك".

وجاء في أساس البلاغة مادة (ثمر): "وأثمر القوم... كثر مالهم... وقد ثمّر".

وجاء في الصحاح مادة (ثمـر): " والثُمُـر: المـال المثمّـر يخفـف ويثقـل...وأثمـر الرجل أي كثر ماله".

والمقصود واحد، وإنْ تصرّف أبو الفرج في الفعل بما يناسب معناه في السياق.

استراد:

"ولكــنني كنــت امــرءا لــي جانــبٌ   مــن الأرض فيــه مــستراد ومطلــبُ

...

والمستراد: المختلَف يذهب فيه ويجيء، ويقال: راد الرجل لأهله إذا خرج رائـداً لهم في طلب الكلأ ونحوه"[٢].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (رود): "راد الكلأ يروده روداً...أي طلبه".

١- الأغاني: ١١/ ٢٦.
٢- الأغاني: ١١/ ٢٨.

آذن:

آذنتنـــــــا ببينهـــــــا أسمــــــاء ... رب ثـــاو يُمَـــــل مــــن الثـــواء

...آذنتنا: أعلمتنا[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (أذن): "وآذنتك بالشيء أعلمتكه".

والمقصود واضح.

استبدّ:

كـــأنني شـــارب يـــوم اســـتُبِدّ بهـــم ... مـــن قرقـف صُـمنتها حمـصُ أو جَـدَرُ

...

استبد بهم: عُلي عليهم[2]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (بدد): "واستبدّ فلان بكذا، أي انفرد".

زها، وازدهى:

يـــا قاتـــلَ اللهُ وصـــل الغانيـــات إذا ... أيقـــنّ أنّـــك ممـــن قـــد زهـــا الكِبَـــرُ

...

وقوله: زها الكِبَرُ يعني استخفّه وأضعفه، يقال: زهاه وازدهاه، وقال أبو عبيـدة: الأصل في زهاه رفعه، فكأنّه أراد أنه رفعه في علو سنّه عما يردن منه[3].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (زها): "وزهاه وازدهاه: استخفه وتهاون به".

١- نفسه: ٢٨/١١.
٢- الأغاني: ٤٣/١١.
٣- نفسه: ٤٣/١١.

لوّح، وأسفّ:

"وإنّـي أرقـت ولم يـأرق معـي صـاح — لِمـستكفٌ بُعيـدَ النـوم لـوّاح

دانٍ مسـفٌّ فويـق الأرض هيدبـه — يكـاد يدفعـه مَـنْ قـام بـالراحِ

...ولوّاح: من قولهم لاح يلوح إذا ظهر...قد أسفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو أقرب منها أو دنا إليها، ومن هذا يقال: أسفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض، ويقال ذلك للسهم أيضاً"(1).

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (لوح): "لاح النجم وألاح إذا بدا".

وجاء فيه مادة (سفف): "وأسفت السحابة إذا دنت من الأرض...وكذلك الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه".

لأربعة أفعال ذكر أبو الفرج المعاني التي تندرج فيها: استبد – زها وازدهى- لاح- أسفّ، وفيها إضافات منه لم يتسع (الصحاح) لها.

يجلّ:

"ولقـد رأيـت أبـاك وسـ — ـط القـوم يربـق أو يجـلُّ

...

يجلّ: يلقط البعر"(2).

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (جلل): "والجَلة: البعر...وهم يجتلون الجلّة أي يلقطون البعر" والدلالة واضحة.

أفلت:

"منعـتَ وبعـضُ المنـع حـزمٌ وقـوةٌ — فلـم يفتلتـك المـال إلا حقائقـه

...

١- الأغاني: ١١/ ٤٦.

٢- نفسه: ١١/ ٩٤.

ويفتلتك أي يخرجه من يدك وقبضتك"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (فلت): "وأفلت الشيء وتفلّت وانفلت بمعنى وأفلته غيره". ومراد الشاعر على ما ذكره أبو الفرج واضح.

ادلهمّ:

"وإنـــي لأعطـــي غثّهـــا وسمينهـــا   وأسري إذا ما الليـل ذو الظلـم ادلهـمّ

...

وادلهمّ: اشتدّ سواده"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (دلهم): "ادلهمّ الظلام أي كثف"، ولم يرد هـذا الفعـل في (أساس البلاغة).

وجاء في الصحاح مادة (دلهم): "ليلة مدلهمّة أي مظلمة".

وعبارة أبي الفرج منتزعة من سياق المفردة في النص.

يخلج:

"حفاظـــا ولم تنـــزع هـــواي أثيمـــة   كـــذلك شـــأو المـــرء يخلجـــه القَـــدَر

...

تخلجه: تصرفه"[3].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (خلج): "فإن يكن هذا الزمان خلجا، أي: نحّى شيئا عن شيء".

١- الأغاني:١١/١٣٣.
٢- نفسه: ١١/١٣٥.
٣- الأغاني: ١١/١٣٨.

وجاء في الصحاح مادة (خلج): "خلجه يُخلجه خلجا، واختلجه إذا جذبه وانتزعه...فإن يكن هذا الزمان خلجا... يعني: قد خلج حالا وانتزعها وبدّلها بغيرها".

والمعنى قريب.

تُدرى:

"وتصبح تدرى الكعكبية قاعدا ويُنتف من ليتيك ما كان أزغبا

تُدرى: تمشط بالمدرى والكعكبية: مِشطة معروفة"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (درى): "والمدرى: أي القرن...وربما تصلح بها الماشطة قرون النساء، وهي شيء كالمسلة تكون معها".

أضاف أبو الفرج (الكعكبية) مشطة معروفة مدللا على علم وطيد مما تعارف الناس عليه اجتماعيا في المرأة.

خَتَلَ:

"حنتني حانيات الدهر حتّى كأني خاتلٌ يدنو لصيد

...

خَتَلَه: ورّى أمره فلم يظهره"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (ختل): "ختله وخاتله، أي: خدعه".

وعبارته تتناسب ومعنى البيت منتزعة من المعنى اللغوي للمادة.

يباري:

"وإنّ أحق الناس طُرّا إهانةً عتود يباريه فريرٌ وثعلبُ

...

١- نفسه: ١٢/ ٢٥٠.

٢- الأغاني: ١٢/ ٢٥٤.

ويباريه: يفعل فعله"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (برا): "وفلان يباري فلانا، أي: يعارضه ويفعل فعله".
وفي هذا تطابق.

يضاجم ويصاحم:

"ستمنع مُرّى والشموس أخاهما   إذا حكم السلطان حكما يضاجمه

يميل فيه، ويروى يصاحمه، وقال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه، والأصحم من مأخوذ"[2].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (ضجم): "وفي العنق مَيْل يسمّى ضجماً".

وجاء في الصحاح مادة (ضجم): "وتضاجم الأمر بينهم إذا اختلف، والضجم أن يميل الأنف إلى أحد جانبي الوجه".

ولم أجد هذا المعنى في (صحم) في المعجمات التي عدت إليها.

تناذر:

"يا صخر ورّاد ماء قد تناذره   أهل الموارد ما في ورده عارُ

...

قد تناذره: أي أنذر بعضهم بعضا هوله وصعوبته"[3].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (نذر): "والتناذر: إنذار بعضهم بعضاً".

١- نفسه: ١٤/ ٢٥٠.
٢- الأغاني:١٤/ ٢٥١.
٣- نفسه: ١٥/ ٥٨.

وجاء في أساس البلاغة مادة (نذر): تَناذره: خوّف منهم بعضهم بعضا...وقالت الخنساء

يا صخر وَرّاد ماء قد تناذره   أهل الموارد ما في ورده عارٌ.

وقف أبو الفرج على بيت الخنساء الذي صار شاهدا للمعنى المراد.

ترمي، وسهّل، وجلّل، وعال:

كُكرفئة الغيث ذا الصبيـ   ـر ترمي السّحاب ويرمي لها

...

نطقتَ ابنَ عمرٍ فسهّلتها   ولم ينطق الناسُ أمثالها

...

فزال الكواكب من فقده   وجلّلت الشمس أجلالها

...

وليس بأولى ولكنّه   سيكفي العشيرة ما عالها

...

وقوله (ترمي السحاب) أي تنضم إليه وتتصل به، ويرمي لها، أي ينضمّ إليها السحاب حتّى يستوي مثل حدّ السنان؛ لأنّها ماضية، سهّلها: جئت بها سهلة، وجُلّلت الشمس، أي كسفت الشمس وصار عليها مثل الجُلّ... ما عالها، قال أبو عمرو: عالها: غلبها، وقال أبو عبيدة: يقول إنه ليعولني ما عالك، أي يغمّني ما غمّك، ويقال: افعل كذا وكذا ولا يَعُلْك أن تأتي غيره، أي لا يعجزك، ويقال: قد يعولك أن تفعل كذا، أي قد دنا لك أن تفعل ذلك، وأنشد:

ضربا كما تكدّس الوعول   يعول أن أُنبطها يعولُ

أي قد دنا ذلك، ويقال: عال كذا وكذا منك أي دنا منك[1].

تعليق:

وقف أبو الفرج على الأفعال الاتية:

- ترمي السحاب.

١- الأغاني: ١٥/ ٦٥-٦٧.

- سهّل.
- جلّل.
- عال.

ومعنى (ترمي السحاب: تنضم إليه) لم أجدْه في معجم.

وسهّل: المعنى معروف والتضعيف عدّى الفعل.

وجلّل: جاء في كتاب العين مادة (جلل): "وجلّله: غطاه".

والمعنى الذي أورده أبو الفرج منتزع من المعنى اللغوي.

وجاء في كتاب العين مادة (عول): "ولا يعولنّك هذا الأمر، من عاله إذا غلبه".

وجاء في الصحاح مادة (عول): "عالني الشيء يعولني: أي غلبني، وثقل عليّ".

ولم ترو المعجمات قولة أبي عبيدة هذه ولا هذا التعبير، أو ما يقاربه.

تُزغل:

"ولقــــد دفعــــت إلى دريــــد بطعنــــةٍ	نجــلاء تُزغــل مثــل عــطّ المنحــرِ

تُزغل: تخرج الدم قطعا قطعا"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (زغل): "الزغلة بالضم: الدفعة من البول وغيره، تقول أزغلت الناقة ببولها أي رمت به وقطّعته زغلة زغلة، وأزغلت الطعنة بالدم مثل أوزغت"

والمعنى متفق.

عفا، وتأبد، وعرّى:

"عفــت الــديار محلّهــا فمقامهــا	بمنــى تأبّــد غولهــا فرجامهــا
فمــدافع الريّــان عُــرّى رسمهــا	خلقــا كمــا ضــمن الــوحي ســلامها

١- الأغاني: ١٥/ ٧٠.

...عفت: درست... تأبّد: توّحش... وعُرّى رسم:أي تُرك وارتُحل عنه، يقول: عُرّى من أهله[1].

تعليق:

وقف أبو الفرج هنا على ثلاثة أفعال: عفا- تأبّد – عُرّى.

جاء في الصحاح مادة (عفا): "قال أبو عبيدة العفاء: الدروس والهلاك".

وفي مادة (أبد): "أبدت البهيمة تأبد وتأبد أي: توحشت".

وفي مادة (عرا): "والعراء بالمدّ: الفضاء لا ستر به...وأنا عِرو منه بالكسر أي خلو".

والمعاني هي هي بما يقاربها من تعبير ينهض بمعنى البيتين.

تنكّر:

"أعرفت أطلال الرسوم تنكّرت بعدي وغُيّر آيهُنّ دثورا

...

وتنكّرت: تغيّرت"[2]

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (نكر): "وقد نكّر فتنكر أي: غيّره فتغيّر إلى مجهول".

حسّر:

"يا دار حسّرها البلى تحسيرا وسفت عليها الريح بعدك مورا

...

حسّرها: أذهب معالمها، ومنه حسَرَ الرجل عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفها، وحسر الصلع شعر الرأس إذا حصّه"[3].

١- الأغاني: ١٥/ ٢٤٤.
٢- نفسه: ١٧/ ٤٠.
٣- الأغاني: ١٧/ ٤١.

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (حصص): " والحصّ: إذهابك الشعر كما تحصّ البيضة رأس صاحبها".

وجاء في الصحاح مادة (حسر): "حسرت كمي عن ذراعي أحسِره: كشفت".

وفي مادة (حصص): رجل أحص بيّن الحصص أي قليل شعر الرأس"

وهذا ما عناه أبو الفرج وأراده.

جمح:

"فـــإذا مـــا مـــررن في مـــسبطرٍ فـــاجمح الخيـــل جمـــح الكعـــاب

اجمح: ارمِ بهم كما يُرمى بالكعاب، ويقال إذا انتصب لك أمر فقد جمح"[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (جمح): " والجمّاح شيء يلعب به الصبيان".

وجاء في الصحاح مادة (جمح): "والجُمّاح بالـضم والتـشديد: سـهم بـلا نـصل مدوّر الرأس يتعلم به الصبي الرمي ".

والمعنى منتزع من هذا.

نصح:

كـأنّ الفِرَنْـدَ المحـضَ معـصوبةٌ بـه ذرا قورهـا ينقـدّ عنهـا وينـصحُ

... يقال نصحت الثوب إذ خطته، والناصح: الخياط، والنصاح: الخيط"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (نصح): "والنصح بالفتح مصدر قولك نـصحت الثـوب: خطته... وثوب متنصح أي مخيط... والناصح: الخياط، والنصاح: السلك يخاط به".

والمعنى واضح.

١- نفسه: ١٧/ ٢٧٠.

٢- الأغاني: ١٧/ ٢٨٢.

ارفضّ، وهلل:

"إذا ارفضّ أطراف السياط وهللت جروم المهارى عذبتهن صيدحُ

...قوله: إذا ارفضّ أطراف السياط، يعني أنّها انفتحت أطرافها من طول السفر، وأصل الارفضاض التفرق... وقوله: هللت جروم المطايا، يعني أنّها صارت كالأهلة في الدقة"[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (رفض): "كلّ متفرق ذاهب مرفضّ"، ويشتق الشاعر من الهلال هذه الصيغة (هلل) ويمنحها هذا المعنى الذي لم أجده في المعجمات غير ما ورد في (أساس البلاغة) مادة (هلل): "وهلّل الزاي والراء: كتبهما" أي كتبهما مثل الهلال وهذا يقارب ما أراده أبو الفرج.

ترشّ:

"وقُلْ لأطلالٍ لميٍّ تحيّةً تُحيّا بها أو أن تُرِشَّ المدامع

... وتُرِشَّ المدامع، أي تكثر نضحها الدموع"[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (رشش): "الرشّ للماء والدم والدمع... والرَشاش بالفتح: ما ترشش من الدم والدمع".

والمعنى منتزع من ذلك.

درج، وهار:

"كأنّ مجامع الأرداف منها نقاً درجت عليه الريح هارا

يعاف الوصل ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوارا

...

١- نفسه: ١٧/ ٢٨٢.

٢- الأغاني: ١٧/ ٢٨٢.

درجت عليه الريح: مرت، هار: تهافت وتداعى، قال الله تبارك وتعالى:(على شفا جرف هارٍ)[1]، ويعاف: يكره"[2].

تعليق:

علّق أبو الفرج على ثلاثة أفعال: درج – هار – عاف.

وجاء في الصحاح مادة (درج): "الدروج: الريح السريعة المرّ"

وفي مادة (هار): "هار الجرف يهور هورا وهؤورا فهو هائر...وانهار أي انهدم".

وفي مادة (عيف): "عاف الرجل الطعام أو الشراب يعافه عيفاً أي: كرهه فلم يشربه".

والمعاني هي المرادة لديه.

تسنم:

"فتسنمها أي علاها"[3].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (سنم): "تسنمه أي:علاه".

وهو المقصود عند أبي الفرج.

أتعزل، وأمنح:

"يابيت عاتكة الذي أتعزلُ حذر العدا وبه الفؤاد موكّلُ
إنّي لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميلُ

أتعزله: أتجنبه وأكون بمعزل عنه... وأمنحك: أعطيك، والمنيحة: العطية"[4].

١- من الآية ١٠٩ من سورة التوبة.
٢- الأغاني: ٢٠/ ٢٣٩.
٣- الأغاني: ٢٠/ ٢٤٩.
٤- نفسه: ٢١/ ٧٢.

تعليق:

هنا فعلان: تعزل – ومنح.

جاء في الصحاح مادة (عزل): أعتزله وتعزّله بمعنى...يابيت عاتكة... يقال: أنا عن هذا الأمر بمعزل.

وفي مادة (منح): المنح: العطاء...والمنيحة: منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثمّ يردها عليك.

وهذا ما انتزعه أبو الفرج من معنى للفعلين.

تودأت، ولمأ، ولأم، وأكم:

وللأرض كم من صالح قد تودّأت عليه فوارته بلمّاعة قفر

...

وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودّأت: قد تلمأت عليه وتلاءمت أي وارته، ويروى تأكمت أي صارت أكمة[1].

تعليق:

يذكر أبو الفرج أكثر من رواية للفعل: ودأ – لمأ – لأم – أكم.

جاء في الصحاح مادة (ودأ): تودأ عليه أي: أهلكه... ودأت عليه الأرض...إذا سوّيت عليه الأرض.

وفي مادة (لمأ): ألمأ به: اشتمل عليه...سمعت الطائي يقول: كان بالأرض مرعى فهاجت به دواب ألمأته: أي تركته صعيداً ليس به شيء.

وفي مادة (لأم): لأمت الجرح والصدع إذا شددته فالتأم... وإذا اتفق الشيئان فقد التأما.

وفي مادة (أكم): الأكمة معروفة.

١– الأغاني: ٢١/١٧٨.

ويبدو من توجيه أبي الفرج معاني هذه الأفعال أنه ينظر إلى معانيها اللغوية، ويتصرف بها انطلاقا من النصّ بعبارة تؤدي الغرض الذي قصد إليه الشاعر.

يُوزى:

لَعمر أبي عمرو لقد ساقه المنا إلى جدث يوازى له بالأهاضب

...

يوزى له: يمنى له، والإزاء: مهراق الدلو[1].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (أزا): الإزاء: مصبّ الماء في الحوض.

وما قصده الشاعر أدركه أبو الفرج، انظر عبارته (مهراق الدلو) ووازنها بـ (مصب الماء) تجد شاعرية في عبارة أبي الفرج.

دنّا:

ولم يبقَ سوى العدوا ن دنّاهم كما دانوا

...

قوله: دنّاهم كما دانوا، أي جزيناهم[2].

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (دان): يقال: دانه دينا أي: جازاه، ولا تعليق.

تتجمجم:

من أبي العيال أخي هذيل فاعلموا قولي ولا تتجمجموا ما أرسلُ

...

لا تتجمجموا: لا تكتموا[3].

١- الأغاني: ٢٣/٧.
٢- نفسه: ٢٤/٥٣.
٣- الأغاني: ٢٤/١٠٧.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (جمم): "وجمجم الرجل وتجمجم إذا لم يبيّن كلامه".

وأدرك أبو الفرج المعنى.

يسعل:

"أو سـيّدا كهـلا يمـور دماغـه | أو جانحـا في رأس رمـحٍ يَـسْعلُ

يسعل: يَشْرَق بالدم"[1].

تعليق:

لم يرد هذا المعنى في معجم وقفت عليه.

تزغل:

"في كـل معـتركٍ تـرى منّـا فتـى | يهـوي كعـزلاء المـزادة تُزْغِـلُ

تُزْغِلُ: تدفع دفعا"[2].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (زغل): "وزغل الماء وأزغلَ: صبّه دفعةً دفعةً".

والمعنى متفق.

يسلع:

"فقـد يـسلع المـرء اللئـيم اصـطناعه | ويعتـل نقـد المـرء وهـو كـريم

قال اليزيدي:يُسلع: أي تكثر سلعته، والسلعة المتاع"[3].

١- نفسه: ٢٤/١٠٨.
٢- نفسه: ٢٤/١٠٨.
٣- *الأغاني*: ٢٤/١٤٣.

تعليق:

جاء في الصحاح مادة (سلع): "السلعة: المتاع...وهي زيادة تحدث في الجسد كالعدّة".

والمعنى واضح.

خاتمة:

برزت معرفة أبي الفرج اللغوية في معاني الأفعال معجميا بما يتطابق والمعنى الذي يرد في البيت، وأحيانا نراه يمنح المعنى المعجمي مساحة أكثر.

وأود أن أشير إلى أنّ المعجمات التي اعتمدتها هي:

- كتاب العين للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٨م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: إميل يعقوب ومحمد نبيل الطريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٩م.
- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٨م.

للاستئناس بها ومقاربة المعاني التي ذكرها أبو الفرج ومدى انزياحها في النصوص.

المبحث الثالث: الحرف وما يتعلق به

كان أبو الفرج يتناول مسائل الحرف على وفق ما يرد في الأبيات التي يرويها، ليبيّن مؤادها، ودلالتها، منطلقاً من النصوص التي جمعها في كتاب (الأغاني) بما يزيل لبسها، ويوضح استعمالها وعلى الوجه الآتي:

إنّ:

"قال اليزيدي: إنّ ها هنا بمعنى نعم كأنّه إقرار بما قال، ومثله قول ابن قيس الرقيات:

ويقلن شيب قد علا ... كَ وقد كبرتَ فقلت: إنّه "[1]

تعليق:

ذكر أصحاب معاني الحروف عن (إنّ) أنها تكون حرف جواب بمعنى (نعم) ذكر ذلك سيبويه والأخفش، وحمل المبرد على ذلك قراءة من قرأ (إنّ هذان لساحران)، وأنكر أبو عبيدة أن تكون (إنّ) بمعنى (نعم) ومن شواهدها قول الرادّ، حين قال القائل: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال: إنّ وراكبها. أي: نعم لَعَنَ راكبها.

وأما قول الشاعر:

ويقلن شيبٌ قد علا ... كَ وقد كبرتَ فقلت: إنّه

...جُعلتْ بمعنى (نعم) فالهاء للسكت[2].

ومثل هذا الكلام ذكره ابن هشام في مغني اللبيب [3].

وتتجلى سعة معرفة أبي الفرج في معاني الحروف.

١- *الأغاني*: ١/ ٣٣.

٢- المرادي: *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٣م، ص:٣٩٨-٣٩٩.

٣- ينظر ابن هشام: *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق، طهران، ط١، سنة ١٩٧٢م، ١/ ٥٦-٥٧.

اللام زائدة:

أزمعتْ عمرة صرماً فابتكر إنها يُدهنُ للقلب الحَصِرْ

يريد: يدهن القلب فأدخل اللام الزائدة[1].

تعليق:

قال المرادي:

"اللام الزائدة هي ضربان: أحدهما مطّرد، والآخر غير مطّرد، فالمطّرد أن تزاد مع المفعول به بشرطين:

الأول: أن يكون العامل متعديا إلى واحد.

الثاني:....[2] ولا يهمنا هنا، وهي ليست ضرورة هنا.

وسمّاها ابن هشام "اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله"[3].

وهذه مسألة دقيقة للّام يذكرها أبو الفرج.

إسقاط الألف واللام:

"ويقال للرجل المتحذلق: عتاهية...

ويقال: أبو عتاهية بإسقاط الألف واللّام"[4].

تعليق:

قال المرادي إنّ من معاني (أل) "لمح الصفة، وإنما زيدت بعد العلمية، ولذلك يجوز حذفها"[5].

وقال ابن هشام في معاني (أل) إنها "على ثلاثة أوجه:....

١- الأغاني: ٣/ ١٤.
٢- الجنى الداني:ص:١٠٥.
٣- مغني اللبيب: ١/ ٢٨٤.
٤- الأغاني: ٤/ ٦.
٥- الجنى الداني: ص:١٩٧.

الوجه الثالث: أن تكون زائدة وهي نوعان: لازمة وغير لازمة... والثانية نوعان... فالأولى الداخلة على علم منقول من مجرد صالح لها ملموح أصله... ويتوقف هذا النوع على السماع"[1]

ويصدر أبو الفرج عن معرفة وطيدة في معاني (أل) متى تثبت، ومتى تسقط.

رسم الحرف:

"وليس حرف يعجم إلا ما اصطلح عليه الكتّاب من تصييرهم مكان ألف ياءً مثل أعلى فإنها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ومثل رأى ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكُتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه".

"أنشدني عامر بن صالح قصيدة لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً ليس فيها حرف يعجم"[2].

تعليق:

يثير أبو الفرج هنا مسألةً تتعلق برسم الحروف فمنها ما لا يعجم ومنها ما يكتب بالألف على ما اصطلح عليه الكُتّاب، وفي نظرنا المتواضع أن هذه من الأصول في فن الكتابة، وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب في (باب ما يكتب بالياء والألف من الأفعال): "إذا كان الفعل على ثلاثة أحرف، ولم تدر أمن ذوات الياء هو أو من ذوات الواو رددته إلى نفسك فما كانت اللام فيه ياء كتبته بالياء نحو: قضى... وما كان لام فعلت منه واوا كتبته بالألف نحو: دعا...وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله وكتبته كلّه بالياء..."[3].

وفي (باب ما يكتب بالألف والياء من الأسماء) قال:

"فإن أشكل عليك من هذا الباب حرف ولم تعرف أصله ولا تثنيته فرأيت الإمالة فيه أحسن فاكتبه بالياء، وإن لم تحسن فيه الإحالة فاكتبه بالألف حتى تعلم"[4].

١- مغني اللبيب ١/ ٧١-٧٤.
٢- *الأغاني*: ٤/ ٢٦٤.
٣- *أدب الكاتب*: تحقيق: محمد طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠١م، ص:١٧١.
٤- أدب الكاتب: ص:١٧٢.

وهذا ما أراده أبو الفرج من تنبيهه في نصّيه.

نعم:

فقال أبو دهبل:

ظــلّ لنــا واقفــاً يعطــي فأكثرمــا   سمّــى وقــال لنــا في قولــه نعــمِ

نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أجريت حركته إلى الخفض لأنه أولى بالساكن[1].

تعليق:

قال المرادي نَعم حرف من حروف الجواب[2]، ولم يعرض لحركتها، ومثله ما ذكره ابن هشام[3].

عُني أبو الفرج بضبط (نَعَمْ) ولا سيما حرفها الأخير بما قد يحصل له إذا ورد في الشعر أو وقع قافيةً، مع لحاظ المصطلحات التي وردت في نصّه (موقوف – الخفض – الساكن) ! وكلامه صحيح في الموقوف إذا تحرّك فالكسر هو الأصل، ولكن إذا وقعت (نعم) قافية فتأخذ حركة القوافي في القصيدة سكوناً وكسراً وفتحاً وضماً. روى منها أبو الفرج الكسر على النصّ المذكور في أعلاه، وروى الفتح في الجزء السابع ص١٣٢ بقول الشاعر:

تحــبُّ بــالله مَــنْ يخــصّك بــالو   دّ فمــا قــال لا ولا نعمــا

وروى السكون في الجزء السادس ص ١٧٦ قول بشّار:

وإذا قلــت لهــا جــودي لنــا   خرجــت بالــصمت عــن لا ونعــمْ

وبالضم قال الفرزدق:

في قصيدته الشهيرة في علي بن الحسين بن أبي طالب ومطلعها

هــذا الــذي تعــرف البطحــاء وطأتــه   والبيــت يعرفــه والحــلّ والحــرمُ

١- الأغاني: ٧/ ١٠٠.

٢- الجنى الداني: ص:٥٠٥.

٣- ينظر مغني اللبيب: ١/ ٤٥١.

قال:

مـــا قـــال لا قـــطّ إلّـــا في تـــشهّده لـــولا الـــشهادة كانـــت لاءَهُ نعـــمُ

ينظـر: شـرح ديـوان الفـرزدق، شـرح وتعليـق سـوزان عكـاري، دار الفكـر العربي/ بيروت، ط١،سنة ٢٠٠٣م، ص٤٠٢.

استعمال الفاء:

"قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل بسقط اللـوى بـين الـدخول فحومـل

...وقال الأصمعي قوله: (بـين الـدخول فحومـل) خطـأ ولا يجـوز إلا بـالواو (وحومل) لأنّه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمـرو، وإنمـا يقـال: وعمـرو، ويقال رأيت زيداً فعمراً، وقال غيره: يجوز (فحومل) كما يقـال: مُطرنـا بـين الكوفـة فالبصرة، كأنّه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطـر لم يتجـاوز مـا بـين هـاتين الناحيتين، وليس هذا مثل بين زيد فعمرو"[1].

تعليق:

قال المرادي: " قال بعضهم: الترتيب بالفاء على ضربين:... والثاني عطف لمجـرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن الواو كقول امرئ القيس: بسقط اللّوى بين الـدخول فحومل"[2].

ونقل ابن هشام عن معنى الفاء "وقال الجرمي: لا تفيد الفـاء الترتيـب في البقـاع ولا في الأمطار بدليل قوله: بين الدخول فحومل.

وقولهم: مُطرنا مكـان كـذا فمكـان كـذا وإن كـان وقـوع المطـر فيهـا في وقـت واحد"[3].

وعلق شرّاح المعلقات على بيت امرئ القيس:

قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل بسقط اللـوى بـين الـدخول فحومـل

١- الأغاني: ٩/ ٥٥.

٢- الجنى الداني: ٦٣-٦٤.

٣- مغني اللبيب: ١/ ٢١٤.

وأنكروا رواية الأصمعي (بين الدخول وحومل) مثل:

- ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) في: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف/ مصر، سنة ١٩٨م، ص ١٩-٢٠.
- النحاس (ت ٣٣٨هـ) في: شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق أحمد خطاب العمر، منشورات وزارة الإعلام/ بغداد، سنة ١٩٧٣م، ١/ ٩٩.
- الزوزني (ت ٤٧٦ هـ) في: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد علي حمدالله، دمشق، سنة ١٩٩٣م، ص٧٩.
- البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ) في: شرح الأشعار الستة الجاهليين، ناصف سليمان عواد، طبع وزارة الثقافة والفنون/ بغداد، سنة ١٩٦٨م، ص ٦٩-٧٠.
- -التبريزي (ت ٥٠٢هـ) في: شرح القصائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٣، سنة ١٩٧٩م، ص ٢٢.
- الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ) في: شرح المعلقات العشر، دار القلم / بيروت، د.ت، ص ٧٥.

وللتفصيل ينظر: موسى حسين الموسوي: النحو في شروح المعلقات، مركز عبادي للدراسات والنشر/ صنعاء، ط١، سنة ٢٠٠٥م، الفصل الثاني: أثر الرواية في التوجيه النحوي ص٧٩ وما بعدها.

وواضح أنّ أبا الفرج يتبنى رأي الأصمعي هنا!

ربّ:

ويقال: رُبّ رجلٍ، ورُبْ رجلٍ وربت رجلٍ، ومن القراء من يقرأ (رُبَما يودّ الذين كفروا.الآية ٢ من سورة الحجر) مخففة، وقرأ عليه رجل (رُبّما) فقال له: أظنّك يعجبك الرُبّ[1].

١- الأغاني: ٩/ ٥٦-٥٧.، والرُبّ: (بالضم ما يطبخ من التمر، وقيل: هو دبس، ينظر مرتضى الزبيدي: *تاج العروس*، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، د.ط، سنة ١٩٩٤م، ٢/ ١٣، مادة (ربب).

تعليق:

ذكر أبو الفرج أربع لغات في رُبّ هي: ربُّ، ورُبْ، ورُبَ، وربّت، مؤيدة بقراءة قرآنية قرأ بها: عبدالله بن كثير، وعبدالله بن عامر، وحمزة الزيات، والكسائي، وأبو عمرو بن العلاء، وسليمان الأعمش، وخلف البزّار، ويعقوب الحضرمي قرأوا (ربما) بالتخفيف [1].

فمنهم من ذهب إلى انّ فيها ثماني لغات [2]، ومنهم من ذكر أنها ست عشرة لغة[3]، أو سبع عشرة لغة[4]، وقال معاصر أنّ لغاتها تقارب العشرين [5]، وروى مرتضى الزبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، د.ط، سنة ١٩٩٤م، مادة (ربب) ٢/ ١٣: "قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في (شرح المنفرجة الكبير) في مادة (ربّ) سبعون لغة".

إنّ هذه اللغات المزعومة في (ربّ) تستوقف الباحث فيتردد في قبولها والتسليم بها؛ لأنها لم تسند إلى أنها لغات قبائل بل هي افتراض وتوجيه، ولعلّ ما ذكره أبو الفرج أقرب إلى الصواب إذ ورد بها استعمال.

واو القسم:

ثمّ أنشده قول حسان:

...

متى ما تزرْنا من معدٍّ عصابةٌ   وغسان نمنعْ حوضنا أن يهدّما

١- ينظر أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم، *معجم القراءات القرآنية وتاريخ أشهر القراء*، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م، ٢/ ٥٢٥.

٢- ينظر:

- أبو البقاء العكبري: *إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٩م، ٢/ ٧١.
- الرضى الاستراباذي: *شرح الرضي على الكافية*، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، سنة ١٩٩٦م، ٤/ ٢٨٧.

٣- ينظر ابن هشام: *مغني اللبيب*، ١/ ١٨٤.

٤- ينظر المرادي: *الجنى الداني*، ص: ١٥٣.

٥- ينظر عباس حسن: *النحو الوافي*، دار المعارف، القاهرة، ط٩، سنة ١٩٧٨م، ٢/ ٥٢٧.

قيل إنّ قوله (وغسان) ههنا قسم أقسم به، لأنّ غسان لم تكن تغزوهم مع معدٍ[1].

تعليق:

من معاني (الواو) القسم وهو حرف يكون عاملا جارًا [2]، وذكر ابن هشام خمسة عشر معنى للواو ومنها: واو القسم ولا تدخل إلا على مظهر، ولا تتعلق إلا بمحذوف[3]، واستبعد أبو الفرج أن تكون (الواو) للعطف أو المعية بقوله: لأنّ غسان لم تكن تغزوهم مع معدّ فلم يكتف بتعيين معنى (الواو) بل ذهب إلى بيان معناها بما يتفق وتوجيهه لها.

الوقوف على الحرف الأخير:

وكقولك:أمَ يعمرنْ قبلاً، فزدت الألف لتسكت عليها؛ لأنّ السكوت على متحرك لا يمكن[4].

تعليق:

شاع عند القدماء أنّ العرب لا تبدأ بساكن، ولا تقف على متحرك، قال ابن عقيل: إذا وقف على الاسم المنوّن فإن كان التنوين واقعا بعد فتحة أبدل ألفا... وإن كان التنوين واقعا بعد ضمّة أو كسرة حُذف وسُكّن ما قبله[5].

ومقولة أبي الفرج (السكوت على متحرك لايمكن) تنطلق من قاعدة عامة.

معنى (ما):

كأنّ عيني وقد سال السليلُ بهم　　وعبرة ماهم لو أنهم أمَمُ

...

١- *الأغاني*: ٩/ ٢٥٠.

٢- ينظر المرادي: *الجنى الداني*، ص:١٥٣.

٣- *مغني اللبيب*: ١/ ٤٧٣.

٤- الأغاني: ١١٨/١٠.

٥- *شرح ابن عقيل*: تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٤م، ٤٦٧/٢.

وقوله: وعبرة ماهم أي هم عبرة، وما هاهنا صلة[1].

وذكر في موضع ثان:

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
...

و(ما) في قولها (فتى ما قتلتم) صلة[2].

وفي موضع ثالث:

إلى ملكٍ لا إلى سوقةٍ وذلك ما كان إعمالها
...

ويروى (ما إكلالها) ما صلة.[3]

تعليق:

استعمل أبو الفرج هنا مصطلح (الصلة)، وهو مصطلح كوفي يقابله عند البصريين مصطلح (الزيادة) أو (الحشو) أو (الإلغاء)[4]، وقد اختار الفراء مصطلح (الصلة) تأدبا وتورعا من أن ينسب الزيادة إلى كتاب الله تعالى[5]، ومن هذا المنطلق استعمله أبو الفرج.

من معاني الباء:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا يوم الجليل على مستأنس...
...

قال الأصمعي: زال النهار بنا، أي انتصف، وبنا هاهنا في موضع علينا[6].

١- *الأغاني*: ١/ ٢٣٥.
٢- نفسه: ١١/ ١٤٠.
٣- *الأغاني*: ١٥/ ٦٦-٦٧.
٤- ينظر عوض حمد القوزي: *المصطلح النحوي نشأته وتطوّره حتى أواخر القرن الثالث الهجري*، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، ط١، سنة ١٩٨١م، ص: ١٧٩.
٥- ينظر *معاني القرآن*، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النّجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٠م، ١/ ٢٤٤.
وينظر أحمد مكي الأنصاري: *أبو زكرياء الفراء ومذهبه في النحو واللغة*، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، نشر الرسائل الجامعية، القاهرة، سنة ١٩٦٤م، ص: ٤٤١-٤٤٢.
٦- *الأغاني*: ١١/ ٢٤.

تعليق:

ذكر أصحاب حروف المعاني أن معاني (الباء) غير الزائدة ثلاثة عشر معنى[1] " العاشر: الاستعلاء وعبر عنه بعضهم بموافقة على[2].

وهنا يتضح اطلاع أبي الفرج على معاني الحروف.

أو:

قلت له: كيف تقول: إنّ من خير القوم أو خيرهم نيّةً زيد؟

...

فقال شيبة بن الوليد: أرادوا بأو -بل، فرفع هذا معنى، فقال الكسائي: ما أردت غير ذلك، فقلت: فقد أخطأ جميعا أيّها الأمير، لو أراد بأو - بل، رفع زيدا لأنّه لا يكون بل خيرُهم زيداً[3].

تعليق:

قال المرادي: لـ (أو) ثمانية معانٍ... السادس: الإضراب... بمعنى بل[4].

مع ملاحظة أبي الفرج ما يصح من هذه المعاني، مع النصّ الذي يقف عليه وينطبق توجيه الحرف والمعنى.

معنى (لا):

لعروة بن حزام:

ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضرِ الروحاء ثمّ ذراني

...

فقلت: زدني، قال: لا، ولا حرف[5].

١- ينظر المرادي: *الجنى الداني*، ص:٣٦.
٢- نفسه: ص:٤٢.
٣- *الأغاني*: ٢٠/ ١٣٥.
٤- *الجنى الداني*: ص:٢٢٨-٢٢٩، وينظر ابن هشام: *مغني اللبيب*.
٥- *الأغاني*: ٢٠/ ١٣٥-١٣٦.

تعليق:

يعني أبو الفرج بـ (لا) حرف أي حرف جواب نقيض (نعم)[1].

لام الاستغاثة:

ألا يا لقومي للنوائب والدهرِ وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالحٍ قد تودّأت عليه فوارته بلمّاعة قفرِ

...

قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يالَ كذا بفتح اللام، وإذا دعوت للشيء قلت بالكسرة تقول: يا لَلرجال ويا لَلقوم، وتقول: يا لِلغنيمة، ويا لِلحادثة أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنّه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة[2].

يا لَلرجال لوجدك المتجددِ ولمّا تؤمّل من عقيلةَ في غد

...يقال: يا لِلرجال ويا لَلرجال بالكسر والفتح، وفي الحديث أنّ عمر – رضي الله عنه- صاح لمّا طُعِن: يا لله يا للمسلمين[3].

تعليق:

ينقل أبو الفرج ضبط اللام في موضع (الاستغاثة) إذ تكون مفتوحة مع المستغاث، ومكسورة مع المستغاث له[4].

وقد تكسر مع المستغاث إذا أضيفت إلى ياء المتكلم: يا لِي، وفيها خلاف[5].

١- ينظر المرادي: *الجنى الداني*، ص: ٢٩٦، وينظر ابن هشام: *مغني اللبيب*.
٢- *الأغاني*: ٢١/ ١٧٨.
٣- *الأغاني*: ٤/ ١٨٢.
٤- ينظر *شرح ابن عقيل*: ٢/ ٢٥٦.
٥- ينظر المرادي: *الجنى الداني*، ص:١٠٣، وينظر *شرح الأشموني*، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، سنة ٢٠١٠م، ٢/ ٣٣٠.

المبحث الرابع: مسائل متفرقة

مخالفات الفرزدق:

مقدمة:

يعدّ عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) "أول من بعج النحو، ومدّ القياس، وشرح العلل"[١] و"فرّع... النحو وقام وتكلم في الهمز"[٢] و"كان قيّما بالعربية والقراءة"[٣].

وقد تعقّب عبدالله الشاعر الفرزدق (ت١١٠هـ) في أبيات خالف فيها الفرزدق حين انحرف في تعبيره عمّا تتطلبه صناعة النحو، ومن ذلك ما ذكرته كتب السير والتراجم:

مستقبلين شمال الشام تضربُنا ... بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثورِ

على عمائمنا يُلقى، وأرحلِنا ... على زواحفَ تزجى مُخُّها ريرِ

فقال عبدالله للفرزدق:

"أسأت، إنّما هو (مخُّها ريرُ)، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع"[٤].

وقيل: سمع عبدالله الفرزدق ينشد:

"وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مجلّفُ

١- محمد بن سلاّم الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني، جدّة، د.ط، تاريخ المقدمة ١٩٨٠م، ١/ ١٤.

٢- أبو الطيّب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، سنة ١٩٥٤م، ص:١٢.

٣- أبو البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٣م، ص:٢٧.

٤- محمد بن سلاّم الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٧، وينظر: أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعراف، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٣م، ص:٣٢.

فقال له: على أي شيء ترفع (أو مجلّفُ) فقال الفرزدق: على ما يسوءك وينوءك"[1].

وهجا الفرزدق عبدالله فقال:

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكنّ عبدالله مولى مواليا

فردّ عليه عبدالله: "ولقد لحنت أيضا في قولك (مولى مواليا) وكان ينبغي أن تقول: (مولى موالٍ)"[2].

روى أبو الفرج أبيات الفرزدق، التي عدّت من عيوبه، والتي خالف فيها بليغ الكلام، وما يتطلبه النحو، عن محمد بن سلاّم الجمحي (ت٢٣١هـ)، بما قدّم لها "وكان يداخل في الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النّحو"[3].

- من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبدالملك:

وأصبح ما في النّاس إلا مملكاً أبو أمّه حيّ أبوه يقاربُه[4].

ورواية البيت الشائعة:

وما مثله ما في النّاس إلا مملكاً أبو أمّه حيّ أبوه يقاربُه

تعليق:

أفرد محمد بن سلاّم الجمحي أبيات الفرزدق التي عدّت عيبا، ومنها هذا البيت[5]، وبيّن المبرد مراد الفرزدق فيه فقال: "كان مراده أن يقول: وما مثله في النّاس حيّ يقاربه إلا مملّك أبو أم هذا المملّك أبو هذا الممدوح"[6].

وعلّق عليه بقوله: "من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني"[7].

١- محمد بن سلاّم الجمحي: *طبقات فحول الشعراء*، ١/ ١٧، وينظر: أبو بكر الزبيدي: *طبقات النحويين واللغويين*، ص:٣٢.
٢- ينظر المصادر نفسها.
٣- محمد بن سلاّم الجمحي: *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٤، *والأغاني*: ٢١/ ٢١٥..
٤- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٥.
٥- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ١/ ٣٦٥-٣٦٨.
٦- *الكامل في اللغة والأدب*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، طبعة جديدة ومنقحة، سنة ٢٠٠٦م، ١/ ٢٧.
٧- نفسه: ١/ ٢٧.

وذكره ابن جنّي في (ت ٣٩٢هـ) الخصائص مرتين[١]، فقال: "فأمّا ما يأتي عن العرب لحنا فلا نعذر في مثله مولّدا... وهو فيه غير معذور"[٢].

وضرب أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) به مثلا للمعاظلة وفسّرها فقال: "فمن سوء النظم المعاظلة"[٣].

وعابه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧٠هـ) في كتابيه:

قال في (أسرار البلاغة): "فخذ إليك بيت الفرزدق الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ...لأنّه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر، فكدّ وكدّر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدّم ويؤخّر"[٤].

ووصفه في (دلائل الإعجاز) بفساد النظم وسوء التأليف[٥]، وتداوله البلاغيون شاهدا على التعقيد اللفظي[٦].

فأبو الفرج حين نقل الأبيات التي خالفت ما اعتاد العرب في استعمال أساليب الكلام ومطابقتها لضوابط العربية بعدئذ دلل على دقة روايته، ولا يتردد في رفض ما خالف البليغ من الكلام، وبيان سوء النّظم والتعقيد والإغراب.

وقوله:

تالله قد سفهت أميةُ رأيَها فاستجهلت سفهاؤها حلماءها[٧]

ويروى الشطر الأول:

هيهات ما سفهت أمية رأيها[٨].

١- *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٦م، ١/ ٢٦٣.
٢- نفسه: ١/ ٢٦٣-٢٦٤.
٣- أبو هلال العسكري: *كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر*، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، سنة ١٩٩١م، ص:١٤٧-١٤٨.
٤- *أسرار البلاغة*، تحقيق: محمود محمد شاكر، النّاشر مطبعة المدني، جدّة، ط١، سنة ١٩٩١م، ص:٢٠.
٥- ينظر *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود محمد شاكر، النّاشر مطبعة المدني،جدّة – القاهرة، ط٣، سنة ١٩٩٢م، ص:٨٣-٨٤.
٦- ينظر أحمد مطلوب: *معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها*،........؟؟؟
٧- الأغاني: ٢١/ ٢١٥.
٨- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٥.

ويروى الشطر الثاني:

فاستجهلت حلماؤها سفهاؤها

برفع اللفظتين[1].

تعليق:

ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[2].

ومرّ عليّ وأنا أستقري المباحث النّحوية عند أبي حيّان التوحيدي(ت٤١٤هـ) إذ قال: "سمعت الأندلسي يقول، سمعت العماني يقول، سمعت الزجاج يقول في قول الشاعر:

تالله قد سفهت أميةُ رأيَها　　　فاستجهلت سفهاؤها حلماؤها

معناه: تالله قد سفهت أمية رأيها سفهاؤها فأبدل سفهاؤها من أمية ثمّ قال: واستجهلت حلماؤها في جملة الجهّال"[3].

فلولا أن في البيت تعقيدا لما اضطر الزجاج إلى بيان معناه!

وقوله:

ألستم عائجين بنا لعنّا　　　نرى العرصات أو أثر الخيامِ

فقالوا إن فعلت فأغنِ عنّا　　　دموعا غير راقئة السجامِ[4]

قوله: لعنّا: لغة في لعلنا.

تعليق:

قال المرادي: "وفي لعل اثنتا عشرة لغة وهي...ولعنّ..."[5].

فاختار الفرزدق هذه اللغة بعيدا عن لغتها الأشهر، وذكر ابن هشام أنّ فيها عشر لغات مشهورة[6].

١- نفسه: ٢/ ٣٦٥.

٢- ينظر طبقات *فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٥.

٣- *البصائر والذخائر*، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر بيروت، ط٥، سنة ٢٠١٠م، ٦/ ١٢٧.

٤- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٥، وينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٥.

٥- المرادي: *الجنى الداني*، ص:٥٨٢.

٦- ينظر ابن هشام: *مغني اللبيب*، ١/ ٣٧٩.

وقوله:

فهل أنت إن ماتت أتانك راحلٌ إلى آل بسطام بن قيس فخاطبُ[1]

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[2].

جاء هذا البيت في قصيدة رفع قافية وجرّ أخرى، وهذا يسمّى الإقواء.

وقوله:

فنلْ مثلَها من مثلِهم ثمّ دلَّهم على دار ميٍّ بين ليلى وغالبِ[3]

وروايته أنّ البيت في شرح ديوان الفرزدق ملفق من بيتين[4]:

فلو كنت من أكفاء حدراءَ لم تُلُم على دار ميّ بين ليلى وغالبِ

فنلْ مثلَها من مثلهم ثمّ لُمّهم بمالك من مالٍ مُراحٍ وعازبِ

تعليق:

هذا البيت يتبع البيت السابق، ويخالف حركة قافيته أي أن فيه إقواء[5]، "وينبغي أن تتحامى العيوب التي تعتري القوافي، مثل السناد والإقواء والإيطاء، وهو أسهلها"[6].

وقوله:

"تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل مَنْ يا ذئب يصطحبان

ويروى الشطر الأول:

تعش فإن واثقتني لا تخونني".

١- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٥

٢- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٦.

٣- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٥، وينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٦.

٤- ينظر *شرح ديوان الفرزدق*، تحقيق: سوزان عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، سنة٢٠٠٣م، ص:٧٣.

٥- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، هامش المحقق (١)، في ٢/ ٣٩٥.

٦- أبو هلال العسكري: *كتاب الصناعتين*، ص:١٣٨.

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[1].

في البيت ملحظان:

الأول: مجيء (من) يراد بها التثنية، وقد جوّز النحاة أن تكون (من) للمفرد المذكر والمؤنث المفرد، والمثنى، والجموع[2]، للعاقل ولغيره، لعارض تشبيه به أو تغليبه عليه في اختلاط[3].

والثاني: تفريقه بين الصلة والموصول بقوله (يا ذئب)، وأدرجه أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) في المعاظلة أي سوء النّظم[4].

وقوله:

إنّا وإيّاك إنْ بلّغنَ أرحلَنا   كمن بواديه بعد المحل ممطورُ[5]

ويروى: إنّي وإيّاك...[6]

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[7].

وخرّجه سيبويه(ت نحو ١٨٠هـ) بقول الخليل(ت نحو ١٧٥ هـ): إنْ شئت جعلت (مَنْ) بمنزلة إنسان، وجعلت ما بمنزلة شيء، نكرتين[8]، فيصير (ممطور) صفة لمن وتمثّل بيت الفرزدق [9]كأنّه قال: كإنسانٍ ممطور.

١- ينظر طبقات فحول الشعراء،٢/ ٣٦٦، وينظر الأغاني،٢١/ ٢١٥.
٢- ينظر شرح ابن عقيل، ١/ ١٤٠.
٣- ينظر شرح الأشموني، ١/ ١٤١-١٤٢.
٤- ينظر أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص:١٤٨.
٥- الأغاني: ٢١/ ٢١٥.
٦- ينظر طبقات فحول الشعراء، ٢/ ٣٦٧.
٧- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٧.
٨- *كتاب سيبويه*، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط١، د.ت، ٢/ ١٠٥.
٩- ينظر نفسه: ٢/ ١٠٦.

وقوله:

بـــني الفـــاروق أمّـــك وابـــن أروى بـــه عثمـــان مـــروان المـــصابا[1]

ويروى الشطر الأول:

هو السيف الذي نصر ابن أروى[2].

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[3].

أدرجه أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) مع أبيات أخر للفرزدق من أمثلة المعاظلة[4]، وهو شاهد في التعقيد بالتقديم والتاخير، ومراده: هو السيف الذي نصر به مروان عثمان بن أروى المصابا.

وقوله:

إلى ملـــك مـــا أمّـــه مـــن محـــارب أبـــوه ولا كانـــت كليـــب تـــصاهره[5]

ويروى شطره الثاني:

أبوها...[6]

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[7].

ومثّل به أبو هلال العسكري أيضا للمعاظلة[8].

ومراده: إلى ملك أبوه ما أمّه من محارب أي ليست من بني محارب! وهو من شواهد التعقيد بالتقديم والتأخير.

١- *الأغاني*:١٢/ ٢١٦.
٢- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٧.
٣- ينظر نفسه، ٢/ ٣٦٧.
٤- ينظر أبو هلال العسكري: *كتاب الصناعتين*، ص:١٤٨.
٥- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٦.
٦- ينظر *طبقات فحول الشعراء*:٢/ ٣٦٧.
٧- ينظر نفسه: ٢/ ٣٦٧.
٨- ينظر *كتاب الصناعتين*، ص: ١٤٨.

وقوله:

إليـــك أمـــير المـــؤمنين رمـــت بنـــا   همـــوم المنـــى والهوجـــل المتعـــسفُ[1]

وعـــضّ زمـــان يـــا ابـــن مـــروان لم يـــدع   مـــن المـــال إلا مـــسحتا أو مجلّـــفُ

ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني: من المال إلا مسحتا أو مجرّفُ[2].

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلاّم الجمحي[3].

سبق لنا أن ذكرنا موقف عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت١١٧هـ) من هذا البيت.

وحاول بعضهم أن يجد تخريجا لرفع (مجلّف) "قال أبو عمرو: ولا أعرف لها وجها، وكان يونس لا يعرف لها وجها"[4].

ووجه رفع (مجلّف) ابن جني (٣٩٢هـ) في موضعين من كتابه(المحتسب) فقال في الموضع الأول في توجيه قراءة (الذي تساءلون به والأرحامُ-الآية ١ من سورة النّساء) رفعا قراءة ثالثة، فقال: "ونحو من رفع الأرحام هنا بعد النّصب والجر قول الفرزدق...إلا مسحتا أو مجلّفُ فيمن قال: أراد أو مجلّف كذلك، ومن حمله على المعنى فرفعه، وقال: إذا لم يدع إلا مسحتا فقد بقي المسحت وبقي أيضا المجلّف، سلك فيه غير الأول"[5].

وقال في الموضع الثاني: "ويُروى بيت الفرزدق:

وعـــضّ زمـــان يـــا ابـــن مـــروان لم يـــدع   مـــن المـــال إلا مـــسحتا أو مجلّـــفُ

... وإعرابه أنّه لما قال: لم يدع من المال إلا مسحتا دلّ على أنّه قد بقي، فأضمر ما يدل عليه القول، فكأنّه قال: قد بقي مجلّف"[6].

١- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٦.
٢- ينظر *طبقات فحول الشعراء*: ٢/ ٣٦٦.
٣- ينظر *طبقات فحول الشعراء*: ١/ ٢١، ٢/ ٣٦٦.
٤- ينظر نفسه: ١/ ٢١.
٥- *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط، سنة ١٩٩٩م، ١/ ١٨١.
٦- نفسه: ٢/ ٣٦٥.

وعلى أية حال فإنّ الفرزدق "أتعب أهل الإعراب في طلب العلة فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيء يُرتضى، ومن ذا يخفى عليه من أهل النّظر أنّ كل ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه"[1].

وقوله:

ولقد دنت لك بالتخلّف إذ دنت ... منها بلا بخل ولا مبذولِ

وكأن لون ضاب فيها إذ بدا ... بردٌ بفرع بشامة مصقولُ[2]

ويروى البيتان:

وكأن طعم رضاب فيها إذ بدت ... بردٌ بفرع شامة مصقولِ

ولقد دنت لي في التخلب إذ دنت ... منها بلا بخل ولا مبذولِ[3]

تعليق:

مما ذكرهما مبن بن سلاّم الجمحي[4].

وفي البيتين إقواء ظاهر مما يعاب على الشعراء الوقوع فيه.

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إنّ ابن ضبّاري ربيعةَ مالكا ... لله سيفُ صنيعةٍ مسلولُ

ما نال من آل المعلى قبله ... سيفٌ لكل خليفة ورسولِ[5]

ويروى هذان البيتان:

إنّ ابن جبّاري ربيعةَ مالكا ... لله سيف صنيعة مسلولِ

مازال في آل المعلى قبله ... سيفٌ لكل خليفة ورسولِ[6]

١- ابن قتيبة: *الشعر والشعراء*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د.ط، سنة ٢٠٠٦م، ١/ ٨٩-٩٠.
٢- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٦.
٣- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٨.
٤- ينظر نفسه، ٢/ ٣٦٨.
٥- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٦.
٦- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٨.

تعليق:

مما ذكرهما محمد بن سلاّم الجمحي[1]، ووقع الفرزدق فيهما بالإقواء أيضا.

وقوله:

ما من يدي رجلٍ أحق بما أتى ... من مكرمات عطاية الأخطارِ

من راحتين يزيد يقدحُ زندَه ... كفّاهما ويشدّ عقد جوارِ[2]

يروى هذان البيتان:

ما من يدي رجلٍ أحق بما أتى ... من مكرمات عظايم الأخطارِ

من ساعدين يزيد يقدحُ زندَه ... كفّاهما ويشدّ عقد جوارِ[3]

تعليق:

ذكرهما أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) في المعاظلة وسوء النّظم[4].

وقوله:

إذا جئته أعطاك عفوا ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائله

لدى ملكٍ لا تنصف النّعلُ ساقَه ... أجل لا، وإن كانت طوالا حمائله[5]

ويروى الشطر الثاني من البيت الأول: على ماله حال الندى مثل سائله[6].

تعليق:

في البيت الثاني معاظلة واضحة التي قال فيها قدامة: "سألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة، فقال: مداخلة الشيء في الشيء...وبقي النّكير إنّما هو في أن يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به، وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة"[7].

١- ينظر نفسه، ٢/ ٣٦٨.

٢- ينظر *شرح ديوان الفرزدق*، ص:٢٠٩.

٣- ينظر *كتاب الصناعتين*، ص:١٤٨.

٤- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٦.

٥- ينظر *كتاب الصناعتين*، ص:١٤٨.

٦- ينظر نفسه، ص:١٤٨.

٧- قدامة بن جعفر: *نقد الشعر*، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، سنة١٩٧٨م، ص:١٧٤ وينظر قول الأصمعي يعاظل بين الكلام: يداخل فيه، ويقال: يتبع حواشي الكلام، ووحشي الكلام والمعنى واحد *الأغاني*: ١٠/ ٢٢٧.

وقوله:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يسير بجانبيه نهار[1]

ويروى:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار[2]

تعليق:

مما ذكره محمد بن سلام الجمحي[3].

ورأى محقق (طبقات فحول الشعراء) في هامشه (٥) أنّ هذا البيت من مختار شعر الفرزدق، لامن المتداخل المعقد[4]، مخالفا ما قاله ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) الذي عدّه من الضرب الذي جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه[5].

وتشبيه بياض الشعر وسواده ببياض النّهار وسواد الليل معنى مغسول لا خير فيه، والبيت مختلف فيه بين معجب به، وناقدٍ عليه.

وأخيرا:

بعد هذا العرض النّاقد لأبيات الفرزدق، ليس لنا سوى أن نتفق مع القدماء في نقدهم عليه أبياته؛ لأنها خرجت على حسن النّظم، وأن توضع الألفاظ في مواضعها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير إلا بما لا يحدث لبسا، ولا معاظلة، ولا يتطلب تأويلا بعيدا، ولا يرتكب مخالفة في القوافي بالإقواء ولا بغيره، ويقتضينا الإنصاف أن نختم كلامنا في شعر الفرزدق ما رواه أبو الفرج فقال: "أخبرني هاشم الخزاعي عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة، قال: سمعت يونس يقول: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب"[6].

١- *الأغاني*: ٢١/ ٢١٦.
٢- ينظر *طبقات فحول الشعراء*، ٢/ ٣٦٨.
٣- ينظر نفسه، ٢/ ٣٦٨.
٤- ينظر نفسه، ٢/ ٣٦٩.
٥- ينظر *الشعر والشعراء*، ١/ ٦٩.
٦- *الأغاني*: ٢١/ ٢٧٧.

أساليب:

"قال إسحاق: قال لي الأصمعي: عمر حجة في العربية، ولم يؤخذ عليه إلا قوله:

ثـــمّ قـــالوا تحبهـــا قلـــت بهـــرا عـــدد الرمـــل والحـــصى والـــتراب

وله في ذلك مخرج، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار"[1].

تعليق:

ذكر هذا البيت سيبويه في باب (هذا ما ينصب من المصادر على إضـمار الفعـل غير المستعمل إظهاره)[2]، يؤيد ما قاله الأصمعي من كون عمر بن أبي ربيعـة حجـة في العربية، وينظر إليه أبو الفرج من زاوية أسلوبية، فلا يـرى فيـه اسـتفهاما بـل هـو خبر، على ما يراه الأصمعي إذ لا يجوز لديه حذف أداة الاستفهام.

- "يقال: كربه الأمر، وكرثه، وبهضه، وغنظه إذا غمّه"[3].

تعليق:

يوسع أبو الفرج التعبير عن المعنى بإيراد أفعـال أخـرى تـدور في دائـرة المعنـى المتقارب، أو ما يسمى (الترادف) !

ويرى ابن فارس: "وكـذلك في الأفعـال نحـو: مـضى وذهـب وانطلـق، وقعـد، وجلس،ورقد، ونام، وهجع، قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلـس، وكـذلك القـول فيما سواه، وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب...وإنّما نقول: إنّ في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى"[4]، وهكذا نرى.

- "فـإن تُمـسِ شـطّت بهـا دارُهـا ويـــاح لـــك اليـــوم هجرانهـــا

...

وشـطّت: بَعُـدَتْ، قـال ابـن الأعرابـي: يقـال: شـطّت وشـطنت، وشـسعت، وتشسعت، وبعُدت، ونأت، وتزحزت، وشطرت...وباح: ظهر؛ ومنه باحة الدار"[5].

١- *الأغاني*: ١/ ٧٢.
٢- *الكتاب* (طبعة هارون) ١/ ٣١١.
٣- *الأغاني*: ٢/ ٩٤.
٤- *الصاحبي*، ص:١١٤-١١٦.
٥- *الأغاني*: ٢/ ٢٨٠.

تعليق:

ينطلق أبو الفرج من النصوص، فيقف عند (الفعل) لأنه بؤرة المعنى ليكشف معناه، ويردفه بالرواية عن لغوي ثبت(ابن الأعرابي- محمد بن زياد ت ٢٣٢ هـ) ما يؤدي معنى (شطّ) من أفعال جرى بها الاستعمال، مع ذكر ما يرد من أفعال أخرى متصرفة، ونظرة في أي معجم تجعل المتلقي يعرف مدى دقة أبي الفرج في إيراد معنى الأفعال لغويا متطابقا مع مراد الشاعر، ويقدّم للمتلقي صورا من التعبير المتقارب في المعنى، وكأنّه يوحي بهذا إلى الترادف في اللغة!

- "لا يُبعدَنّ الله لبّك إذ غزا وسافر والأحلام جَمٌّ عثورها

غزا وسافر لُبُّك: ذهب عنك"[1].

تعليق:

استعمال مجازي لم تنص عليه المعجمات، فمنحه أبو الفرج دلالته التي تضمنها النصّ.

- "ولو أنني حمّلته البُزْلُ ما مشت به البُزْلُ حتى تتلئب صدورُها

تتلئب: تستقيم وتتنصب وتمتدّ وتتابع"[2]

تعليق:

جاء في العين (طبعة المخزومي والسامرائي) (ت ل ب): "واتلأب الطريق اطّرد واستقام"، وفي أساس البلاغة (تلب): "المتلئب: المستقيم المستوي والمراد المطّرد".

وجاء في الصحاح مادة (تلب): "واتلأب الأمر اتلئبابا: استقام، واتلأب الطريق: إذا امتدّ واستوى".

ذكر أبو الفرج (اتلأب) وما يناظره في المعنى من أفعال.

- "تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا عليّ حراصا لو يسرّون مقتلي

..."

١- نفسه: ٦/ ١٩٤.
٢- نفسه: ٦/ ١٩٤.

وقوله (يسرون مقتلي) قال الأصمعي: يُسرّونه، وروى غيره: يُشرّون بالشين المعجمة أي يظهرونه، وقال الشاعر:

فما برحوا حتّى أتى الله نصره وحتّى أشرّت بالأكف الأصابعُ

أي أظهرت، وقال غيرهما: لو يُسرونه: من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من النّاس وقتلوني[1].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (سرر): "وأسررت الشيء: أظهرته، وأسررته: كتمته".

وفي نصّ العين ما يُغني عن رواية الشيء (يشرّونه) فأشرّه يقال للذي يبسط في الشمس، تنظر مادة(شرر) في العين أيضا.

وجاء في الصحاح مادة (سرر): "وأسررت الشيء: كتمته وأعلنته أيضا فهو من الأضداد، والوجهان جميعا يفسران في قوله تعالى: (وأسرّوا النّدامة لمّا رأوا العذاب- الآية ٥٤ من سورة يونس)، وكذلك في قول امرئ القيس: تجاوزت أحراسا...، وكان الأصمعي يرويه (لو يشرّون) بالشين المعجمة أي يظهرون".

لا أريد التعليق على رواية الأصمعي التي ذكرها أبو الفرج واختلافها في الصحاح فلذلك موضع غير هذا، بل أذكر المعاني التي ساقها أبو الفرج لـ (أسرّ) و (أشرّ) ومطابقتهما مع ما ورد في (العين) و (الصحاح).

- مِكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معا كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ ...

يقال: من علٍ، ومن علُ، ومن علا، ومن عَلْوَ، ومن عالٍ ومن علو ومن معالٍ[2].

تعليق:

يعرض أبو الفرج صورا متعددة من استعمال(عل) وقد ذكرت المعجمات منها:

جاء في كتاب العين مادة (علو): "ويقولون: في موضع أعلى عالٍ، وفي موضع

١- *الأغاني*:٩/ ٥٦.

٢- *الأغاني*: ٩/ ٥٧.

أعلى علٍ، قال أبو النّجم:أقبَ من تحت عريضٌ من علُ، وقد ترفعه العرب في الغاية فيقولون: من علُ".

وجاء في أساس البلاغة مادة (علو): "وأتاك من علُ ومن علِ".

ويبدو أنّ أبا الفرج جمع مادته (عل) واستعمالاتها من أكثر من مرجع لغوي ورد فيها هذا الاستعمال مما يدلل على سعة محفوظه، يتقدّم لمن يقرأ كتابه فسحة في التعبير ليرتقي به.

- "وأفلتهن علباءٌ جريضاً ولو أدركنه صفر الوطابُ

... سمعت رجلا سأل يونس عن قوله: (صفر الوطاب) فقال: سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن، وقال غيره: صَفِرَ الوطاب أي أنّه كان يقتل فيكون جسمه صَفِرا من دمه كما يكون الوطاب صَفِرا من اللبن"[1].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (صفر): "ومن المجاز (صفرت وطابه) وصغر إناؤه إذا هلك".

جاء في الصحاح مادة (صفر): "والصِفر أيضا الخالي... والصَفَر أيضا: مصدر قولك صَفِر الشيء بالكسر أيلا خلا، يقال: نعوذ بالله من صفر الإناء، يعنون به هلال المواشي".

والعبارة التي ذكرها أبو الفرج (صفر الوطاب) وردت في (أساس البلاغة) على ما أراد من مجاز.

- "لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته تقضّى لبانات ويسأم سائم

...

واللبانات والمآرب والحوائج و الأوطار واحد"[2].

١- *الأغاني*: ٩/ ٦٨.
٢- نفسه: ٩/ ٧٩.

تعليق:

يذهب أبو الفرج في تعداد ما تقارب في المعنى، كأنّه يرى ترادفا فيها!

- "عمّي صباحا، وأنعمي صباحا: تحية"[1].

تعليق:

جاء في أساس البلاغة مادة (نعم): "وأنعم صباحا ومساء ويقال: عِمْ صباحا بحذف الهمزة والنون".

وهاتان صورتان للتحية وردتا في الشعر العربي واستعملتها العرب في كلامها قبل الإسلام فأبدلها بتحية(السلام عليكم).

- "لا مرحبا بغدٍ ولا أهلاً به   إن كان تفريق الأحبة في غدِ

...

وقوله: لا مرحباً: لاسعةً ونصبه هاهنا شبيه بالمصدر كأنّه قال لارَحُبَ رُحباً، ولا أَهَلَ أهلا"[2]

تعليق:

النصب على المصدرية أسلوب معروف سائد التداول والاستعمال، عدّه النّحاة منصوبا بعامله المحذوف وجوبا[3].

- "يقال: في صدره عليّ إحنة وترة وضبٌ وحسيكة ودمنة، يقال: لي في كذا لبانة ولبونة ولُماسة ووطر وحوجاء"[4].

تعليق:

الاتساع في التعبير عن معنى واحد بأساليب متعددة.

"ولا غاب قرن الشمس حتى تحدّثت   بنفيك سكانُ القر والمساجدُ

١- نفسه: ٩/ ١٦٥.
٢- الأغاني: ١١/٨-٩.
٣- ينظر شرح ابن عقيل: ١/ ٥١٢-٥١٣.
٤- الأغاني: ١١/ ١٣٩.

رفع (المساجد) لأنه جعل الفعل لها، كأنه قال: وأهل المسجد كما قال الله عزوجل (واسأل القرية)، وتحدثت المساجد وإنما يريد من يصلي بها[1].

تعليق:

يرى أبو الفرج هنا أن المضاف محذوف وأقيم المضاف إليه نيابة عنه، والتعبير عند أهل البلاغة من المجاز على جهة الاتساع.

أبعدَ ابن عمرٍ من آل الشريد حلّت به الأرض أثقالها

...

التفسير عند أبي عبيدة...قال: اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[2].

تعليق:

هذا توجيه دلالي لأسلوب معروف، فمقام المدح في البيتين عدّه أهل البلاغة خبرا، خرج إلى التقرير[3].

- هممت بنفسي كل الهموم فأولى لنفسي أولى لها

...

هممت بنفسي، قال أبو عبيدة: هذا توعد[4].

تعليق:

هذا البيت للخنساء من قصيدة ترثي أخاها معاوية قد أفادت من التعبير القرآني قوله تعالى: (أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى)[5]، قال الزمخشري فيها: بمعنى ويل

١- الأغاني: ١٣/ ٦٣.
٢- نفسه: ١٥/ ٦٦.
٣- ينظر أحمد الهاشمي: جواهر البلاغي في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص:٩٦.
٤- الأغاني: ١٥/ ٦٥-٦٦.
٥- الآيتان ٣٤ و ٣٥ من سورة القيامة.

لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره"[1]، وقيل: "ومعناه وليك شرّ بعد شر"[2].

- لَشتّان مـا بـين اليزيـدين في النـدى   يزيـدُ سُـليم والأغـرّ ابـن حـاتم

...

حدثني أسيد بن خالد الأنصاري قال: قلت لأبي زيد النحوي: إن الأصمعي قال: لا يقال شتان ما بينهما، إنّما يقال: شتان ماهما وأنشد قول الأعشى: شتّان ما يومي على كورها، فقال: كذب الأصمعي، يقال شتّان ما هما، وشتّان ما بينهما[3].

تعليق:

جاء في كتاب العين مادة (شتت): "ويقال: شتان ما هما".

ذكر الخليل صورة واحدة لا ستعمال (شتّان) وهي ما ذهب إليه الأصمعي، وغيرهما يجوّز الوجهين، وأجاز الزمخشري الصورتين في استعمال (شتّان).

إن أبا الفرج إذ يعزز النصّ بالرأيين؛ لأنهما وردا في الشعر، ولأنّ موقف الأصمعي لا يلزم الآخرين الذي قال فيه الرضي الاسترابادي (ت٦٨٦هـ): " وأنكره الأصمعي وقال الشعر مولّد وذلك بناء على مذهبه"[4].

"حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي، عن عنبسة النحوي قال: قلت لذي الرمة وسمعته ينشد ويقول:

وعينـان قـال الله كونـا فكانتـا   فعـولين بالألبـاب مـا تفعـل الخمـرُ

قال: فقلت له: فهلا قلت فعولان؟ فقال: لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كان خيرا لك، أي أنك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب، وأراد عنبسة عينان فعولان[5].

١- *الكشاف*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، سنة ١٩٩٨م، ٦/ ٢٠١٣.

٢- العكبري: *إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن*، ٢/ ٢٧٥.

٣- نفسه: ١٦/ ١٧٢-١٧٣.

٤- *شرح الرضي على الكافية*، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، طبعة جديدة، سنة ١٩٩٦م، ٣/ ١٠٣.

٥- *الأغاني*: ١٨/ ٢٦.

تعليق:

ينقل أبو الفرج حوارا جرى على بيت ليدلل على غرض الشاعر وتفسير الآخرين وتوجيههم!

"قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله:

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرحُ

فناداه ابن شبرمة: يا غيلان، أراه قد برح... ثمّ عاد فأنشد:

إذا غيّر النأي المحبين لم أجد

قال: فلما انصرفت حدثت أبي، فقال أخطا ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد، وأخطأ ذو الرمة حين غيّر شعره لقول ابن شبرمة، وإنما هذا مثل قول الله عزوجل: (ظلمات بعضها فوق بعض حتى إذا أخرج يده لم يكديراها)[1]، وغنما معناه لم يرها ولم يكد"[2].

تعليق:

الفعل (كاد) موضوع للمقاربة، والمختار من آراء النحاة فيها أنها جارية على حكم الأفعال في النفي والإثبات، فإذا قلت: ما كاد يفعل فالغرض أنه لم يفعل، وإذا قيل: يكاد يفعل فالمراد من ذلك انه قارب فعله ولم يفعله[3]، وعليه قول ذي الرمة، وأخطأ ابن شبرمة في فهم دلالة ما قاله الشاعر.

"وقلّ لأطلالٍ لميٍّ تحيةً تحيا بها أو أن تُرِشّ المدامع

...

وقلّ لأطلال، أي ما أقلّ لهذه الأطلال مما أفعله"[4].

١- الآية ٤٠ من سورة النور.
٢- *الأغاني*: ١٨/ ٢٦.
٣- ينظر يحيى بن حمزة العلوي: *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ٢/ ١٩٨-١٩٩.
٤- الأغاني: ١٨/ ٣٦.

تعليق:

تعبير جديد يعرضه أبو الفرج لأسلوب التعجب!

قال: فقال لي المهدي وله (أي لليزيدي والكسائي): تناظرا في غير هذا حتى نسمع، فتناظرنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له: كيف تقول: إنّ من خير القوم أو خيرَهم نيّةً زيدٌ، قال: فأطال الفكر لا يجيب، فقلت: لأن تجيب فتخطئ فتتعلم أحسن من هذه الإطالة، فقال: إنّ من خير القوم أو خيرُهم نيّةً زيداً، قال: فقلت: أصلح الله الأمير، ما رضي أن يلحن حتّى لحن وأحال قال: وكيف؟ قلت لرفعه قبل أن يأتي باسم إنّ النّاصبة، ونصبه بعد رفعه، فقال شيبة بن الوليد: أراد بأو – بل، فرفع هذا معنى، فقال الكسائي: ما أردت غير ذلك، فقلت: فقد أخطأ جميعا أيها الأمير لو أراد بأو –بل رفع زيدا لأنه لا يكون بل خيرُهم زيداً، فقال المهدي: يا كسائي لقد دخلت عليّ مع مسلمة النحوي وغيره فما رأيت كما أصابك اليوم، قال: ثمّ قال: هذان عالمان ولا يقضي بينهما إلا أعرابي فصيح... فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب... فقلت... كيف ينشد هذا البيت:

وإنّ من خيرهم وأكرمهم أو خيرهم نيةً أبو كرب

...

فأجاب فيها كلها بقولي[1].

تعليق:

ينقل لنا أبو الفرج مناظرة بين متنافسين: اليزيدي والكسائي في عبارة اختلف النحاة في أيّها أصوب: أيجوز العطف على اسم إن قبل تمام خبرها أم لا يجوز؟[2] وقد وردت مثل هذه الصورة كثيرا ولكلّ توجيهه، مرة بالجواز، ومرة بحمل معنى حرف العطف على حرف آخر، وبآخرة يحتكم إلى ما جرى على ألسنة الفصحاء!

في الإعراب:

ومنها قصيدة التي أولها: لمن الدارُ تعفّت بخيَم

١- *الأغاني*: ٢٠/ ١٣٥-١٣٦.
٢- ينظر *شرح ابن عقيل*: ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

وثـــــلاثٍ كالحمامــــــات بهـــــا بـــين مجثــاهنّ توشـــيم الحمـــم

والثلاث يعني الأثافيّ التي تنصب عليها القدْر...

لمـــن الـــدار تعـــفّت بخـــيمْ أصـــبحت غيّرهـــا طـــول القـــدم

مـــا تـــبين العـــين مـــن آياتهـــا غـــير نـــؤيٍ مثـــل خـــط بـــالقلم

وثلاثٍ كالحمامات بها...

وعلى هذا خُفِض قوله: وثلاثٍ كالحمامات [1].

تعليق:

يعرض أبو الفرج البيت الذي قد يسبب لبساً ويربطه بما تقدمه ليعلل خفض مفردة فيه فيجد المتلقي وضوحاً يقوده إلى المعنى المقصود.

بْنـــاتِ كـــرامٍ لم يـــربْنَ بـــضُرةٍ دمـــى مـــشرقات بـــالعبير روادعـــا

بناتِ كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله وينصب به وهو قوله:

وأصبي ظباءً في الدمقس خواضعا.

بناتِ كرامٍ هكذا في القصيدة على تواليها. وقد يجوز رفعه على الابتداء [2].

تعليق:

الوجهان اللذان ذكرهما أبو الفرج في نصب (بنات) ورفعها صالحان على ما جرى الاستعمال فيها.

- فْكـــم مـــن قتيـــلٍ مـــا يبـــاء بـــه دمُ ومـــن غَلِـــقٍ رهنـــاً إذا لفّـــه مِنـــى

قال: ويروى (ومن غَلِقٍ رهنٍ) كأنّه قال ومن رهـنٍ غلـقٍ لا يُجعل من تحت الرهن كأنّه جعل الإنسان غلِقا وجعله رهناً كما يقال:

كم من عاشقٍ دنف، ومن كلفٍ صب [3].

١- *الأغاني*: ٢/ ٩٥-٩٦.
٢- نفسه: ٢/ ٩٦.
٣- *الأغاني*: ٩/ ٤٩.

تعليق:

لكي يقف أبو الفرج على المعنى يوجّه البيت في ضوء روايته، ثمّ يجد أن فيه تقديماً وتأخيراً بين الصفة والموصوف مذيلاً ذلك بجمل فصيحة سائدة في التعبير.

- لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته تقضّى لباناتٍ ويسأم سائمُ

وقوله (لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته) قال الكوفيون: أراد لقد كان ثواء حول ثويته، فجعل (ثواء) بدلاً من حول... كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى[1].

تعليق:

وهذا مثل سابقه، ولكنّه يذكر موقف القدماء منه.

لعب الرياح بها وغيّرها بعدي سوافي الريحِ والقطرِ

قال: والقطر مخفوضة بنسقه على الريح، والقطر لا سوافي له وهذا تفعله العرب في المجاورة وهو مثل قولهم: حجر ضبّ خربٍ[2].

تعليق:

في هذا النصّ الذي أورده أبو الفرج تصحيف فكلمة (حجر) اتفقت كل كتب النحو التي تداولت هذه العبارة في باب (الجرّ على المجاورة) أنها (جحر) بتقديم الجيم على الحاء، وفي هذه العبارة توجيهات أخرى[3].

- جَرَتْ سنحاً فقلت لها أجيزي نوىً مشمولةً فمتى اللقاءُ

وجعل مشمولةً هنا في النوى لأن نيتهم كانت شريعة فأجرى ذلك مجرى الذم[4].

تعليق:

يريد أبو الفرج من تعليقه أن هذا أسلوب الاختصاص يراد به الذم.

١- نفسه: ١٠/ ٢٣٦.
٢- الأغاني: ١٠/ ٢٣٦.
٣- ينظر ابن جني: *الخصائص*، ٣/ ٢٢٣-٢٢٤.
- الرضي الأسترابادي: *شرح الرضي على الكافية*، ٢/ ٣٢٨.
٤- *الأغاني*: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.

- الإتباع:

"وقد غرّها مني على الشيب والبلى جفوني بها، جُنّت حيالي وحُنّتِ

يقال: جُنّ وحنّ، وهو من الإيقاع كما يقال: حسن بسن[1].

تعليق:

الإتباع عند العرب أنْ تتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتأكيداً. وروي أنّ بعض العرب سُئِلَ عن ذلك فقال: هو شيء نُتِدُ به كلامنا... وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب [2].

وأرى أن يلحق (الإتباع) بموضوع (التوكيد) في الدرس النحوي.

خبر إنّ:

" قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال: كان سبب طلب الواثق لي أن مخارقاً غنّى في مجلسه:

أظلِيمُ إنّ مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلمُ

فغنّاه مخارق (رجلُ) فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون. فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين فَذُكِرت له... فأمر بحملي، وصلت إليه قال: ممن الرجل؟ فقلت: من بني مازن... فقال لي: باسمك؟ (يريد ما اسمك وهي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس: مكر (أي بكر) فضحك فقال: اجلس واطبئن (يريد واطمئن). فسألني عن البيت، فقلت: إنّ مصابكم رجلاً. فقال أين الخبر؟ قلت: ظلم وهو الحرف الذي بآخر البيت، وقال الأخفش في خبره: رجلاً حياكم ظلم. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إنّ البيت كلّه معلّق لا معنى له حتى يتم بقوله (ظلم). ألا ترى أنه لو قال: أظلم إن مصابكم رجلُ أهدى السلام تحيةً لما احتيج إلى (ظلم) ولا كان له معنى إلا بجعل التحية بالسلام لماً وذلك محال، ويجب حينئذ أن يقول:

١- نفسه:١٢/٢٣٨.

٢- ابن فارس: الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،د.ط، سنة ١٩٧٧م،ص:٤٥٨.

أظلِيم إن مصابكم رجل أهدى السلام تحيةً ظلما

ولا معنى لذلك، ولا هو، لو كان له وجه، معنى قول الشاعر في شعره فقال: صدقت [١].

تعليق:

يكشف أبو الفرج ما آل إليه تفسير نصوص الشعر نحوياً مما أضطر الخليفة إلى استدعاء أبي عثمان المازني لتوجيه خبر إنّ! وهذه الحادثة تناقلها أغلب كتب الطبقات والسير والتراجم.

أولاك الجعاد البيض من آل مالك وأنتم بنو قين لحقتم به نَزْرا

نصب (نزرا) على الحال، كأنه قال لحقتم به نزراً قليلاً من الرجال [٢].

تعليق:

وقف أبو الفرج على (نزر) المصدر النكرة وتقديره بـ(قليلاً) ليوضح للمتلقي ذلك، فالنحاة لا يعدونه مقيساً على كثرة مجيئه فقالوا: "ومصدرٍ منكّرٍ حالاً يقعْ بكثرةٍ.

وقد كثر مجيء الحال مصدراً نكرةً، ولكنّه ليس بمقيس لمجيئه خلاف الأصل [٣].

وقد ناقض النحاة أصلاً من أصول بناء النحو في (الكثرة) التي اختطها أبو عمرو بن العلاء في الرواية التي نقلت عنه: "قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عمّا وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كلّه؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمّي ما خالفني لغات" [٤].

١- الأغاني: ٩/ ١٧٤.
٢- نفسه:١٥/ ٢٢٧
٣- شرح ابن عقيل:١/ ٥٧٤.
٤- أبو بكر الزبيدي: <u>*طبقات النحويين واللغويين*</u>،ص:٣٩.

الخاتمة ونتائج البحث

صرف أبو الفرج الأصفهاني خمسين عاما في جمع مادة كتاب (الأغـاني)، فجـاء موسوعة متضمنة أشتاتا من المعارف، ومنها علوم العربية، فحملني على أن أفـرد لـه فصلا يتصدر (النحو عند غير النحويين)، ولن أتحدث عن صعوبة استقراء ما فيه مما يتعلق بالعنوان، فعكفت عليه بقراءات متعددة حتّى بلغت منـه -علـى زعمـي- مـا أريد، وربما فاتني منه ما هو أدخـل بموضـوعه، وهـذه محاولـة قـد تـؤدي جانبـا ومـا ينسجم وعنوان الكتاب.

وتحققت فيه جملة فوائد:

- يصدر أبو الفرج في مباحثه التي وقفت عليها من النصّ، وهذا لعمري منطلق صالح ومذهب متقبل لإشاعة نحو النصّ.
- لم ينحز أبو الفرج إلى مذهب معين: بصري أو كـوفي، أنّمـا كـان يأخـذ معارفـه مـن شيوخ المذهبين، أو ممن يدين بهذا المذهب أو ذاك.
- يعرض أبو الفرج المسألة بوجوهها، والخلاف فيها، ثم يدع للقـارئ أن يختـار حينـا، وقد يرجح رأيا.
- تتجلّى دقته في الرواية، ونسبة الرأي إلى الثقات من الأعلام في مسائل اللغة.
- يستقصي أبو الفرج صور المسألة التي يعرض لها، فلا يدع صورة أو وجهـا وصـلت إليه معرفته به.

وحسبنا فيما أوردناه أن يلقى من المعنيين بشؤون اللغة والنحـو اهتمامـا ونقـدا واستدراكا.

والحمد لله أولا واخيرا،،،

سعيد جاسم الزبيدي
جامعة نزوى – قسم اللغة العربية

١٣/١١/٢٠١٢م

الفصل الثاني

أبو حيان التوحيدي والنحو

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأوّل: في الاسم وما يتعلّق به.

المبحث الثاني: في الفعل وما يتعلّق به.

المبحث الثالث: في الحروف.

المبحث الرابع: في الإعراب.

المبحث الخامس: في مسائل أخرى.

الفصل الثاني

أبو حيان التوحيدي والنحو

المقدمـة

كان قد اقترح عليّ أستاذنا المرحوم الدكتور عليّ جواد الطاهر أن أقدّم (النّحـو عند غير النّحويّين)، وكيف وظّفوه في مباحثهم؟ وما الجديد فيه؟ ولا سيّما عند مـن زاول الأدب، فهم صدروا عن ممارسة في فنّ الكتابة، وعن فهم للنّحو قد يختلف عمّا ألفناه عند النّحاة الذين تجرّدوا للنّحو. فكان أن كتبت عن (ابن الأثير (ضياء الـدين) والنحو). وأشفعه بثانٍ هو (أبو حيّان التوحيديّ والنّحو).

والتوحيديّ (عليّ بن محمد بن العبّاس، أبو حيّان، ت٤١٤هـ) من أعـلام النثـر الفنّي في القرن الرابع الهجريّ حتّى قيل فيه: إنّه لم يكتب في النّثـر العربـيّ بعـد أبـي حيّان ما هو أسهل، وأقوى، وأشدّ تعبيرًا عن شخصيّة صاحبه ممّا كتبه أبـو حيّـان[١]. وعدّه الأستاذ محمد كرد علي من (أمراء البيان)[٢].

وقد أغنتني دراسات عدّة تجرّدت لأبي حيّان في زوايا مختلفة ممّا أحسن التـأليف به، فلم أتطرّق إلى حياته ومؤلّفاته، ففيها ما يبتغـي المتلقّـي. وأدرج هـذه الدراسـات على الوجه الآتي:

١ – أبو حيّان التوحيديّ، سيرته –آثاره– لعبد الرزاق محيي الدين، مكتبـة الخـانجي، القاهرة، سنة ١٩٤٩م.

١– آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التـأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٤٠م، ص٤٦٥.

٢– ينظر محمد كرد علي، أمراء البيان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٣٧م.

٢- أبـو حيّـان التوحيـديّ، لإحـسان عبّـاس، دار بـيروت للطباعـة والنّـشر، سـنة ١٩٥٦م.
٣- أبو حيّان التوحيديّ، لأحمد محمد الحـوفي، مكتبـة نهـضة مـصر بالفجالـة، سـنة ١٩٥٧م.
٤- أبو حيّان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، لزكريّا إبراهيم، سلسلة أعلام العرب، العدد (٣٥)، د.ت.
٥- أبو حيّان التوحيديّ - لإبراهيم كيلانـي، دار المعـارف، القـاهرة، سـنة ١٩٦٠م (سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم ٢١).
٦- علم الجمـال عنـد أبـي حيّـان التوحيـديّ ومـسائل في الفـنّ، لعفيـف بهنـسي، مطبوعات وزارة الإعلام العراقيّـة، بغـداد، السلـسلة الفنيّـة، العـدد (١٨)، سـنة ١٩٧٢م.
٧- أبو حيّان التوحيديّ في قضايا الإنسان واللغة والعلـوم، لمحمـود إبـراهيم، الـدار المتّحدة، عمّان، سنة ١٩٧٤م.
٨- الأديب والمفكّر أبو حيّان التوحيديّ، علي دب، الدار العربيّة للكتاب، بيروت، سنة١٩٨٠م.
٩- أبو حيّان التوحيديّ في كتاب المقابسات، لعبد الأمـير الأعـسم، دار الأنـدلس، بيروت، سنة ١٩٨٠م.
١٠- أبو حيّان التوحيديّ وجهوده الأدبيّة والفنّية، لعبد الواحد حسن الشيخ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الإسكندرية، ط١، سنة ١٩٨٠م.
١١- دفاع أبي حيان عن إحراقه لكتبه، لجعفر هادي حسن، مقاله منـشورة في مجلـة العربي الكويتية، العدد (٣٢٣) تشرين الأول، سنة ١٩٨٥م.
١٢- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، دراسة تحليلية لطالبة الماجستير يسري إسماعيـل إبـراهيم، رسـالة ماجـستير مقدمـة إلى كليـة الآداب، جامعـة الموصـل ١٩٨٩م.

١٣ – من معجم أبي حيّان التوحيديّ، لنعمة رحيم العزاوي، الموسوعة الصغيرة، رقم (٤٠٩)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، سنة ١٩٩٧م.
١٤ – النثر الفنّي عند أبي حيّان التوحيديّ، لفائز طه عمر، آفاق عربيّة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، سنة ٢٠٠٠م، وهي رسالة علميّة نوقشت في كليّة الآداب، جامعة بغداد في عقد الثمانينات، ولكن تأخّر نشرها.
١٥ – السرد في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيديّ، للباحث جابر حسن هرم، رسالة علميّة نوقشت في كليّة التربية، جامعة الموصل، سنة ٢٠٠٢م.
١٦ – أبو حيّان التوحيديّ لغويًّا، لنعمة رحيم العزاوي، الموسوعة الثقافية، سلسلة (٦)، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، سنة ٢٠٠٤م.

هذا فضلاً عن مباحث قيّمة تناولت نثره ومكانته في الأدب العربي مثل:
١ – الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري، لآدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، سنة ١٩٤٠م.
٢ – النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري، لزكي مبارك، سنة ١٩٣٤م.
٣ – أمراء البيان، لمحمد كرد علي، سنة ١٩٣٧م.
٤ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، لإحسان عبّاس، ط١، سنة ١٩٧١م.
٥ – حول مفهوم النثر الفنّي عند العرب القدامى، للبشير المجذوب، الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٢م.

وغير هذا كثير، وانعقدت دراسات أخرى على كتبه، وفي مقدّمات تحقيقها لمن يريد تفصيلاً أوسع.

لم يعرف أبو حيّان نحويًّا، ولم يقف عليه في هذا أحد قبلي، ومرّ عليّ أكثر من عشرين عامًا، ومسودة البحث تنتظر مني مراجعة أخيرة، حتى أقدمها للباحثين والدارسين لتكون بين أيديهم، وتدفع البحث النحويّ باتّجاه جديد.

وصفه السبكي (ت٧٥٥هـ) أنّه كان إمامًا في النّحو واللغة[١].

وترجم له السيوطي (ت٩١١هـ) في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/ ١٩٠[٢] رقم الترجمة (١٧٦٧).

وقال فيه إحسان عبّاس: كان واسع الاطلاع حقًّا يعرف الفقه، والحديث، والتصوّف، والتاريخ، والنّحو، على خير ما يعرفه من يتصلون بهذه العلوم[٣].

ووصفه عبد الواحد حسن الشيخ أنّه كان نحويًّا ذا حظّ وافر[٤].

وقد أشار إليه بـ (النحويّ) غير هؤلاء[٥]. وها أنا ذا عازم على سرد مباحثه النّحويّة التي ذكرها في مؤلفاته كلّها، وبيان مواضعها، والتعليق عليها بما يجمل بها من التقويم.

قامت خطّة هذا البحث على:

* مقدّمة.
* تمهيد: نظراته في النحو والنحاة.
* المبحث الأوّل: في الاسم وما يتعلّق به.
* المبحث الثاني: في الفعل وما يتعلّق به.
* المبحث الثالث: في الحروف.
* المبحث الرابع: في الإعراب.

١- السبكي: طبقات الشافعيّة، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة ١٩٦٤م – ١٩٧٦م، ٤/ ٢.

٢- ينظر السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٩م.

- وتنظر ترجمته في: الخوانساري: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله اسماعيليان، نشر مكتبة اسماعيليان، طهران، قمّ سنة ١٩٧٠م، ٨/ ٩٢-٩٣.

٣- أبو حيّان التوحيديّ، دار بيروت للطباعة والنشر، سنة ١٩٥٦م، ص٦.

٤- أبو حيّان التوحيديّ وجهوده الأدبية والفنّية، الهيئة المصريّة للكتاب/ الإسكندريّة، ط١، سنة ١٩٨٠م، ص٢٥٧.

٥- ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، ١٥، ٥-٦.

- وينظر زكريّا إبراهيم: أبو حيّان التوحيديّ، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، سلسلة أعلام العرب، العدد (٣٥)، ص٧١.

* المبحث الخامس: في مسائل أخرى.
* الخاتمة ونتائج البحث.
* المصادر والمراجع.

ملاحظـة:

حين شرعت أكتب في هذا الموضوع كنت أعتمد على (البصائر والذخائر، بتحقيق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، ومطبعة الإنشاء/ دمشق، المؤرّخة في ١٤ أيلول ١٩٦٤م) ولكني عدلت إلى تحقيق وداد القاضي، دار صادر/ بيروت، ط٥، سنة ٢٠١٠م لكونها بين يدي، وسأشير إلى كتبه الأخرى بالطبعات التي توافرت عليها.

التمهيد: نظراته في النّحو والنّحاة

تمكّن التّوحيديّ من علوم عصره، فاغتنى نثره، حتّى بلغ فيه ما تجاوز نثر الجاحظ[1]، على الرّغم من إعجابه به، وكان لثقافته الموسوعيّة الأثر البالغ في أسلوبه وفرادته بين أمراء البيان العربيّ، فقد كان "متقدّمًا في جميع العلوم، من النّحو، واللغة، والشعر، والأدب، والفقه، والكلام على رأي المعتزلة، فهو شيخ الصوفيّة، وفيلسوف الأدباء، ومحقّق الكلام، ومتكلّم المحقّقين، وإمام البلغاء، وهو فرد الدنيا الذي لا نظير له، ذكاءً، وفطنةً، وفصاحةً، ومكنةً، كثير التحصيل للعلوم، واسع الدراية والرواية"[2]. فلا غرو أن نجد أسلوبه يتأثّر بهذا كلّه، فجاءت مباحثه النّحويّة مبثوثة في مؤلّفاته تعكس قدرة التّوحيديّ، واطّلاعه الواسع في العربيّة، يعزّزه حبّ التوحيديّ للغته، عبّر عنه في أكثر من موضع، قال في معرض الموازنة بين العربيّة ولغات العجم، والروم، والهند، والترك، وخوارزم، وصقلاب، وأندلس، والزنج: "فما وجدنا

١- ينظر نعمة رحيم العزاوي: من معجم التوحيدي، الموسوعة الصغيرة (٤٠٩)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، سنة ١٩٩٧م، ص٦-٧.
٢- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، ١٥/ ٥-٦.

لشيء من هذه اللغات نصوع العربيّة، أعني الفُرَجَ التي في كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها... وهذا شيء يجده كلّ صحيح النيّة، بريئًا من الآفة، منزّهًا عن الهوى والعصبيّة، ومحبًّا للإنصاف في الخصومة..."[1]. ولم يكن التوحيديّ ذا مذهب في النّحو على الرغم من أنّ شيخه أبا سعيد السيرافيّ (ت ٣٦٨هـ)

بصريّ المذهب، ووصفه بقوله: "عالم العالم، شيخ الدنيا، ومقنع أهل الأرض"[2]. فقد نقل عن أعلام المذهبَينِ: البصريّ، والكوفيّ:

- فعن سيبويه (ت نحو ١٨٥هـ)، نقل في تسعة مواضع.
- والأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) نقل في موضعين.
- وأبي زيد الأنصاريّ (ت٢١٥هـ) نقل في أربعة عشر موضعًا.
- والمبرّد (ت٢٨٥هـ) نقل في سبعة وأربعين موضعًا.
- وابن الأعرابيّ (ت٢٣١هـ) نقل في ثمانية وأربعين موضعًا.
- والكسائيّ (ت١٨٩هـ) نقل في أربعة عشر موضعًا.
- والفرّاء (ت٢٠٧هـ) نقل في ستّة مواضع.
- وثعلب (ت٢٩١هـ) نقل في ثلاثة وسبعين موضعًا.

ونقل عن غير هؤلاء من المذهبين[3].

ممّا يدعو إلى الإعجاب، والاطمئنان بما يعرضه التوحيديّ من مباحث صدرت عن منهج واعٍ قال فيه: "وهذا كلّه سماع بعد تحكيك، ومدارسة، وتصحيح

١- أبو حيّان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق محمد الفاضلي، دار الجيل، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٣م، ٥٩/١.

٢- أبو حيّان التوحيدي: المقابسات، تحقيق علي شلق، دار المدى، بيروت، د.ط، سنة ١٩٨٣م، ص١٧٥.

٣- أبو حيّان التوحيدي: البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط٥، سنة ٢٠١٠م، ينظر الجزء العاشر فهرس الأعلام.

ومقايسة"[1]. أو "هذا كلّه عن سماع ومناقشة، وسؤال، واستنباط معروض على أهل العلم"[2]. ولا يقرّر إلا بما ثبت عنده، ورآه صحيحًا، متّفقًا عليه بلا انحياز.

وللتّوحيديّ آراء في (النّحو) لا بدّ لنا من عرضها؛ لنستطيع أن نفهم منطلقاتِه في مباحثه النّحويّة التي نثرها في مؤلفاته، وعلامَ تستند؟ وإلامَ يهدف فيها؟ وما تعليقاته عليها؟

ومنها ما نقله عن نشأة النحو:

- ما نقله عن غيره في (النّحو)، وساقها من غير أن يعلّق عليها، فنعدّها ممّا تبنّاه.
- ما قاله، وما علّق عليه، وما نقده.
- وكلامه على معاني الكلام.

سبب نشأة النحو:

"وكذلك في قوله: (أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ) فَرْق يتوسط بين الصواب والخطأ، صوابه إيمان وخطأه كفر، وبسبب هذا الحرف وضع النحو، لأن عليا بن أبي طالب> سمع قارئا يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك، فتقدم إلى أبي الأسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلا ومثالا وبابا وقياسا، بعد أن فتق له حاشيته، ومهد له مهاده، وضرب له قواعده"[3].

تعليق:

ظهر –قبل أبي حيان– أن علة نشأة النحو سريان اللحن إلى قراءة القرآن مما دعا أبا الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) إلى أن يقول:

"لا أظن يسعني إلا أن أصنع شيئا وأصلح به نحو هذا، أو كلام هذا معناه"[4].

١- نفسه ٢/ ٥٤.
٢- نفسه ٢/ ١٥٦.
٣- البصائر والذخائر، ١/ ١٨١.
٤- ابن النديم: الفهرست، تحقيق محمد عوني عبدالرؤوف، وإيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر(١٤٩) / القاهرة، سنة٢٠٠٦، ١/ ٤٠.

والنصّ يكشف عن فهم أبي حيان مهمة النحو لئلا تزيغ الألسنة، ويلوثها اللحن المفضي إلى الكفر! وعن معرفته طور النشأة الأول في تاريخ النحو.

* "قال بعض السّلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطبّ للأبدان، والنّجوم للأزمان، والنّحو للسان"[1].

وجهة نظر مقبولة، وقسمة منطقيّة، على الرغم من صناعة لفظيّة تكلّفت السجع!

* "سمعت في مجلس أبي سعيد -يعني السيرافي- شيخًا من أهل الأدب يقول: ومن الأفعال ما له وجهان، كشيء ينصرف على معنيين... انظر -فديتك- إلى أثر النّحو في هذا القدر اليسير، وتعجّبْ عنده من أبي حنيفة الصوفي حين قال لك: إنّ الله أمرنا بالطاعة والإيمان، وإن لم يأمرنا بالنحو، وإلا فهات أنّه يدلّ على أنّه أمرنا بأن نتعلّم: ضرب عبد الله زيداً. وقد رأيت زوغانه عن تحصيل الحجة في معرفة ذلك: ألّا يعلم أنّ الكلام كالجسم، والنّحو كالحيلة، وأنّ التمييز بين الجسم والجسم إنّما يقع بالحُلى القائمة، والأعراض الحالّة فيه، وأنّ حاجته إلى حركة الكلمة بأخذه وجوه الإعراب حتى يتميّز الخطأ من الصواب... وليس على كلامه قياس"[2].

وفي هذا البيان تظهر قناعة أبي حيّان بأهميّة النّحو.

ويسترسل أبو حيّان في دفاعه عن أهميّة النّحو لتوهين ما قاله هذا الصوفيّ فيقول: "أوَ تراه يقف على تحصيل المعنى المدفون في هذا اللفظ دون المعنى المدفون في هذا اللفظ إلّا بتمييز وجوه حركات اللفظ"[3].

تأمّل هذا الربط بين المعنى وحركات الإعراب.

ويردف هذا بقوله:

"وأما قوله: قد نقض على النحويّين ابن الراوندي نحوهم، فإنّه ذاهب بهذا القول عن وجه الرشد، لأنّ ابن الراوندي لا يلحن، ولا يخطئ، لأنّه متكلّم بارع، وجهبذ ناقد، وبحّاث جَدِل، ونظّار صبور، ولكنّه استطال باقتداره على علل

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٠١.
٢- نفسه ١/ ١٧٩-١٨٠.
٣- نفسه ١/ ١٨٠.

النحويين، ورآها مفروضة بالتقريب، وموضوعة على التمثيل"[1].

وهنا يطلب أبو حيّان من أبي حنيفة الصوفيّ أن يميّز بين (النّحو) و(علله) فابن الراوندي تمّت لديه أدوات الكلام ومنها (النّحو) لكنّه نعى على النّحويّين (عللهم) التي قيل فيها:

ترنو بطرفٍ فاترٍ فاترٍ   أضعفَ من حجّةِ نحويّ"[2]

وهي غير ملزمة، فالخليل يقول: "اعتللتُ أنا بما عندي أنّه علّة لما عللته منه... فإن سنح لغيري علّة لما عللته من النّحو هو أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأت بها"[3].

وقال الزميل د. حسن خميس الملخ معقبًا على هذه المقولة: "ونتج عن ترك العلّة لاجتهاد النحوي خُلْف واسع بين النّحاة امتلأت به صفحات التراث النّحوي"[4].

- "قال الخليل: النّحو للسان بمنزلة الطعام للأبدان"[5].

أكثر أبو حيّان من النقول التي تجعل من النحو مرتبطًا بسلامة اللسان ليرتفع عن الزوائد

والشوائب التي لحقت به، وينأى به عن التفريع، ويستغني عمّا لا حاجة به إليه.

- ونقل عن المبرّد: "وذكر أبو العبّاس يومًا النّحو، فقال: هو عيار الأشياء، وحَلْي الألسن، وجلاء الأسماع"[6].

وهنا يمنح أبو حيّان بمقولة المبرّد في (النّحو) دائرة أوسع ممّا هو فيه، معزّزًا أهمّيته.

- وطرح سؤالاً لينفذ من جوابه إلى مراده:

"اعلم أنّك لو قلت لنحويّ: ما فائدة علمك بالنّحو؟ وما غاية غرضك فيه؟

١- نفسه ١/ ١٨١.
٢- ينظر ابن مضاء القرطبي: الردّ على النّحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، سنة ١٩٨٨م، ص٧٢.
٣- الزجاجي: الإيضاح في علل النّحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٥، سنة ١٩٨٦م، ص٦٦.
٤- نظريّة التعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمّان، ط١، سنة ٢٠٠٠م،ص٤٨.
٥- أبو حيّان التوحيدي: البصائر والذخائر ٣/ ١٢٥.
٦- نفسه ٦/ ٥٠.

لقال: معرفة المعاني، وتجلية ملتبسها، والتوغّل في دقائق معاني كلام الله ربّ العالمين، وكلام المبعوث بالحقّ إلى الخلق أجمعين، ولولا علمي بالنّحو لبطل مراد كثير، وجُهِل باب كبير، فتقول له: ما أحسن ما توخّيت! إنّك لسعيد"[1].

وفي هـذا وغـيره إرهـاص لنظريّـة الـنّظم الـتي أوضـح معالمهـا عبـد القـاهر الجرجاني[2].

- "وقال الزبيري: ما أحدث النّاس مروءة أحبّ إليّ من طلب النّحو"[3].

تأمّل من يقرن النّحو بالمروءة!

- "قال أبو الأسود الدؤلي: إني لأجد للنّحو سهوكًا كسهك العمر"[4].

في النّصّ تحريف في لفظة (العمر) وصوابها (الغَمْر) بالغين وتعني: ريح اللحـم، قالها الخليل في كتاب العين مادة (غ م ر) ليصحّ المعنى، فالسَهَكَ: "ريح كريهـة تجـدها من الإنسان إذا عَرِقَ... وسهكت الريح سهوكًا وهو جَرْي خفيف في لين". مادة (س هـ ك) كتاب العين.

وتحصيل القول: إنّ أبا الأسود من كثرة اهتمامه بالنّحو يجد أنّ به رائحة للنّحـو مميّزة!

- ونقل وصيّة نفطويه لأحد فقال: "واستغن بجليل النحو عن دقيقه"[5].

وفي هذه الوصيّة الوقوف على الأساسيّات في النّحو، وترك ما عداها، وهي مـا استهدى به أبو حيّان في مباحثه النحويّة.

١- نفسه ٦/ ١٠٦.

٢- ينظر دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة، ط٣، سنة١٩٩٢م، ص٨١، ٨٧، وينظر علي جواد الطاهر: المرزوقي شارح الحماسة ناقدا، الدار المتحدة/ بيروت د.ط، سنة ١٩٩٥م، ص٨٩-٩٠، وينظر سعيد جاسم الزبيدي: الخليل في شرح الحماسة للمرزوقي، المنشور في (قضايا مطروحة للمناقشة في النحو واللغة والنقد، دار أسامة، الأردن، ط١، سنة ١٩٩٨م، ص١١٦.

٣- البصائر والذخائر ٦/ ١٨٩.

٤- نفسه ٦/ ١٨٩.

٥- نفسه ٦/ ٢٥٠.

والثاني: مقولاته التي توضح رؤيته النّحوية، وتحدّد منطلقاته، ونسوقها على الوجه الآتي:

* فالنحْو عنده "مقصور على تتبّع كلام العرب في إعرابها، ومعرفة خطئها وصوابها، واعتياد ما تواطأت عليه، وألفت استعماله، ولولا انفتاح أبواب المعاني لم يكن في النّحو أكثر من مخالفة الحركة باللفظ، ولكن قد صحّ بالتجربة والاستعراض أنّ في مخالفة حركات الألفاظ فساد المعاني والأغراض"[1].

تأمّل هذا النّص تجده يحدّد مفهوم النّحو فيراه مثل ما رآه ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) في (باب القول على النّحو) أنّه "انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرّفه من إعرابه وغيره"[2].

ويرى أيضًا بـ(انفتاح أبواب المعاني) بالإعراب الذي "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدًا أبوه... لو كان الكلام شَرْجًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[3].

وربطه النّحو بالمعنى على ما قدّمناه سابقًا خطوة متقدّمة في بلورة (نظرية النّظم) عند عبد القاهر فقال: اعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله"[4].

وقال: "إنّ مدار أمر النّظم على معاني النّحو"[5].

وقال: "إنّ النّظم هو توخّي معاني النّحو"[6].

ذكرت أقوال عبد القاهر هذه لأنّ أبا حيّان ربط كثيرًا بين النّحو والمعنى، لكي ندلّل أنّ مطلع القرن الخامس منذ أبي حيّان مرورًا بالمرزوقي (ت٤٢١هـ) وصولًا إلى

١- أبو حيّان التوحيدي: رسالة ثمرات العلوم، ملحق بكتاب الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق، المطبعة العامرة الشرقية، مصر، ط١، سنة١٣٢٣هـ ص١٩٣.

٢- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٦م، ١/ ٦٨.

٣- نفسه ١/ ٦٨

٤- دلائل الإعجاز ص٨١.

٥- نفسه ص٨٧.

٦- نفسه ص٣٦١.

عبد القاهر، تظافرت فيه الآراء فاكتملت بنظريّة النّظم التي ينبغي لها أن تسود في الدرس النّحويّ.

* ثمّ قال: "فكلّ من تكامل حظّه من اللغة، وتوفر نصيبه من النّحو كان بالكلام أمهر، وعلى تصريف المعاني أقدر"[1].

* وكان من جملة مآخذه على أبي إسحاق الصابئ (ت٣٨٤هـ)، وهو من كبار الكتّاب قلّة نصيبه في النّحو[2]، ومن مثالب ابن العميد (ت٣٦٠هـ)، والصاحب ابن عبّاد (ت٣٨٥هـ) قوله فيهما: "وليس ابن عبّاد في النّحو بذاك، ولا كان أيضًا ابن العميد إلا ضعيفًا"[3].

وانتقد على أبي عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ) تفرّده بكتاب سيبويه "وأبعد من كلّ ما عداه ممّا هو علم الكوفيّين"[4].

ونقل انتقاد علي بن محمد البديهي (ت٣٨٠هـ) على عليّ بن عيسى الرمّاني (ت٣٨٤هـ): "ليس فنّه من الكلام فنّنا، وقال النّحويّون: ليس شأنه في النّحو شأننا، وقال المنطقيّون: ليس ما يزعم أنّه منطق منطقًا عندنا"[5].

وعقّب أبو حيّان فقال: "وقد خفي مع ذلك أمره على عامّة من ترى"[6].

ونقل قول أبي سليمان المنطقيّ (ت أواخر القرن الرابع الهجريّ): "نحو العرب فطرة، ونحونا فطنة، فلو كان إلى الكمال سبيل لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا، أو كانت فطنتنا لهم مع فطرتهم"[7].

ونقل كلام أعرابيّ وقف على مجلس الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، وسمع كلام أهل النّحو فقال: "أراكم تتكلّمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا"[8].

١- أبو حيّان التوحيدي: رسالة العلوم ص٢٠٤.
٢- ينظر أبو حيّان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ١/ ٥٢.
٣- نفسه ١/ ٥٢.
٤- نفسه ١/ ٩٣.
٥- البصائر والذخائر ١/ ١٤٥.
٦- نفسه ١/ ١٤٥.
٧- الإمتاع والمؤانسة ٢/ ٢٤٨.
٨- نفسه ٢/ ٢٤٨.

ونقل بيتًا عن أعرابيّ:

مـا زال أخـذهم في النّحـو يعجـبني حتّى سمعت كـلام الـزنج والـروم[1]

ويبدو من هذين الموقفين المتناقضين اللذين أوردهما أبو حيّان يرجح عندي أنّـه أراد أن ينقل وجهة نظر الآخرين المضادّة لرأيه، استكمالًا للصورة، ويقوى رأيه.

ويخلص أبو حيان من ذلك فيقول:

"وأمّا اللغة فجدواها عظيمة، ومنافعها جمّة، لأنّها مادّة الكـلام، والنّحـو صـورة من صورها... وبابها مردود إلى توسّع السماع"[2].

وأردف قائلاً:

"فكلّ من تكامل حظّه من اللغة، وتوفّر نصيبه مـن النّحـو كـان بـالكلام أمهـر، وعلى تصريف المعاني أقدر"[3].

فانظر إلى عنايته بالـسماع، ودعوتـه إلى الاتّـساع بـه، وكـرّر أبـو حيّـان مـسألة (السماع) في عامّة كتبه، ينظر مثلاً:

* "وهذا التفسير حفظته سماعًا"[4].
* "فتعود المسموع الجاري"[5].
* "هذا حفظي من كتاب الأجناس بعد السماع"[6].
* "هذا فنّ لا تستغني -أعزّك الله- عند موازنة الكلام، وتشقيق اللفظ،... فَغُصْ على بابه بالقياس الصحيح، والسماع الفصيح"[7].
* "هذا كلّه عن سماع وحفظ"[8].
* "وافسح بالك للسماع"[1].

١- نفسه ٢/ ٢٤٨.
٢- رسالة العلوم ص١٩٣.
٣- نفسه ص٢٠٤.
٤- البصائر والذخائر ١/ ٤٣
٥- نفسه ١/ ٥٦.
٦- نفسه ١/ ٥٦.
٧- نفسه ١/ ٨٩.
٨- نفسه ٢/ ٧٢.

وغير هذا كثير.

أمّا قوله: "تصريف المعاني" فقد تكرّر منه ربط النّحو بها، وأمّا عبارته:

* "سمعتُ" فأكثر من أن تحصى!

* و"على قدر ما تمّ لي في الحفظ" فكثيرة الورود.

* و"هذا نصّ ما حفظته"[2].

* و"هذا كلّه محفوظ"[3].

وغير هذا كثير.

هذه النظرات الدقيقة التي نثرها أبو حيّان في كتبه تقوم على أنّ النّحو استقراء كلام العرب، واعتماد ما تواطأت عليه، بعد السماع الصحيح الموثوق به من علماء اللغة، والدربة على ما استعملته، وربط العلامة الإعرابية بالمعنى، ومعرفة الفروق في التعبير، وأساليب الكلام، وفي هذا كلّه يتجلّى فكر أبي حيّان النّحويّ، وذوقه الأدبيّ في صور التّعبير الفصيح، وترفّعه عمّا تلحن به العامّة والخاصّة، ويتعدّى به كلّه الصورة الشكلية التي قصّر بها نحاة وكتب، فتخلّف النّحو عن مهمّته البيانيّة التي أراد أبو حيّان أن يعيده إليها، وهذا ما سنلحظه في المباحث الآتية.

=

١- نفسه ٢/ ٢٣٣.

٢- نفسه ٢/ ١٠٦.

٣- نفسه ٢/ ١١٤.

المبحث الأول: الاسم وما يتعلق به

*** تعريف الاسم:**

نقل أبو حيان تعريفات عدة للاسم هي: "الاسم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان محصّل"[1].

ونقل عمن نقل عن أبي عبيدة (ت٢٠٩هـ في رواية أبي حيان[2]) قوله: "الاسم هو المسمّى"[3].

وذكر في كتابه (أخلاق الوزيرين): "الاسم ما صحت به الإشارة إلى مشار إليه"[4].

تعليق:

لم يعرف سيبويه الاسم بل اكتفى بالتمثيل له[5] "ظنا منه أنه غير مشكل"[6].

وأفاد أبو حيان تعريفه من شيخه السيرافي الذي قال: "كل شيء دل لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصّل"[7].

وأجد أن عبارة أبي حيان أرشق لفظا، وأوجز. وللتفصيل في تعريفات الاسم ينظر:

- الاسم عند النحاة القدامى، لنعمان الرحي، بحث تخرج في الماجستير، غير منشور، جامعة نزوى، سنة٢٠١١م.

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٧٤.

٢- نفسه ٦/ ١٤٠.

٣- نفسه ٦/ ١٤١.

٤- أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، تاريخ المقدمة ٨/ ٦/ ١٩٦٥م، ص٢٢٥.

٥- ينظر الكتاب (طبعة عبدالسلام هارون)١/ ١٢.

٦- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٥، سنة١٩٨٦م، ص٤٩.

٧- شرح كتاب سيبويه، تحقيق رمضان عبدالتواب ومحمود فهمي حجازي، ومحمد هشام عبدالدايم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، سنة١٩٨٦م، ١/ ٥٣.

⋆ بنيــة الاســم وممـ يتـألــف:

نقل أبو حيان عن الخليل قوله:

"قال الخليل: الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يُبْدَأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقَف عليه، نحو: نصر، وزيد"[1].

تعليق:

ورد هـذا القـول في كتـاب العـين ١/ ٤٩ (طبعـة المخزومـي، والـسامرائي) والاختلاف في التمثيل فقد ورد في العين (سعد، وعمر)[2].

ويتفق الكوفيون مع الخليل في الثلاثة ويختلفون معه فيما زاد عن الثلاثة[3].

وتتجلى دقة أبي حيان في النقل عن الخليل.

⋆ علامـات الاسـم:

وجريا على نهجه التعليمي نقل أبو حيّان عن شيخ من النحويين مـا يعـرف بـه الاسم من غيره قوله:

"ويعرف أيضا بدخول الجر عليه، ويصلح فيه ضرّني ونفعني، ويدخل عليه أيضا الألف واللام على واحده وتثنيته"[4].

تعليق:

اختار أبو حيان أربع علامات بها يعرف الاسم من غيره هي:

- دخول الجر عليه، وعبارته دقيقة فلم يقتصرها على حروف الجرّ.
- يصح أن يقع فاعلا، وهذه ذكرها المبرد[5].

١- البصائر والذخائر، ٢/ ١٦٥-١٦٦.
٢- كتاب العين ١/ ٤٩ والنص فيه: "قال الخليل: الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف، حرف يبتدأ بـه، وحـرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر ونحوهما من الأسماء.
٣- ينظر مهـدي المخزومـي: مدرسـة الكوفـة ومنهجهـا في دراسـة اللغـة والنحـو، طبعـة المجمـع الثقـافي-أبـو ظبي/ الإمارات العربية المتحدة، د.ط، سنة٢٠٠٢م، ص٢٣٧.
٤- البصائر والذخائر١/ ١٧٤.
٥- ينظر المقتضب (تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة) ١/ ٣، ونقل عنه ابن فارس في الصاحبي ص٨٩.

- والتعريف بالألف واللام، وهذه عبارة الخليل[1].
- والتثنية، وذكرها الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) ونقلها عنه ابن فارس[2]، وأبو البركات الأنباري[3].

وقد أوصل النحاة علامات الأسماء أنها تنيف على سبعين حدّاً[4] مما لا طائل وراءه لتداخلها بين ما هو شكليّ، وما هو وظيفيّ[5].

واختيار أبي حيان موفق من باب خير الكلام ما قلّ ودلّ.

⋆ أقسام الاسم:

وينقل أبوحيّان عن شيخ من أهل الأدب:

"الاسم ينقسم ثلاثين قسما، وهذه الأقسام خمسة عشر جنسا، كل جنس له ضدّ، وتعدادها أنه ينقسم إلى:

- معرب ومبني.
- ومعرفة ونكرة.
- وعربي وعجمي.
- وممدود ومقصور.
- ومشتق وغير مشتق.
- ومعتل وصحيح.
- ومنصرف وغير منصرف.
- ومدغم ومظهر.
- وظاهر ومكني.
- وإنسي ومبهم.
- وذكر وأنثى.
- وعامل وغير عامل.
- ومضارع وغير مضارع.
- وزائد وناقص.
- ومفرد ومضاف.
- فهذه أقسام الاسم[6].

١- ينظر الكتاب (تحقيق عبدالسلام هارون) ٢/ ١٠١، وينظر أبو البركات الأنباري: أسرار العربية (تحقيق محمد بهجة البيطار) ص٣٤٤.
٢- ينظر الصاحبي (تحقيق السيد أحمد صقر) ص٩٠.
٣- ينظر أسرار العربية ص١٠.
٤- نفسه ص٩ - ١٠.
٥- ينظر فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي/ القاهرة، د.ط، سنة١٩٧٧م ص٢٢٠.
٦- البصائر والذخائر، ٤/ ٢٥ - ٢٦.

تعليق:

يظهر من هذا التقسيم المزدوج مسائل عدة:

١. نزعة تعليمية يهدف فيها أبو حيان إلى تقديم كليات توفر للمتعلم زاوية نظر للضبط والحفظ.

٢. زعة منطقية ترتب المعلومات، وتجمعها في نقاط واضحة تحصر المسألة المراد دراستها.

٣. لم يشر إلى هذا التقسيم في مبحثه (النحو) الذي عقده في ص٢٥٧ – ٣٦٦ الدكتور عبدالواحد حسن الشيخ في دراسته (أبو حيان التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية).

٤. لم يقف عليها أغلب من درس أقسام الكلام العربي لاسيما تمّام حسان في(اللغة العربية معناها ومبناها) وتلميذه فاضل مصطفى الساقي في (أقسام الكلام العربي بين الشكل والوظيفة).

٥. دلل هذا التقسيم على استقراء كافٍ مبثوث في كتب النحاة، وقد اختار أبو حيان نقلا عن شيخ من أهل الأدب! ويشكّل هذا الاختيار إسهامه في التيسير في إطار الوصف لمعالجة مثل هذه المسائل.

٦. استوقفني كثيرا ما ذكره أبو حيان (مضارع وغير مضارع)، ولم أتبين مراده منهما!

⋆ أحوال الاسم الإعرابية:

تناول أبوحيان حالتي إعراب الاسم: الرفع والنصب وعلامتيهما الأصلية والفرعية، وعلى الوجه الآتي:

❖ الرفع:

قال: "سمعت من بعض النحويين يقول: الرفع في الكلام على سبعة أوجه بأربعة ألفاظ: بالواو، والضمة، والألف والنون.

فالأوجه:

- الفاعل، وما شبه به.
- والمبتدأ والمبني عليه.

- والوصف.
- واسم كان وأدواتها.
- وما يرفعه الظرف.
- وخبـر إنّ[1].

ثم يمثل لكل وجه ويقول:

- الفاعل قولك: ذهب زيدٌ.
- وما شبهه به: ضُرِبَ زيدٌ، لأنه يقوم مقام الفاعل.
- المبتدأ: زيدٌ قائمٌ. فقائم مبني على زيد.
- وما يرفعه الظرف نحو: عندك أخوك، فعندك في معنى الفعـل كأنـه اسـتقر عنـدك زيد.
- واسم كان مثل: كان زيدٌ قائما.
- وخبر إن وأخواتها مثل: إن زيدا قائمٌ.

وموضع آخر رفع على الوجه المعتاد، وإنما هو بإسكان الواو والياء نحـو يغـزو ويرمي[2].

تعليق:

يؤكد هذا النصّ نزعة أبي حيان التعليمية التي تعتمد على الكليّات التي تجمع ما تفرق ثم تعرضها مرتبة ليحفظها المتعلم، وتعلق في ذهنه، ويوضح أبو حيان في نـصه جملة أمور:

- جميع علامات رفع الأسماء والأفعال.
- عبارته ما شبه بالفاعل، لأنه يقوم مقام الفاعل، والتعبير أخـصر مـن (مـا لم يُـسَم فاعله) وهذه عبارة استعملها النحـاة الأوائـل[3]، الـتي صـارت عنـد ابـن مالـك

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٨٤.

٢- نفسه ١/ ١٨٤ – ١٨٥.

٣- ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ط١، سنة١٩٨١م، ص١٤٣، فقد استعمله الفراء (ت٢٠٧هـ) ينظر معاني القرآن ٢/ ٢١٠، ومثله فعل أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، ينظر: شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق أحمد خطاب العمر، بغداد، سنة١٩٧٣م، ص١٥٥، وأبو بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) ينظر: الواضح في علوم العربية، تحقيق أمين علي السيد، دار المعارف، القاهرة، سنة١٩٧٥م، ص١٦.

(النائب عن الفاعل)[1]، وعند ابن عقيل (مفعول قائم مقام الفاعل)[2].

- وما يرفعه الظرف: ويعني به الجملة الظرفية التي ظهرت عند أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) في المسائل العسكريات[3]، والزمخشري (ت٥٢٩هـ)[4]، وابن هشام(ت٧٦١هـ) في مغني اللبيب[5] وسلم بها مهدي المخزومي في كتابه: في النحو العربي نقد وتوجيه[6]، ورفضها فاضل السامرائي في كتابه: الجملة العربية تأليفها وأقسامها[7]، ومحمد حماسة عبداللطيف في كتابه: بناء الجملة العربية[8].
- الأمثلة التي ساقها أبوحيان توضيحية تقليدية، ولكنها سهلة مفهومة.

وللتفصيل في أقسام الجملة عند النحاة قديما وحديثا ينظر:

- مسعود بن سعيد الحديدي: الجملة في الدرس اللغوي العربي الحديث، رسالة ماجستير، نوقشت بقسم اللغة العربية/ كلية العلوم والآداب/ جامعة نزوى، سنة٢٠١١م، ص٢٦- ٣١.
- نبّه أبو حيان على أن رفع المضارع الذي ينتهي بواو أو بياء بإسكان آخره أي أنه يرفض التقدير!.

❖ النصب:

وينقل أبو حيان فيقول: "سمعت شيخا من النحويين: يقول النصب في الكلام يكون من اثني عشر وجها، ثم عدّها[9]: ثم قال هذه الوجوه هي:

- المفعول به. والمصدر.

١- ينظر: شرح ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٦م، ١/ ٢٥٣.
٢- نفسه ١/ ٢٥٤.
٣- المسائل العسكريات، تحقيق إسماعيل أحمد عمارة، منشورات الجامعة الأردنية، سنة١٩٨١م، ص٥٤ – ٥٥.
٤- ينظر ابن يعيش: شرح المفصل، المطبعة الأميرية، ١/ ٨٨.
٥- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، مؤسسة الصادق/ طهران، ط١، سنة١٣٧٨هـ ٢/ ٤٩٢.
٦- طبعة دار الرائد العربي/ بيروت، ط٣، سنة١٩٨٨،ص١٦٠.
٧- ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر/ عمان، ط١، سنة٢٠٠٢م، ص١٦٠.
٨- ينظر: بناء الجملة العربية، دار غريب/ القاهرة، د.ط، سنة٢٠٠٣م ص٣٧.
٩- البصائر والذخائر ١/ ٢١٥.

- والظرف. - والحال.
- والتعجب. - والنداء.
- والتبيين والتفسير، والتمييز مع التبيين واحد. - وإن وأخواتها.
- والوصف. - والاستثناء. - والنفي.
- وخبر لات وما، وعملهما واحد[1].

ثم يمثل فيقول: "ضربت زيدا الظريفَ اليومَ ضربا شديدا قائما، فزيد مفعول به، والظريف وصف له، واليوم ظرف، وضربا مصدر، وشديدا وصف ضرْب، وقائما حال. وإنما يتولد الحال من المعرفة، وسمي المصدر مصدرا لأنه صدر من لفظ الفعل، ويسمى الظرف ظرفا لأنه كالوعاء، ألا ترى أنك إذا قلت: سرتُ اليومَ، فالسير كان في اليوم. والتعجب: ما أحسن زيدا! فزيد منصوب بفعل التعجب، لأنه وقع في التقدير موقع المفعول به، والنداء قولك: ياعبدالله، يارجلا، فيها أقبل، والتبيين قولك: عشرون درهما، لأنك لما قلت عشرون أبهمت، ثم بينت بالدرهم، والدرهم لا يقدم على العدد، وأما إنّ فقولك: إن زيدا قائم، والاستثناء: أتاني القوم إلا زيدا. والنفي: لا ثوب لك، ولا بأس عليك، وخبر لات قولك: لاتَ حينَ مناص، فالاسم مضمر في لات لأنها أجريت مجرى ليس، وقد يجوز الرفع في حين والجرّ، فأما الرفع فعلى اسم لات، والجر على تشبيه لات بمن[2].

تعليق:

يستكمل أبو حيان نهجه التعليمي في النصب والمنصوبات مع أمثلة توضيحية سهلة، ومنها مثال مصنوع يحقق فيه أكثر من منصوب: مفعول به، وصفته، وظرف، ومصدر، وحال.

- يرى أبو حيان أن الفعل أصل المصدر على ما يراه الكوفيون[3].
- يقف على المعنى اللغوي للظرف.

١- نفسه ١/ ٢١٥.
٢- نفسه ١/ ٢١٥ – ٢١٦.
٣- ينظر أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، سنة ٢٠١٢م، المسألة الثامنة والعشرون ١/ ١٩٠ – ١٩٦.

- لا يرى تقديم التمييز على المميز له.
- يرى أن المجرور بعد لات أن (لات) بمعنى مِنْ، وبهذه المسألة حاجة إلى تحقيق، فقد ذكر ابن هشام: "زعم الفراء أن لات تستعمل حرفا جارا لأسماء الزمان خاصة"[1]. وعند عودتي إلى معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧ – ٣٩٨[2]، وجدته يقول:

"وقوله: فنادوا حين مناص، يقول: ليس بحين فرار...

ومن العرب من يضيف لات فيخفض، أنشدوني: لات ساعةِ مندمِ

ولا أحفظ صدره، والكلام أن ينصب بها في معنى ليس...

وأنشدني بعضهم:

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ فأجبنا أن ليس حين بقاء

فخفض أوان فهذا خفض". فلم يكن ابن هشام دقيقا في نقله عن الفراء، ولعل قوله: من العرب من يضيف لات فيخفض سبَّب هذا الإشكال، ولم أجد من النحاة من قال إن (لات) بمعنى (مِنْ)!

* مسائل متفرقة في الاسم:

- البدل:

ويعرفه على ما سمعه من شيخ من النحويين يقول: "البدل أن تقدر الاسم الأول تقدير طرح، وتعدي العامل إلى الثاني"[3].

١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب –طبعة مازن المبارك ومحمد علي حمدالله- ١/ ٣٣٦.
٢- معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ٢/ ٣٩٧ – ٣٩٨.
٣- البصائر والذخائر، ٢/ ٢٢١.

وينقل عنه أقسامه فيقول:

"وهو على سبعة أنحاء منها:

- بدل المعرفة من المعرفة مثل: مررت بأخيك عبدِالله. قال تعالى:(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ)[1].
- وبدل المعرفة من النكرة كقولك: مررت برجلٍ أخيك. قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي). ‹وإنك تهدي إلى صراط مستقيم، صراط الذي›[2].
- ومنها بدل النكرة من المعرفة مثل: مررت بالرجلِ رجلٍ صالح. قال تعالى: (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ)[3].
- ومنها بدل النكرة من النكرة كقولك: مررت برجلٍ غلامٍ ظريفٍ. قال الشاعر:

وكنت كذي رجلين: رِجْلٍ صحيحة ورجلٍ رمى فيها الزمان فشلتِ[4]

الشين مفتوحة. ولقد غلط فيها مرة مسكويه وكابر إلى أن فضحته المحنة. وسوّرته المواقعة والإعجاب مصرعه. وقلّ من تكبّر على النّاس وحقّر أهل الفضل إلا عاجلته العقوبة، ونهكته اللائمة، وأمكن منه الدهر.

- ومنها بدل البيان مثل: ضربت زيدا رأسه، وجاءني قومك بعضهم، قال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)[5]. لأن فرض الحج يوجه إلى المستطيع.
- وبدل الاشتمال كقولك: سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ. لأن السلب اشتمل على الثوب فأبدل منه لدخوله في المعنى. قال الأعشى:

لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته تقضّي لباناتٍ ويسأم سائمُ

١- الآيتان ٦، ٧ من سورة الفاتحة.
٢- الآيتان ٥٢، ٥٣ من سورة الشورى.
٣- الآيتان ١٥، ١٦ من سورة العلق.
٤- البيت لكثيِّر عزة.
٥- الآية ٩٦ من سورة آل عمران.

- ومنها بدل الغلط. ولا يجوز ذلك في كلام الله تعالى، ولا فصيح الشعر، وذلك مثل قولك: مررت برجلٍ حمارٍ. كأنك أردت الحمار فسبق لسانك إلى الرجل ثم استدركت فقلت الحمار"[1].

تعليق:

- يُجمل أبو حيان أقسام البدل، ثمّ يفصلها، جريا على نزعته التعليمية المنطقية، ويستعين بشواهد: قرآنية وشعرية، وأمثلة.
- يذكر خطأ مسكويه فيه.
- ينقد بدل الغلط، ولا يجوزه في فصيح الكلام.

❖ الجموع:

ذكر أبوحيان جملة صالحة من صيغ الجموع في العربية نثرها في كتبه، وهدفه فيها تعليمي جريا على نهجه في بيان مسائل اللغة، واستقصاء ذلك فيه مشقة كبيرة، ولا أزعم أنني استوفيت الوقوف عليها، ولكنني حاولت أن أقدم صورة واضحة لها، وأسوق النصوص التي عرضها أبو حيان على الوجه الآتي:

جاء في كتابه (أخلاق الوزيرين):

"وقال يوما – يعني الصاحب بن عباد–:

فَعْل وأفعال قليل، وزعم أصحابنا النحويون أنه ما جاء إلا زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد، فقلت: أنا أحفظ ثلاثين حرفا كلها من فَعْل وأفعال، قال: هاتِ يا مدّعي! فسردت الحروف ودللت على مواضعهامن الكتب، ثم قلت: وليس للنحوي أن يجزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة، والقياس مطردا"[2].

١- البصائر والذخائر ٢ / ٢٢١ – ٢٢٢.

٢- أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، د.ط، سنة١٩٦٥م، ص٢٢٢ – ٢٢٣.

وجاء في كتابه (الإمتاع والمؤانسة):

- فقال: القذال كيف يجمع؟ فكان الجواب: إن فَعالا، وفِعالا، وفُعالا، وفَعولا أخوات، تجمع في الأقل على أفعلة، يقال: حِمار وأحمرة، غُراب وأغربة، قذال وأقذلة، وعمود وأعمدة[1].

- وقال – أي الوزير–: الإلّ هو العهد، هل يجمع؟ فقيل: حكى ابن الأعرابي في جمعه: إلال، وألول[2].

- قال:... ما قدر عدده من الإبل؟ فكان من الجواب: أن ابن الأعرابي قال: فإذا بلغت أربعمئة فهي عرج إلى الألف، والجماعة عروج[3].

أن علي بن عيسى حدثنا عن شيخه ابن السراج قال: سألت المبرد فقلت: إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يصنع به في الصرف في مثل شَعْره هراميل، وهذه سراويل وما أشبهه، فقال: ألحقه بالجمع فامنعه من الصرف[4].

وسأل فقال: ما واحد المناخيب، والمناجيب؟ وما حكمهما؟ فكان من الجواب: واحد المناخيب منخاب يمدح به ويذم... وهكذا المنجاب يكون مدحا وذما[5].

وقال: الضهياء يمد ويقصر؟ فكان من الجواب: أن ابن الأعرابي قال: الذي حصلته عن الأعراب أن الضهياء الممدودة هي التي لا تحيض، وأن المقصورة هي الياسمين، وجمع الأول ضهى وجمع المقصور ضهايا[6].

وقال ابن الأعرابي: القفيل: الشوك اليابس والجمع قُفُل، وقال أحمد بن يحيى: هو مني بُعْد أي بعيد، والبُعْد يكون للجمع والواحد[7].

قال الأصمعي:... والنقيعة ما يحرزه رئيس القوم من الغنيمة قبل أن تقسم والجمع نقائع[8].

١- الإمتاع والمؤانسة، الليلة الخامسة عشرة.
٢- نفسه، الليلة التاسعة والعشرون.
٣- نفسه، الليلة التاسعة والعشرون.
٤- نفسه، الليلة الثلاثون.
٥- نفسه، الليلة الثلاثون.
٦- نفسه، الليلة الثلاثون.
٧- نفسه، الليلة الواحدة والثلاثون.
٨- نفسه، الليلة الواحدة والثلاثون.

والقدّام: رؤساء الجيوش، والواحد قادم[1].

وجاء في كتابه (البصائر والذخائر) على تسلسل أجزائه ما يأتي:

* يقال في اللغة الحَصان –بفتح الحاء– العفيفة، والجمع الحواصن... والحِصان –بكسر الحاء– الفرس، والجمع حُصُن يا هذا[2].
* ألعِدّ الماء الذي له مادة، والجميع الأعداد[3].
* والدعامة منه، والجماع الدعائم، هكذا قال الثقات[4].
* وكان يقال: بلغ فلان عَنان السماء، العَنان: الغيم الأبيض، وهو أشد الغيوم ارتفاعا، فأما أعنان السماء فنواحيها، هكذا قال الثقات[5].
* ألقور جمع قارة وهو الجبل الصغير[6].
* أنشبت: أدخلت بشدة أظفارها، واحدها ظفر[7].
* وإن في بطنه لعَكَنًا، واحدتها عكنة، وهي مثاني البطن عند السَمَن[8].
* والوسق الطرد وجماعه وسائق[9].
* يقال شارب وشاربون، وشَرْب، مثل: صاحب وصَحْب، وشَرَبة، مثل: كاتب وكَتَبة، وحاسب وحَسَبَة، وشُرباء مثل: عالم وعلماء، ويكون شُرَباء جمع شريب، مثل: نديم وندماء... الشاربة: الذين يردون الماء فيشربون.. هكذا حفظت عن أئمة هذا اللسان، ومالي منه إلا حظّ الرواية[10].
* يقال: مصير، ومُصران، ومصارين، مثل بعير وبُعران وأباعير، هكذا السماع[11].

١- نفسه، الليلة الواحدة والثلاثون.
٢- البصائر والذخائر، ١ / ٢٢.
٣- نفسه، ١ / ٣٢.
٤- نفسه، ١ / ٣٣.
٥- نفسه، ١ / ٤١.
٦- نفسه، ١ / ٦٤.
٧- نفسه، ١ / ٨٥.
٨- نفسه، ١/ ١٠٣.
٩- نفسه، ١ / ١٢٢.
١٠- نفسه، ١ / ١٤١.
١١- البصائر والذخائر، ١ / ١٤٢.

* قال التوزّي عن أبي عبيدة: سمعت العرب تقول لجماعة الغيم غيوم، ولجماعة الحمير: حمور[١].
* وجمع الديمة ديم[٢].
* ويقال لقوائم الدابة الشّوى، والشّواة جلدة الرأس[٣].
* ومنه سمي المِبْضَع وجمعه المباضع[٤].
* وخيّل بالأرض إذا نصب أخيلة أي أعلاما، والخيال خشبة تركز ويلقى عليها كساء علامة للغنم[٥].
* والخال: خال الرجل أخو أمه، وجمعه أخوال. والخال نكتة بخد الإنسان، وجمعه خيلان... هذا أكثره عن الأصمعي[٦].
* قال ابن الكلبي:...والقمامسة: الأشراف، الواحد قُمس، والبطارقة من الروم، الواحد بطريق... والتكاكرة من السند والهند، الواحد تكرك[٧].
* قال يونس: الجِنَّة واحدها جِنّيّ، وجمع الجمع جِنّ[٨].

* قال الشاعر:

ألا ليت حظي من زيارة مية عشيّات قيظ لا عشيّات أشتية

هكذا قال ثعلب، وأشتية في جمع شتاء غريب، وإن كان كثير النظير، وباب الجمع لا أساس له ولا قياس عليه[٩].
* قال الأصمعي: الشرائع جمع شريعة[١٠].

١- نفسه، ١/ ١٤٢.
٢- نفسه، ١/ ٢٢٥ – ٢٢٦.
٣- نفسه، ٢/ ٢٣.
٤- نفسه، ٢/ ٤٩.
٥- نفسه، ٢/ ٥٤.
٦- نفسه، ٢/ ٥٥.
٧- نفسه، ٢/ ٩٥.
٨- نفسه، ٢/ ١١٩.
٩- البصائر والذخائر، ٢/ ١٢٠.
١٠- نفسه، ٢/ ٢١٩.

* والفَرَا - بهمز، ويقصر- حمار الوحش، وجمعه فِراء[1].
* امرأة مِجْعَة أي جمعاء ونساء مُجْع، ورجال أجماع[2].
* والأثباج جمع ثَبَج، والثَّبَج وسط الشيء[3].
* والخليل فُرْهودي، والفراهيد صغار الغنم[4].
* والسُّميّ جمع سماء[5].
* دكاكين جمع دكّان[6].
* ويقال للناس أشجان، ولي شجن[7].
* قال ابن الأعرابي:...واحد أفناء الناس فَنًا مثل قَفًا، وواحد آناء الليل: إِنْيٌ وأَنًى وإِنًى، والأَنى الرفق والأناة واحد...وواحد الآلاء إِلْيٌ وإِلًى وأَلًى، وواحد الأمعاء مَعًى، ومِعًى، وواحد الأحشاء: حشا وحَشًى[8].
* فأما الأبرار -بالفتح- فجمع بَرّ، فأما البِرّ نفسه فما سُمِعَ له جمع[9].
* وأما الذَرّ فصغار النمل، والذرة واحدة[10].
* والشرار جمع واحدته شرارة...وجمع الشر شرور، وحكى أبو زيد في الخير: خيور[11].
* والمَرُّ جميع مَرَّة، والمَرّ كالنبل[12].
* ويراوح بين الأطبّاء يريد جمع طبيب[13].

١- نفسه، ٢/ ٢٢٠.
٢- نفسه، ٣/ ٢٦.
٣- نفسه، ٣/ ٩٤.
٤- نفسه، ٣/ ١٢٣.
٥- نفسه، ٣/ ١٤٣.
٦- نفسه، ٤/ ٨٣.
٧- نفسه، ٤/ ٨٨.
٨- نفسه، ٤/ ١٢٩.
٩- نفسه، ٤/ ٢٢٦.
١٠- نفسه، ٤/ ٢٣٠.
١١- البصائر والذخائر، ٤/ ٢٣١.
١٢- نفسه،٤/ ٢٣٤.
١٣- نفسه، ٥/ ٧٠.

* "والشوائب جمع شائبة"[1].
* "والخواطئ -مهموز- يكون من الخطأ وأخطأ وكأنها جمع خاطئة، وأما الخواطي -بحذف الهمزة- فجمع الخاطية، وهي التي تخطو الخطوة... وأما الصُؤّاب -بالهمزة- فجمعه صِئْبَان"[2].
* "وأما القس فواحد القُسُس"[3].
* "والخِيَف جمع خِيفة"[4].
* "يقال ضيف وضيفان وأضياف وضيوف كل ذلك معروف"[5].
* "والقطين والقطّان والقاطنون واحد"[6].
* "وجمع الخُفّ خِفاف... وهو خفيف، وهما خفيفان، وهم خفيفون، وفي التأنيث هنّ خفائف لأنه جمع خفيفة، كما تقول في جمع فتيلة فتائل"[7].
* "وأما الطِراف فالخباء من الأدم وجمعه الطُرَف"[8].
* "والطرائف جمع طريفة... والعوارف: الصلات والجوائز والخيرات، كأنها معروفة، أو عارفة لأنها جمع عارفة... والمعارف: أماكن تُعْرَف وأشياء تُعرّف"[9].
* "وأما الشريف فمعروف... وهم أشراف في الجمع، وسألت العالم عن شِراف فوقف، فقلت له: ألم تقل: هم شرار في أشرار؛ فلِمَ لا تقول شِراف في أشراف، قال: القياس يتضاءل مع السماع"[10].
* "والنُتَف جمع نُتْفة، كالطُرَف جمع طُرْفة، والغُرَف جمع غرفة... واللفافة: ما يلف فيها الشيء وجمعها لفائف كأنه جمع لفيفة.

١- نفسه، ٥/ ٨٢.
٢- نفسه، ٥/ ٨٣.
٣- نفسه، ٥/ ٨٥.
٤- نفسه، ٥/ ٨٦.
٥- نفسه، ٥/ ٨٧.
٦- نفسه، ٥/ ١١٧.
٧- نفسه، ٥/ ١١٨.
٨- نفسه، ٥/ ١١٩.
٩- البصائر والذخائر، ٥/ ١١٩.
١٠- نفسه، ٥/ ١٢٠.

* وأما الصفيف فاللحم المصفوف... قال تعالى: (صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا)[1] إذا شددت الهاء كان من هذا... وقد قرئ صوافيَ أي قائمة وقيل أيضًا: صوافي جمع صافية كأنها صفت لله تعالى لأنه متقرب بها إليه[2].

* أما الشهر فمعروف وجمعه شهور[3].

* والمنعة جمع مانع كقولهم لطلاب العلم طلبة والواحد طالب، وجهلة جمع جاهل[4].

* قال ثعلب: الإسْب: شَعْر الفَرْج، والجميع آساب[5].

* قال اللحياني: العرب تقول: فلان نادم سادم وندمان سدمان والمرأة ندمى سدمى، وقوم ندامى سدامى، والسادم: المهموم[6].

* ورجل أُنَنَة والجمع أُنن[7].

* يقال: رجل رعل، وامرأة رعلاء، وقوم رُعْل[8].

* والكوب: الإبريق وهو الذي لا خرطوم له واسع الرأس، وجمعه أكواب[9].

* الحَيْل: القوة، والحَيْل أيضًا الحجر الناتئ من الجبل، والجميع الحَيْلة حكاه أبو العباس عن إسحق بن إبراهيم الموصلي[10].

* وقال تقول العرب هُدهد وهُداهد –بضم الهاء-...فإذا جمعوا قالوا: هَداهد بفتح الهاء، وكذلك: عُرعر: سيد القوم فإذا جمعوا قالوا عَراعر، وكذلك رجل حُلاحل للملك الكثير العطاء والجمع حَلاحل، وهذه أحرف يسيرة جاءت نادرة[11].

١- الآية ٣٦ من سورة الحج.
٢- البصائر والذخائر، ٥/ ١٢٢ - ١٢٣.
٣- نفسه، ٥/ ١٤٢.
٤- نفسه، ٥/ ١٨٧.
٥- نفسه، ٦/ ٢١
٦- نفسه، ٦/ ٥١.
٧- البصائر والذخائر، ٦/ ١٢٧.
٨- نفسه، ٦/ ١٦٤.
٩- نفسه، ٦/ ١٨٥ - ١٨٦.
١٠- نفسه، ٦/ ٢٠٣.
١١- نفسه،٦/ ٢٢٣.

* والأدم جمع، والإدامة واحد[1]
* وأما السَفْر فالمسافرون[2]
* والكَلأ في بني فلان شُرُك أي طرائق مستطيلة واحدها شِراك... ومالٌ فيه أشراك، واحدها شِرْك، بمنزلة أعدال وعِدْل[3].
* والخُزَر ذكر الأرانب وجمعه خزران[4].

فإذا جمعوا قالوا: عَراعر، وكذلك: رجل حُلاحل للملك الكثير العطاء والجمع حَلاحل، وهذه أحرف يسيرة جاءت نادرة.[5]

- والأدم جمع، والإدام واحد.[6]
- وأما السَفْر فالمسافرون.[7]
- والكَلأ في بني فلان شُرُك أي طرائق مستطيلة واحدها شراك... ومال فيه أشراك، واحدها شِرك، بمنزلة أعدال وعِدْل.[8]
- والخُزَر ذكر الأرانب وجمعه خزران.[9]
- واليعاقيب ذكور الحَجَل، واحدها يعقوب.[10]
- والأنثى من الوعول أرويّة وثلاث أراوي إلى العشرة فإذا جاوزت فهي الأروى.[11]
- وواحد الذرايح والذرّاح ذرحرح، وذُرّوح.[12]
- الوُضّاء والحُسّان والكُرّام والكُبّار، من الوضيء، والحسن، والكريم، والكبير.[13]

١- -أ- نفسه، ٦/ ٢٤٨.
٢- -ب- نفسه، ٦/ ٢٤٩.
٣- نفسه، ٧/ ٤٢.
٤- نفسه، ٧/ ٨٥.
٥- نفسه، ٦/ ٢٢٣.
٦- نفسه، ٦/ ٢٤٨.
٧- نفسه، ٦/ ٢٤٩.
٨- نفسه، ٧/ ٤٢.
٩- نفسه، ٧/ ٨٥.
١٠- نفسه، ٧/ ٨٥.
١١- نفسه، ٧/ ٨٦.
١٢- نفسه، ٧/ ٨٦.
١٣- نفسه، ٨/ ٦٤.

- والرُقوم جمع رقيم وهي العلامات على الثياب.[١]
- وأما الزِقاق فجمع.[٢]
- والأفلاء جمع فَلُوّ.[٣]
- والفليلة: قطعة من الشَعْر جمعها فلائل.[٤]
- وأما المهار فجمع مُهْر وهو الذي لم يُرَض ولم يركب ويقال أيضاً:
أمهار وفي الحماسة:
يقذفن بالمُهرات والأمهارِ
ويقال: في الجمع فِعال كثير، ومنه رماح وأرماح وشرار وأشرار وخيار وأخيار، وليس لباب الجمع قياس.[٥]
- وجمع المِثال أمثال، وجمع الأمثال أمثلة.[٦]
- وأما قوله شؤبوبها فجمعه شآبيب وهي الدُفَع.[٧]
- فأما الغلاصم فجمع غلصمة... وأما المعاصم فجمع مِعْصم وهو موضع السوارين وأسفل ذلك قليلا، وأما البراجم واحدتها برجمة وهي ملتقى رؤوس السلاميات من ظهر الكف.[٨]
- كأنه أراد بالتؤام التوائم... ودراً توائماً كأنه جمع تائمة وإن لم يسمع.[٩]
- قال ثعلب: النَدمان واحد وجمع: مَنْ نادمك، قال ابن درستويه: لا يجوز جمع نَدْمان على نَدْمان وإنما ندمان واحد وجمع نديم: ندمان بكسر النون، فأما نَدْمان فلا يكون جمعاً وجمع النَدمان ندامى.[١٠]

١- نفسه، ٨/ ٦٨.
٢- نفسه، ٨/ ٦٩.
٣- نفسه، ٨/ ١٢٨.
٤- نفسه، ٨/ ١٢٩.
٥- نفسه، ٨/ ١٢٩.
٦- نفسه، ٨/ ١٣٣.
٧- نفسه، ٨/ ١٣٤.
٨- نفسه، ٨/ ١٣٥.
٩- نفسه، ٨/ ١٣٧.
١٠- نفسه، ٨/ ١٤٠.

- قال بعض العلماء في قوله جلّ وعلا (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ)[1] أي أغطية، جمع غلاف فإن سكنت اللام فهو جمع أغلف أي مغطاة.[2]
- قال: النِسار جمع نسر والكِفار جمع كافر والإبار جمع إبرة والصقار: جمع صقر، ولهذا رويناه.[3]
- والجِراب: المزود بكسر الجيم وأبوحاتم يقول: الفتح من لحن العامة وجمعه جُرُب، والجريب قطعة من الارض وجمعه جُربان.[4]
- وأما الخَرَب فذكر الحبارى وقد سمعت جمعه على خِرْبان.[5]
- الخَفاء وهو الكساء وجمعه أخفية... وحماة السروب واحدها سَرْب، والسَرْب القطيع من الغنم والظباء وغير ذلك.[6]
- وأما الشَرَب فجمع شَرَبة... والشَرْب الندماء كالصحب... وباب هذا موقوف على السماع لا يقال بالقياس.[7]
- والعَرُب أيضاً جمع عَرَبة وهي ناعورة... والعُرُب جمع عَروب وهي المحبة لبعلها هكذا فُسِر في التنزيل والحكمة والبيان القويم.[8]
- ويقال مَحْوىً وحِواء مثل حَوىً وأحوية للموضع الذي يجتمعون فيه.[9]
- قال الرياشي: ما جاء من الجمع على فَعيل: كلب وكليب وعبد وعبيد وطس وطسيس، وبدّ وبَدِيّ وأنشد:

فلن أذكر النعمان إلا بصالح ... فإن له عندي يَدِيًا وأنعما.[10]

١- الآية ٨٨ من سورة البقرة.
٢- البصائر والذخائر، ٨/ ١٥٨.
٣- نفسه، ٨/ ١٨٩.
٤- نفسه، ٩/ ٦٠.
٥- نفسه، ٩/ ٦١.
٦- نفسه، ٩/ ٦٢.
٧- نفسه، ٩/ ٦٢.
٨- نفسه، ٩/ ٦٤.
٩- نفسه، ٩/ ١٣٢.
١٠- نفسه ٩/ ١٨٦.

تعليق:

تناول الإشارة إلي ظاهرة (الجموع) عند أبي حيّان زميلنا الاستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوي – رحمه الله – في كتابه:

(أبو حيان التوحيدي لغوياً – الموسوعة الثقافية ٦، دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد، ط١، سنة ٢٠٠٤م، ص٥٣ – ٥٤) فذكر تسعة نصوص منها، وبذلت جهدي في ذكر معظمها مما يفوق هذا العدد مرات، وللقارئ أن يطلع.

ولنا جملة ملاحظ على نصوص أبي حيان:

- حاول أبوحيان أن ينسب أغلب نصوصه إلى لغويين مشهود لهم بالدقة والرواية عن العرب وما آستعملته منها.
- كان أبوحيان يلجأ في مواضع عدة إلى الضبط بالنظير، والشواهد القرآنية.
- يوضح غالباً دلالة المفرد، ويذكر تعدد الجموع له.
- يرى أبوحيان في أكثر من موضع أن باب الجمع موقوف على السماع ولا قياس عليه، وهذا يناقض ما ذكره في أكثر من موضع قياسية بعض الجموع، ونذهب إلي ما ذهب إليه الدكتور محمد خير حلواني – رحمه الله – فقال في كتابه (المغني الجديد في علم الصرف، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ط٥، سنة ١٩٩٩م، صـ٢٢: "النحاة مختلفون في حقيقة هذا الجمع أمقصور هو على السماع أم له قياس ذو آطراد؟ فمنهم من يذهب إلى هذا، ومنهم من يذهب إلى ذاك، وعلّة ذلك أن بعض صيغه تطرد وتنقاس بيسر، وأن بعضها الآخرذ تكثر شواذها، ولا تنقاس ظواهرها، ولكن معظمها ينقاس في أشياء، ولا ينقاس في غيرها." وهذا ما نطمئن إليه، ومثل هذا الكلام ورد عند الدكتور عبده الراجحي في كتابه (التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية / بيروت، د. ط. د. ت، صـ ١١٣).

للتفصيل في مسألة الجموع وتعدّدها:

ينظر:

- فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، دار عمار / الاردن، ط٢، سنة

٢٠٠٧م، صـ١١٣ – ١٢٥.

- أحمد مختار عمر: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب / القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠١م، الفصل السابع من صـ ١٩٣ إلى صـ ٢٣٧.
- وسمية عبد المحسن المنصور: صيغ الجموع في القرآن الكريم، مكتبة الرشد – ناشرون/ الرياض، ط١، سنة ٢٠٠٤م، ٢/ ١٣٦.

قراءة العدد:

"قال أبو عثمان المازني، عن الأصمعي عن عيسى بن جعفر قال: قلت لأعرابي: كم في المسجد سارية؟ قال: خمسون وخمسمائة بعد الألف، قال: وهكذا تقول العرب إذا اجتمع الكثير من العدد والقليل بدأت بأقل العددين."[١]

تعليق:

جرت عادة القدماء عند قراءة العدد أن تبدأ بالآحاد ثم العشرات ثم المئات ثم الألوف، وقد حفلت كتب السير والتراجم بمثل هذه القراءة، "وكان خلّف أحداً وعشرين ألف درهم..... "[٢].

"وتوفي سنة إحدى وتسعين ومئتين."[٣] ولا أعرف بدقة متى بدأت قراءة العدد من الشمال إلى اليمين! وقد نبّه أبو حيان على ذلك ليرشد المتعلم إلى قراءة العدد، وكتابته، مما يدلل حرصه الشديد على ذلك.

الممنوع من الصرف:

نقل أبو حيّان عدة نصوص في الممنوع من الصرف هي:

- "يقال: إناء مترع إذا كان ملآنَ، وجرّة مترعة إذا كانت ملأى، ولا ينصرفان."[٤]

١- البصائر والذخائر ٢/ ١٩٩.
٢- أبوبكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف / القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٣م، صـ ١٥٠.
٣- نفسه، والصفحة نفسها.
٤- البصائر والذخائر ١/ ٤٣.

- قال الأموي في (النوادر): قال أبوذرّ: إنّ في مالك شركاء ثلاثة، لا تصرف (شركاء) ولا ما كان في وزنه من الجمع....[1]
- قال عمر بن الخطاب ﷺ لعمرو بن معد يكرب- تصرفه إذا نكرته، ولا تصرفه إذا جعلته اسم قبيلة أو آسم آمرأة...[2]
- وثمامة: بنت معروف، وإذا سمّيت به رجلاً لم ينصرف أي لم ينوّن.[3]
- يقال: رجل فرحان غير مصروف وآمرأة فرحى.[4]
- قال الأصمعي: تقول العرب في العدد: آخر حروف من الثالث إلى العاشر: أحاد، وثُنا، وثُلاث، ورُباع، وخماُس، وسُداس، وسُباع، وثُمان، وتُساع، وعُشار، قال الأخفش: الأكثر أثناً، وأنشد:

ومشي القوم إلى القوم أحادا وأثنّا
وثلاثاً ورباعاً وخماساً فطعنّا
وسداساً وسباعاً وثماناً فاجتلدنا

آخر:

تراهنّ في الجو تِلو النسيم فطوراً أحاداً وطوراً ثُنا[5]

- وشَعوب اسم المنية، معروفة ولا يصرف هكذا قال الناس.[6]
- وقال أبو سعيد السيرافي: في الأسماء المصروفة ما إذا صُغّر مُنع الصرف، وفي الأسماء ما لا ينصرف، وإذا صُغّر صُرِف، وفيها ما لا ينصرف مصغّر ولا مكبّر:

فأماّ ما ينصرف وإذا صُغّر لم ينصرف فهو الاسم المعرفة الذي في أوائله من زوائد الفعل، وفيه حرف زائد يخرجه عن بناء الفعل، فينصرف لخروجه عن بناء الفعل كرجل سميناه يضارب أو نضارب فهو منصرف، فإذا صغرناه قلنا يضيرب

١- نفسه ١/ ١٠٩.
٢- نفسه ٢/ ٥٢.
٣- نفسه ٤/ ١٢٩.
٤- نفسه ٤/ ٢٣١.
٥- نفسه ٥/ ٢٣-٢٤-٢٥.
٦- نفسه ٥/ ٨١.

ونضيرب كأناً صغّرنا يضرب ونضرب، وأما ما لا ينصرف فإذا صغّرناه آنصرف فنحو عمر وبُكَر فإذا صار تصغيره كتصغير عمرو وبكر، فينصرف لزوال العدل، وكذلك رجل سمّي بمساجد فلا ينصرف لأن هذا البناء يمنع من الصرف فإذا صغرناه أسقطنا الألف فقلنا مُسيجد كتصغير مسجد فينصرف، وأمّا ما لا ينصرف في مصغّر ولا مكبّر فما كان في أوله زيادة الفعل نحو رجل اسمه تغلب ويزيد وما أشبه ذلك، تقول هذا تُغليب، قال الشاعر: قد عجبت مني ومن تُغليبا.

وأما ما ينصرف في المصغر والمكبر كنحو زيد وبكر وما أشبه ذلك: هذا زيدُ وزييدُ، ومررت بزييدٍ.(١)

- قال: وسئل الزجاج عن (قابوس) فقال: إذا جعلته أعجمياً لم تصرفه، وإن اشتققته من قولك: قبستك ناراً فهو فاعول صرفته، قيل فجاموس؟ قال: أصرفه لأنه جنس، قال: ولم صرفته؟ قال: لأن العرب أخرجته من العجمة بالألف واللام فأجري مجرى أجناس العربية.(٢)
- وقال عليه وآله السلام: في كل ذات كبد حَرّى أجر.

والحَرى: العطشى، والمعروف (الحَران) في المذكر، وحَران لا ينصرف، ومعنى قوله لا ينصرف، لا ينوّن آخر الكلمة، ولعلك إن لم تأخذه من حرَّ إذا عطش – يحرّ حرّةً انصرف، لأنك تجعله إذ ذاك من حرن فهو حَرّان مكان حرون، ألا ترى أنك إذا صرفت حسّان وتيأن وحيّان وزمّان عن باب فعلان إلى باب فعّال صُرفت، فإنك إذ أخذت حسّان من حَسَن يحسن حُسناً فهو حسّان كان فعّالاً وصرفت، وإذا أخذته من حَسَّ كان فعلان ولم يصرف، وإذا أخذت حيّان من حان فهو حيّان كان فعّالاً وصرفت، وإذا أخذته من الحياة أو الحيا كان فعلان ولم يصرف، وكذلك إذا أخذت تيّان من التين وهو بائعه وجامعه كان فعّالاً وصرفت، وإذا أخذته من تيّ كان فعلان ولم يصرف، وكذلك زمّان إن أخذته

١- نفسه ٦/١٠٨-١٠٩.
٢- نفسه ٦/١٢٨.

من زمن بالمكان إذا أقام كان فعّالاً وصرفت، وإن أخذته من زمّ يزمّ كان فعلان ولم يصرف.[1]

- قال المبرد: وتميم تقول: من طمارَ، منزلة ما لا ينصرف.[2]

تعليق:

في أحد عشر نصاً يعرض أبوحيّان (الممنوع من الصرف) مع تعليقات مفيدة، وتنبيهات، لئلا يقع المتعلم في خلط ولاسيما ما يجيء على وزن يحاكي أوزان الممنوع من الصرف فينّبه على اشتقاق المفردة ليبين ما ينصرف منها وما لا ينصرف، وهذا النهج لا تجده في كتب اللغة التي عرضت موضوع (الممنوع من الصرف)، ويبّين أيضاً ما يعتري الاسم غير المنصرف للتصغير وما الموقف منه، والأعداد، مع شواهد كثيرة توضح المقصود، وتيسر المسألة للمتعلم، وهو في هذا كله يصدر عن نقل دقيق عن أعلام نحاة.

وللتفصيل في (الممنوع من الصرف) ينظر:

- إميل بديع يعقوب: الممنوع من الصرف بين مذاهب النحاة والواقع اللغوي، دار الجيل/ بيروت، ط١، سنة ١٩٩٢م.
- عبد العزيز على سفر: الممنوع من الصرف في اللغة العربية، مجلس النشر العلمي/ جامعة الكويت، ط١، سنة ٢٠٠٠م.
- أدما طربية: الممنوع من الصرف معجم ودراسة، مكتبة لبنان/ بيروت، ط١، سنة ٢٠٠١م.

الاسم الموصول:

سمعت السيرافي يقول: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)[3] ما هاهنا وقعت على من يعقل وهن النساء والأصل أن (ما) تقع على من لا يعقل و(من) على من

١- نفسه ٧/ ٢٦٠.
٢- نفسه ٨/ ١١٥.
٣- الآية ٣ من سورة النساء.

يعقل فإن هذا جائز، ألا ترى إلى قوله: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا)[1] أي ومن بناها، وإن كان قد قيل فيه وجه آخر وهو(وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) أي وبنائها، قال: ويجوز ان تكون ما هاهنا بمنزلة (الذي) كأنه قال الذي طاب لكم من النساء، فإن قيل على هذا الوجه فكيف تكون بمعنى الذي وهو للمذكر؟ قيل: هذا يجوز لأنه عبارة عن الجنس ألا ترى إلى قولك: من في الدار صحيح. مع علمك أن في الدار امرأة أو رجلاً وكما قال تعالى: (النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) [2] ويكون هاهنا عائداً على نفس اللفظ قال: هذا وجه صالح. قال: ويجوز على معنى ثالث وهو أن تكون (ما) عبارة عن أي وقت وزمان كأنه قال: آنكحوا من النساء ما طاب أيّ وقت طاب وقال إن صح هذا فهو جيد."[3]

تعليق:

في هذا النصّ يلفت أبوحيّان نظر المتعلم / المتلقي إلى أنّ سياق الآية هو الذي يوجه دلالة الاسم الموصول (ما)، لا ما شاع في الدرس النحوي أنّ (ما) لما لا يعقل، قال أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ): "ما طاب، ما هنا بمعنى (مَنْ) ولها نظائر في القرآن ستمرّ بك إن شاء الله، وقيل (ما) تكون لصفات مَنْ يعقل وهي هنا كذلك... وقيل هي نكرة موصوفة تقديره فآنكحوا جنساً طيباً من النساء.... وقيل هي مصدرية..."[4] وفي هذا غنى وبيان الوجوه فيها.

الأسماء المفردة:

"والأسماء المفردة ثلاثة: عام لا خاصّ فيه كقولك: شيء قال الله تعالى:(وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[5] والثاني: عام من وجه خاص من وجه كقوله (فَاقْتُلُوا

١- الآية ٥ من سورة الشمس.
٢- الآية ١٤ من سورة الطور.
٣- البصائر والذخائر ٦/٢١٦-٢١٧.
٤- إملاء مامنّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، سنة ١٩٧٩م، ١/١٦٦. وللتفصيل ينظر فاضل السامرائي: معاني النحو، دار الفكر / عمّان، ط٢، سنة ٢٠٠٢م، ١/١٢٠-١٢٣.
٥- الاية ١٧٥ من سورة النساء.

الْمُشْرِكِينَ)[1] و (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[2] فهذا عام في جميع المشركين إلا أهل الكتاب، وقال: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ)[3] فهذا عام في مَنْ سرق ربع دينار فصاعداً خاص فيما دونه، والعموم لا يقع إلا في هذين. والثالث خاص لا عام فيه كقولك: زيد وعمرو، قال الله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)[4] فهذا خاص وأقل العموم شيئان، وأقل الخصوص شيء واحد.[5]

تعليق:

يتدرج هذا النصّ في بيان دلالة الاسم:

فمنه ما يدل على معنى ولكنه غير مقصور على فرد ينحصر فيه، وهذا ما يعنيه بلفظة (عامّ)، أي هو نكرة، مثل (شيء).

ومنه عام من وجه خاصّ بمدلول معيّن بغير شيوع مثل (المشركين) و (السارق والسارقة).

ومنه ما يدلّ مباشرة على شيء واحد معيّن بشكله الخاص ولا يحمل الذهن صورة غيره.[6]

وأبو حيّان هنا يستعين بالشواهد القرآنية ليعلمّ المتلقي نظراً وتطبيقاً، وينطلق منها في بيان المراد.

المعرف بأل:

قال سيبوبه: زعم الخليل أن الذين قالوا: الحسن والحارث والعباس، إنما أرادوا أن يجعلوا الرجل بعينه، ولم يجعلوه سُمّي به، ولكنهم جعلوه كأنه وصف له غلب عليه، ومن قال: حارث وعباس فهو يجريه مجرى زيد، وأما ما لزمته الألف واللام ولم يسقطا منه فإنما جعل الشئ الذي يلزمه ما يلزم كل واحد من أمته، فأما الدَبَران

١- الآية ٥ من سورة التوبة.
٢- الآية ٣٠ من سورة التوبة.
٣- الآية ٣٨ من سورة المائدة.
٤- الآية ٢٩ من سورة الفتح.
٥- البصائر والذخائر ٢/ ٢٠٩-٢١٠
٦- للتفصيل ينظر عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف / القاهرة، ط٩، سنة ١٩٨٧م، ١/ ٢٨٦.

والسماك والعيوق وهذا النحو فإنما يلزم الألف واللام من قبل أنه عندهم هو الشيء بعينه، فإن قال قائل: أيقال لكل شيء صار خلف شيء دبران، ولكل شيء عاق عن شيء عيوق، ولكل شيء سمك وارتفع سماك؟ فإنك قائل له: لا، ولكن هذا بمنزلة العِدْل والعديل، فالعديل ما عادلك من الناس، والعِدْل لا يكون إلا للمتاع وغيره، ولكنهم فرقّوا بين البناءين ليفصلوا بين المتاع وغيره... وهذا أكثر من أن أصفه لك في كلام العرب، وقد يكون الاسمان مشتقين من شيء والمعنى فيهما واحد، وبناؤهما مختلف، فيكون أحد البناءين مختصاً بشيء دون شيء ليفرق بينهما، فكذلك هذه النجوم اختصت بهذه الأسماء وكل شيء جاء قد لزمه الألف واللام فهو بهذه المنزلة، وإن كان عربياً نعرفه ولا نعرف الذي آشتق منه، وإنما قلنا ذلك لأناّ جهلنا ما عَلِمَ غيرنا، أو يكون الآخر لم يصل إليه علمٌ وصل إلى الأول المسمّى، وبمنزلة هذه النجوم الأربعاء والثلاثاء وإنما يريد الرابع والثالث، وكلها أخبارها كأخبار زيد وعمرو.[1]

تعليق:

هذا النصّ منقول من كتاب سيبويه بدقّة، بلحاظ تقديم الحسن على الحارث، ومن أراد الموازنة فليعد إلى كتاب سيبويه ٢/ ١٠١-١٠٢- ١٠٣، وفيه يلخص أبو حيّان قاعدة مفيدة: "وكل شيء جاء قد لزمه الألف واللام فهو بهذه المنزلة"، وفيه طريقة تعليمية على شكل سؤال وجواب.

مثنيات بين الاستعمال والدلالة:

نثر أبوحيان مثنيات وردت في الاستعمال موضحاً دلالتها، وقد تختلف هذه الدلالة عند غيره ومن ذلك:

- "قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول لرجل: جنّبك الله الأمَرين، وكفاك شرّ الأجوفين، وأذاقك البردين. الأمرّان: الفقر والعري، والأجوفان: البطن والفَرْج، والبردان: برد الغنى وبرد العافية.[2]

١- البصائر والذخائر ٤/ ١٣-١٤.

٢- البصائر والذخائر ١/ ٢٠٩.

▪ العرب تقول: التقى الثريان، يعني ندى السماء وندى الأرض.[1]

قال أعرابي: الهرم يُعدم الأطيبين، ويُحدث الأخبثين، والأطيبان: النوم والنكاح، والأخبثان: السهر والبخر.[2]

والأصمعان: القلب الذكي والرأي العازم، أي المعزوم به، أو المعزوم عليه، كذا سُمع، والأسودان: التمر والماء، والأيهمان: السيل والجمل الهائج، وهما الأعميان أيضاً.[3]

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول لرجل: جنّبك الله الأمرّين، وكفاك شرّ الأجوفين، وأذاقك البردين. الأمران: الفقر والعري، والأجوفان: البطن والفَرْج، والبردان برد الغنى وبرد العافية.[4]

العرب تقول: التقى الثريان، يعني ندي السماء، وندى الأرض.[5]

▪ سألت ابن الخليل عن مثنيات مّرت في الجزء التاسع وهي:

قلت له: ما الأسودان؟ قال: الفحم والحمم، وهذا خلاف ما قاله الجمهور.

قلت: فما الأبيضان؟ قال: السرور والنعم.

قلت: فما الأسوءان؟ قال: الثكل واليتم.

قلت: فما الأعجمان؟ قال: الحيّ والبكم.

قلت: فيما الأفخران؟ قال: العرب والعجم.

قلت: فما الأنقصان؟ قال: الحب والعقم.

قلت: فما الأشهران؟ قال: الطبل والعَلَم.

قلت: فما الأبخلان؟ قال: الجدب والعدم.

قلت: فما الأكذبان؟ قال: الآلُ والحلم.

١- نفسه، ٢/ ١٣٨.
٢- البصائر والذخائر ١/ ٢٠٩.
٣- نفسه، ٢/ ١٣٨.
٤- البصائر والذخائر، ٣/ ١٦٤.
٥- نفسه، ٤/ ١٢٩.

قلت: فما الأصدقان؟ قال: العهد والقسم.

قلت: فما الأوضران؟ قال: اللحم والوضم.

قلت: فما الأرفعان؟ قال: المقت والسأم.

قلت: فما الأوحشان؟ قال: المقت والسأم.

قلت: فما الأوقفان؟ قال: الملك والحشم.

قلت: فما الأعودان؟ قال: البيض والهمم.

قلت: فما الأنكدان؟ قال: اليأس والندم.

قلت: فما الأعدمان؟ قال: السيل والضرم.

قلت: فما الأقطعان؟ قال: السيف والقلم.

قلت: فما الأقومان؟ قال: الدين والحسب.

قلت: فما الأمنعان؟ قال: الحصن والحرم.

قلت: فما الأنفسان؟ قال: المجد والكرم.

قلت: فما الأعليان؟ قال: الهام والقمم.

قلت: فما الأشهبان؟ قال: الراح والنَعَم.

قلت: فما الأنفسان؟ قال: النفس والندم.

قلت: فما الأغزران؟ قال: البحر والديم.

قلت: فما الأشينان؟ قال: الجدع والهتم.

وكان قد ألقى علينا هذه الحروف ثم سألناه عنها فأجاب، ولا أدري أهو أبو عذرتها أم لا؟"[1]

- ويقال: ما الأسودان، والأبيضان، والأسوءان، والأعجمان، والأذفران، والأربدان، والأنقصان، والأشهران، والأبخلان، والأكذبان، والأدفعان، والأوحيان، والأوقفان، والأعوران، والأنكدان، والأعذبان، والأقطعان، والأمنعان، والأقويان،

١- البصائر والذخائر، ٦/ ١٩٢-١٩٣.

والأنفسان، والأعليان، والأشبهان، والأشرفان، والأغرران، والأشنبان، والأهينان، وسيمرّ بك تفسير هذه المثاني مستقصى بعد أوراق يسيرة."[1]

تعليق:

أهتمّ أبوحيّان بـ (مثنيات) جرياً على آهتمام لغويين قدماء جمعوها، وشرحوها، ومما

وصل إلينا من ذلك كتاب (المثنى) لأبي الطيّب اللغوي (ت ٣٥١ هـ)[2]، والمحبي الدمشقي (ت ١١١١ هـ) في كتابه (جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين)[3]، فضلاً عمن عقد لها فصولاً في كتبهم كآبن سيدة (ت ٤٥٨ هـ)، في (المخصص)، والسيوطي (ت ٩١١هـ) في (المزهر)، وقد اختلفوا في سردها، فكانت عند بعضهم (٤٦) مثنى، و (٢٠٧) عند آخر، و (٢٦٣) عند ثالث، و(٣٢١) عند رابع.[4]

ونلحظ في (مثنيات) أبي حيّان أمرين:

الأول:

منهجي، فقد ذكر في الجزء السادس صـ ١٩٢ أن "مثنيات مّرت في الجزء التاسع". فكيف يتسق هذا؟ ولم يكن هامش المحققة مقنعاً حين قالت: "وردت هذه المثنيات في الجزء التاسع وهذه الأجوبة هنا تدلّ على أن هذا الجزء (تعني الجزء السادس) متأخر عن موضعه."

الثاني:

هناك مثنيات وردت في الجزء التاسع صـ٢١٠ – ٢١١، لم يذكر معناها في الجزء السادس مثل: الأذفران، والأربدان والأعليان.

١- نفسه ٩/ ٢١٠-٢١١.

٢- ينظر: أبو الطيب اللغوي: المثنى، تحقيق وشرح عز الدين التنوخي، نشرة المجمع العلمي العربي/ دمشق، د. ط، سنة ١٩٦٠م.

٣- طبعة دار الآفاق الجديدة / بيروت، ط١، سنة ١٩٨١م.

٤- ينظر عادل زيدان: أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة، بغداد، ط١، سنة ١٩٧٠م، صـ ١٣٤، صـ ١٤٢.

وهناك تصحيف وقعت فيه المحققة ولم تنتبه عليه وأيهما الأصوب؟:
الأدفعان – الأرفعان. أبالدال أم بالراء؟ أم هما معاً؟
الأشبهان – الأشهبان.
الأعوران – الأعودان.
الأشنبان – الأشينان.
وتكرر لفظ (الأنفسان)!
ولعل السجع المفتعل في الأجوبة جَرَّ أبا حيّان إلى أن يقول: "وهذا خلاف ما قاله الجمهور".

اسم الفاعل:

"كان الرشيد يجمع العلماء ويسمع كلامهم، فحضروا ذات يوم وفيهم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، والكسائي يذكر النحو فقال له: أحذق الناس به يكون معلماً، فقال له الكسائي: أسألك عن مسألة في الفقه، قال: سَلْ، قال: ما تقول في غلام لك قُتِلَ فأتهمتَ به رجلين فسألتهما عن أمره فقال أحدهما: أنا قاتلُ غلامِك، وقال الآخر: أنا قاتلٌ غلامَك، أيهما القاتل عندك؟ قال أبو يوسف: جميعاً، قال الكسائي: أخطأت، قال: فالذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك، قال: أخطأت، قال: فأيهما القاتل عندك؟ قال الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك. لأن قوله: أنا قاتلُ غلامِك يريد أنا قتلتُه، والذي قال: أنا قاتلٌ بالتنوين غير قاتل أراد سأقتل غلامَك فهو تهدد قال الله تعالى: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا)[1] المعنى فَلَقَ الإصباح، فندم أبو يوسف على كلامه."[2]

تعليق:

"إنّ (اسم الفاعل) أهمّ الصفات الصرفية، لا في علم الصرف فحسب، بل في علم النحو أيضاً، وذلك لكثرة استعمال صيغته في الكلام، ويشبهه بالفعل المضارع من حيث الصيغة والدلالة،

١- الآية ٩٦ من سورة الأنعام.
٢- البصائر والذخائر، ٥/ ٢٠٣.

ويكتسب اسم الفاعل في السياق دلالة أخرى هي الزمان[1] على ما يتضح من الحكاية التي أوردها أبوحيان لإفادة أمور:

- أهمية النحو للناس الذين ينون أحكاماً أو يفهمون دلالة لئلا يقعوا في الخطأ.
- الدلالة الزمنية التي يكتسبها اسم الفاعل من الإضافة أو التنوين.
- الفائدة التعليمية التي يرجوها أبو حيّان من هذه الحكاية.

وللتفصيل:

ينظر: الزجاجي: مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، سنة ١٩٦٢م، مجلس أبي العباس ثعلب وأبي العباس للبرد، صـ ٢٦٥.

فاضل الساقي: اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٠م.

الاشتقاق:

يذهب أبوحيّان إلى أن المصدر "سُمّي مصدراً لأنه صدر من لفظ الفعل."[2]

وقال في موضع آخر:

"إنّ الأسماء ضرب منها مبتدأ، فالغرض اختصاص العين به ليقع التمييز بينه وبين غيره، وضرب آخر يؤخذ من أصل الفعل وهو الذي يسمى مشتقاً."[3] وبهذا يذهب مذهب الكوفيين.[4]

وقال:

"وكأن هذا الأسم مأخوذ من ظأرته أي عطفته، والمصدر الظأر."[5]

١- ينظر محمد خير حلواني: المغني الجديد في علم الصرف، دار الشرق العربي / بيروت – حلب، ط٥، سنة ١٩٩٩م، صـ ٢٤٦-٢٤٧.
٢- البصائر والذخائر ١/ ٢١٥-٢١٦.
٣- أخلاق الوزيرين، صـ ٢١٧.
٤- ينظر أبوالبركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية/ صيدا-بيروت، د.ط، سنة ٢٠١٢م، ١/ ٨، المسألة الثامنة والعشرون.
٥- البصائر والذخائر ١/ ٢٣٩.

وقال:

"قيل لراهب: قد أطلت سَجْن لسانك.... فتحت السين لأنك أردتَ الفعل، ولو أردت الآسم بَطُل المعنى، وتقول مثله: ستر الله عليك سَتْراً جميلاً، وأسبغ عليك سِتْراً سابغاً، فيتميز الاسم من الفعل."[1]

ويقصد أبوحيّان بـ (الفعل) المصدر وهو مصطلح استعمله الخليل في العين.[2] والفرّاء في معاني القرآن.[3]

وتكرر من أبي حيّان تعبير "أما النشر فمصدر نشر الثوب ينشره نشراً....."[4]

وأما الإعشاب بالكسر فمصدر أعشب البلد.[5]

وكثير غير هذا.[6]

ويلخص أبو حيان موقفه من الاشتقاق فيقول:

"وهذا النظر أصل كبير من أصول الكلام، لأنك إذا جددت في الفحص عن دفائن هذا الباب انثال عليك من الشاهد والمثل والدليل والعلل ما يقوّي في نفسك حكم الاشتقاق وتتبع المعاني. ألا ترى أنك إذا استوضحت جلية المعاني في قولهم: يغير والغَيْرة والغِيرة والغارة، وغار الماء وأغار الجبل، والغِوار والمغاورة، وغار وأنجد، وتغايرت الضرائر، وغيره طول العهد، وجدتها مشتقة من قولك: هذا غَيْر هذا؟! فتأمل ذلك ببصيرتك فقد فتحت لك بابها، ورفعت سجنها، وذللت الطريق إليها، وإن الاشتقاق مضطر إلى المصير إليه، والعمل عليه ولو كُرِه ذلك."[7]

١- نفسه ١/ ٢٤٠.

٢- ينظر كتاب العين (طبعة المخزومي والسامرائي)، مؤسسة الأعلمي / بيروت، ط١، سنة ١٩٨٨م، باب العين واللام والفاء معهما قال: (فالفَعل المصدر والفِعل الاسم)١ / ١٤٥ وينظر الكتاب (طبعة هارون) ٢/ ١٢٠.

٣- ينظر: معاني القرآن، تحقيق محمد على النجار، تراثنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٠م، ٢/ ٤٢ قال الفراء:

- رب السِجن: السِجن: المَحبِس وهو كالفعل وكل موضع مشتق من فعل فهو يقوم مقام الفعل... ولو فتحت السين لكان مصدراً بيّنا، وقد قرىء: رب السَجن.

٤- البصائر والذخائر ٥/ ٧٨.

٥- نفسه ٥/ ٧٨.

٦- ينظر البصائر والذخائر ٥/ ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٧/ ٢٨٩.

٧- نفسه ٧/ ٢٩٠.

وعقّب على ذلك بقوله:

"وكان نفطويه ممن يأبى الاشتقاق، ويزعم أنّ الأسماء توافت متشابهة في الصورة والصيغة وإلا فلا اشتقاق، لأنك متى أسست الاشتقاق في الأسماء أساساً لم تنته منه إلى حدّ، وذلك أنك تدّعي أن هذا الاسم شُقّ من هذا الاسم، وهذا اللفظ أطلق لهذا المعنى، فيلزمك أن تمّر أبداً على ذلك، لأن الثاني ليس بأولى بأن يكون مأخوذاً من الثالث من الأول من الثاني، ولا الثالث أولى بأن يكون مأخوذاً من الرابع من الثاني من الثالث."[١]

وختم ذلك بما رآه أرسطو فقال:

"فأما صاحب المنطق فإنه جعل الاشتقاق فناً من الفنون في الكلام وقد بينه في كتابه في المقولات."[٢]

تعليق:

جهد أبو حيان في بيان موقفه من الاشتقاق وأنه أصل كبير من أصول الكلام بما تحصّل لديه من أدلة وشواهد، وردّ على نفطويه رأيه في أن ليس لفظ مشتقاً من آخر.

ولكنّ الذي يفاجئ القارئ أن أبا حيان يترجح في أصل الاشتقاق فمرة يرى:

- أن المصدر صدر من لفظ الفعل.

وأخرى يرى – أن اللفظ مشتق من قولك: هذا غَيْر هذا! وهذا لا ينافي فكرة (الاشتقاق) لديه، وعرضنا ما قاله بأمانة.

التأنيث والتذكير:

من المسائل التي عرض لها أبو حيان مسألة ما يذكرّ وما يؤنث من الألفاظ وهي مسألة شغلت القدماء وأفردوا لها كتباً عدة[٣]، فأولاها عناية كبيرة بنزعة تعليمية لئلا

١- نفسه٧/ ٢٩٠ – ٢٩١.
٢- نفسه ٧/ ٢٩١.
٣- منها:
- المذكر والمؤنث، لأبي زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، دار التراث / القاهرة، سنة ١٩٧٥م.

يقع الخطأ فيها، فذكرَ:

"والنَفْس يذكّر ويؤنث."[1]

"والبئر معروف يذكّر ويؤنث."[2]

"والدابّة تذكرّ وتؤنث."[3]

"قال أبو محمد القرشي النحوي وهو من القدماء، يقال: هي السلاح وهو السلاح، وهي الذراع وهو الذراع، وهي الكراع وهو الكراع، وهي الطباع وهو الطباع، وهي اللسان وهو اللسان، وهي السبيل وهو السبيل، وهي الكلأ وهو الكلأ، وهي السوق وهو السوق، وهي الروح وهو الروح، وهي النخل وهو النخل، وهي النحل وهو النحل، وهي الأنعام وهو الأنعام، وهي القفا وهو القفا قال الشاعر:

=

- المذكر والمؤنث، لابن السكّيت (ت ٢٤٤ هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان / بيروت، ط١، سنة ١٩٩٨م.
- التذكير والتأنيث، لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مجلة رسالة الإسلام / بغداد العدد (٧، ٨)، سنة ١٩٦٨م.
- المذكر والمؤنث، للمبّردت ٢٨٥هـ تحقيق رمضان عبد التواب، وصلاح الهادي، دار الكتب / القاهرة سنة ١٩٧٠م.
- مختصر المذكر والمؤنث، للمفضل بن سلمة (ت ٢٩٠ هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة، سنة ١٩٧٢م.
- المذكر والمؤنث، لأبي بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق طارق الجنابي، مطبعة العاني/ بغداد، سنة ١٩٧٨م.
- المذكر والمؤنث، للتستري (ت ٣٦١هـ)، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
- المذكر والمؤنث، لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق طارق نجم عبد الله، جّدة / السعودية، سنة ١٩٨٥م.
- المذكر والمؤنث، لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي / القاهرة، د. ت.
- البلغة في الفرق بينالمذكر والمؤنث، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب / القاهرة، سنة ١٩٧٠م.
- أما المنظومات فأشهرها منظومة ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) (المؤنثات السماعية)، وما لم يصل إلينا من كتب المذكر والمؤنث كثير

وللتفصيل ينظر: التأنيث في العربية للدكتورة رشدية عبد الحميد شلقاني، دار المعرفة الجامعية / الأسكندرية، سنة ١٩٩٠م.

وينظر: دراسات لغوية مقارنة: ظاهرة التأنيث بين العربية واللغات السامية، للدكتور اسماعيل أحمد عمايرة، دار وائل / عمّان، ط١، سنة ٢٠٠٣م.

١- البصائر والذخائر ١/ ١٢٣.

٢- نفسه ١/ ٢٣٩.

٣- نفسه ٢/ ٧٢.

فمـــا المـــولى وإن عرضـــتْ قفـــاهُ بأحمـــل للمحامـــل مـــن حمـــار

ويقال: هي الشعير وهو الشعير، وهي البُر وهو البُر، وهي السلم وهو السلم، وهي الفرس وهو الفرس، وهي الخمر وهو الخمر، ومضى له سن، ومضت له سن، وهي الحال وهو الحال، وهي الأزار وهو الأزار، وهو الرداء وهي الرداء، وهو السراويل وهي السراويل، وهو العراق وهي العراق، وهو الشام وهي الشام، وهي العَقِب وهو العقب وهو العنق وهي العنق، وهي الدرع وهو الدرع، ودِرع المرأة يذكر، وهو السلطان وهي السلطان، وهي السكين وهو السكين، وهي الدلو وهو الدلو، وهي الإبط وهو الأبط، هي السلم وهو السلم ومعناه الصلح، وهي الوراء وهو الوراء ويقال فلان وريّة فلان وورية تصغير، وهي القدام وهو القدام، وهو القمطر وهي القمطر، وهي الطست وهو الطست، وهو الفلك وهي الفلك، وهو الآجر وهي الآجر، وهي البسر وهو البسر، وهو المتن وهي المتن، وهي الصاع وهو الصاع والصواع. قال الله تعالى: (قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ)[1]. وقال تعالى: (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)[2]. وسِقْط النار يذكر ويؤنث، وهي العنكبوت وهو العنكبوت، وهي العاتق وهو العاتق، وهي العَجُز وهو العَجُز قال الأصمعي: يقال عَجِز المرأة وعَجُز، وعَجْز، وعُجُز، قال: ومثله عَضُد، وعَضِد، وعَضْد، وعُضُد.[3]

قال أبو حاتم: كنت والأخفش عند سعيد بن مسعدة وعنده التوزي فقال لي: يا أبا حاتم، ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث؟ قلت: قد عملت في ذلك شيئاً. قال: فما تقول في الفردوس؟ قلت: مذكر، قال: فإن الله تعالى يقول في الفردوس: (هم فيها خالدون) قلت: ذهب إلى الجنة فأنت قال التوزي: يا غافل أما تسمع الناس يقولون: الفردوس الأعلى، فقلت له: يا نائم الأعلى ها هنا أفعل وليس بفعلى.[4]

١- الآية ٧٢، من سورة يوسف.
٢- الآية ٧٦، من سورة يوسف.
٣- نفسه ٦/ ٩٨-٩٩.
٤- نفسه ٦/ ١٨٠.

"ويكون فعيل بمعنى مفعول فهو خضيب ودهين وكحيل وقتيل ولديغ فأما السليم فليس من هذا. وهذا الجنس إذا كان فيه نعت المؤنث لم تلحقه الهاء وإنما لم يلحقوها به لأنهم عدلوه عن مكحولة ومدهونة وقد كانت الهاء سبقت إلى فعيل الذي يشارك فاعلاً في مثل مريضة وضمينة فحذفوها وهذا ليفرقوا بينهما فإن لم يذكر المؤنث قيل هذه قبيلة بني فلان فلحقتها الهاء وقد جاء بغير الهاء، ويكون اسماً غير مشتق مثل شعير وقفير وبعير وجريب ونصيب ويقع فيه ما أصله مشتق فيجري مجرى الاسم المحض مثل: قليب كأنها سميت لأنه قلب ما أخرج منها ثم صار اسماً لازماً ويكون مصدراً في الأصوات وغيرها."[1]

تعليق:

إن منطلق أبي حيان في التنبيه على ما يذكر ويؤنث منطلق بياني فهو صاحب أسلوب يريد أن يتجنب المتلقي فضلاً عن الأديب الوقوع في الخطأ، ولبيان معرفته اللغوية الدقيقة بذلك.

الاتباع:

لم يغفل أبو حيان (الإتباع)، وهو مسألة لغوية محدودة الاستعمال لأنه يُعني بالكلام: نظماً وتأليفاً، وليدلل على قدرته اللغوية وبيان محفوظه، ودقة نقله عن العلماء، وليرشد المتعلم عليها ومن ذلك:

- "ورجلٌ هاعٌ لاعٌ: أي جبان خوّار."[2]
- "قيل لأبي مسمع الوتري: أخبرنا عن قولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، قال: كلمة يشدّ بها الرجلُ كلامه."[3]
- "قال اللحياني: العرب تقول: فلان نادمٌ سادمٌ، ونَدْمان سَدْمان، والمرأة نَدمى سَدْمى، وقوم ندامى سدامى، والسادم: المهموم.

١- نفسه ٩/ ١٣٤-١٣٥.
٢- البصائر والذخائر، ٢/ ١١٥.
٣- نفسه، ٤/ ١٦٨.

وقال بعضهم: الحزين وحيد محيد، وسَليخ مَليخ الذي لا طعم له... وفيه سلاخة وملاخة. قال: ويقال... عابس كابس،... ويقال: رغماً دغماً شِنَّغْما، ويقال: فعلت ذلك عن رغمه وشنّغمه، معناه كله واحد. ويقال: إنه لفظّ بظّ، ويقال له من فَرَقه أصيص كصيص، أي انقباض وذعر، ويقال: يوم عكّ أكّ إذا كان شديد الحرّ مع لَدَق واحتباس ريح... وإنه لشَكِسُ لَكِسُ أي عَسِر، ويقال للخَبّ الخبيث: إنّه سمَلّع هَمَلّع وهو من نعت الذئب. هكذا قاله اللحياني.[1]

- قال اللحياني: ويقال إنه أحمق بِلْغُ مِلْغُ بالكسر فيهما جميعاً، والمِلْغ النذل، وإنه لمعفتُ ملْفت إذا كان بعفت كل شيء، ويلفته أي يدقّه، وإنّه لسَغِلّ فَعِل بيّن السغولة والوغولة... وإنّه حقيرٌ نقيرٌ، وحَقِر نَقِر، وإنّه لعفريتُ نفريت، وعفريةٌ نفريةٌ.[2]
- ويقال: تركتهم في حيص بيصَ... أي تركتهم في ضيق، وحُكي: تركتهم في حَيْصِ بَيْصِ.[3]
- وفلان ضَرِس شَرِسُ أي صعب الخلق. هذا كلّه عن الأصمعي.[4]
- فقال النعمان صِفْه، فقال: قَطِفُ نَطِفُ، صَلِفُ قَصِفُ.[5]

تعليق:

من عناية اللغويين القدامى أن أفرد أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تأليفاً مستقلاً[6]، وروى عنهم قولهم فيه: شيء نَتِدُبه كلامنا.[7] ونقل السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) جملة صالحة من الألفاظ[8]، وعلى هذا النهج عُني أبوحيان به.

١- نفسه، ٦/ ٥١.
٢- نفسه، ٦/ ٦٢.
٣- نفسه، ٦/ ٦٢.
٤- نفسه، ٧/ ٤٣.
٥- نفسه، ٨/ ١٩٩.
٦- عنوانه: الإتباع والمزاوجة، حقق مرتين: الأولى تحقيق المستشرق الالماني برونو سنة ١٨٠٦م، والثانية تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، سنة ١٩٤٧م.
٧- أحمد بن فارس: الصاحبي (تحقيق السيد احمد صقر) صـ ٤٥٨.
- وينظر السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، المكتبة العصرية / صيدا - بيروت، د. ط، سنة ٢٠٠٩م، ١/ ٣٣٠، نقلاً عن ثعلب.
٨- ينظر نفسه ١/ ٣٢٩-٣٣٧.

لنا ملاحظة على الألفاظ وقعت المحققة في تصحيف قسم منها مثل:
وحيد محيد والصواب وحيد قحيد، والتصويب من محقق المزهر.(١)
وكعادته يوثق أكثر نصوصه من أعلام اللغة.

مفردات بين الضبط والدلالة:

- الدَمُ - الأَبُ:

"ميم الدم خفيفة، وباء الأب خفيفة، فتوقَّ لحن العامة، وأشباه العامة من الخاصة، وروّض لسانك على الصواب."(٢)

- نَدِية - شاَمية:

"قال ابن الأعرابي: قيل الأعرابي: ما أشدُّ البرد؟ قال: إذا كانت السماء نقية، والأرضُ نَدْية، والريحُ شآمِيَة. توقّ تشديد ياء نديَة وشآمَية، ألا ترى أنك تقول: هذا ترابُ نَدٍ، ورجلُ شآمٍ، وآمرأة شآمَية."(٣)

- الأَمَنة والأَمْنة:

"قال يعقوب بن السكّيت: الأَمَنة كثير الأمن للناس، مثل نُوَمة على القياس، قال يعقوب: والأَمَنة الأمنَ والسكون، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾.(٤)
وقال غيره: الأَمَنة الكثير التصديق لما يسمعه."(٥)

- الـدَّلّ.

"وأمّا الدَّلّ فكأنه مصدر دَلّ، والمسموع هو الدَّلّ."(٦)

١- المحقق أبو الفضل إبراهيم ينظر هامشه (٨) من ١/ ٣٣٥.
٢- البصائر والذخائر ١/ ٥٨.
٣- نفسه ١/ ٦٣.
٤- الآية ١١ من سورة الأنفال.
٥- البصائر والذخائر ١/ ٢٤٣.
٦- نفسه ٢/ ١٥٣.

- ضُحْكة وضُحَكَة:

"وكان ضُحْكة، يقال هو ضُحْكة إذا ضُحِكَ به، وضُحَكَة إذا كان كثيراً لضحك، وبابه مطرد في نظائره."[1]

- نَجِس ونَجَس:

"ويقال رجلُ نَجِسُ ونَجَسُ، فكأنه إذا لوحظ المسمّى أنبأ عليه بالكسر، وإذا أريد الصفة أنبأ بالفتح."[2]

- سَداد أم سِداد:

"حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان في ذلك سَداد من عوز، قلت: صدق أمير المؤمنين، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب الحديث (كان فيها سِداد من عوز) وكان متكئًا فاستوى جالساً فقال: يا نضر كيف قلت؟ قلت: يا أمير المؤمنين السَداد هاهنا لحن، قال: وكيف؟ قلت: إنما لحن هشيم وكان لحّانة فتبع أمير المؤمنين لفظه، قال: فما الفرق؟ قلت: السداد: القصد في الدين، والسداد: البُلغة، وكل ما سددت به شيئاً قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم، هذا العرجي يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغرِ."[3]

- خُدعة:

"الخاء من (خُدْعة، كانت مضمومة من شكل بخط السيرافي وفتحها لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضمّها جائز)."[4]

- "وأما كسر (نذارِ، فبناء، نظيره: حذارِ ونزالِ وتراكِ، وقطامِ، وحذامِ، وقيل

١- نفسه ٥/ ٧٠.
٢- نفسه ٦/ ١١٥.
٣- نفسه ٦/ ٢٠٧-٢٠٨.
٤- نفسه ٧/ ١١٦.

إنهم أشاروا بهذا البناء إلى تكرير الفعل كأنهم قنعوا به عن قولهم: احذرْ واتركْ، والله أعلم".[1]

معاني صيغ:

أدنى:

"وقال بعض النحويين في قوله: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْر)[2] إنما يريد الذي هو أدون ولا يريد الذي هو أقرب، والدليل على ذلك أن معه الخير".[3]

"وأما الرائف فهو الموصوف بالرأفة، وهو الرؤوف معوّض، إلا أن الفعول أجمع للصفة، هكذا المعنى في بنية الكلام في الأفعال كما أن مِفعالاً أكثر من مفعول وأما فعّال فقال بعضهم: هو أعرف من فعول، وقال آخر: بل فعّال أعرف، وزعم أن قول الله تعالى: (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)[4] شاهد بذلك، وقال آخر: بل هما يتقاسمان المعنى سواء، وليس أحدهما كالآخر".[5]

تعليق:

في هذه النصوص فوائد تعليمية تهدف إلى بيان الدلالة وكيفية الضبط، وما يترتب عليه، وذكرت هذه الأمثلة اجتزاءً إذا تتجاوز هذه النصوص هدف البحث في النحو، ولابد لباحث أخر أن يتجرد لمباحث أبي حيان اللغوية وهي كثيرة جداً، لأن أبا حيان "من كبار المنشئين في عصره، وهذه ميزة أتاحت له تعاملاً غير تقليدي مع اللغة".[6]

١- نفسه ٨/ ١٣٦.
٢- الآية ٦١، من سورة البقرة.
٣- نفسه ٤/ ٨٤.
٤- الآية ١٠٧ من سورة هود
٥- نفسه ٥/ ٨٨.
٦- نعمة رحيم العزاوي: أبوحيان التوحيدي لغوياً، الموسوعة الثقافية (٦) دار الشؤون الثقافية / بغداد، ط١، سنة ٢٠٠٤م، صـ ١٨.

التصغير:

عرض أبو حيان صورًا من التصغير، منها ما مرّ في موضوع (الممنوع من الصرف)، وهذا موضع آخر قال:

"قالت ماوية بنت النعمان بن كعب بن جُشَم لزوجها لؤي بن غالب: أي بنيك أحبّ إليك؟ قال:... يعني كعب بن لؤي. ولُؤي تصغير لأي، وهو بقر الوحش."[1]

تعليق:

لا يكتفي أبوحيان في ذكر صورة التصغير بل يذكر أصله أي مكبّره، ويسوق معناه، إذا يجهل الكثيرون مثل هذا.

وأظن أن هناك تصحيفاً في (لأي) إذ هي في هذا المعنى الذي ذكره أبو حيان. قال الخليل: "اللأى بوزن اللّعا الثور الوحشي."[2] وربما كان تصغير (لؤي) من (لأي) أي الجهد والمشقة،[3] أو من (اللوى) على ما ذكره ابن دريد.[4]

١- البصائر والذخائر ١/٩٩-١٠٠.

٢- كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت، ط١، سنة ١٩٨٨م، باب اللفيف من اللام مادة (لأي)، ٨/٣٤٨.

٣- نفسه، المادة نفسها.

٤- ينظر الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل / بيروت، ط١، سنة ١٩٩١م، صـ ٢٤.

المبحث الثاني: الفعل وما يتعلق به

حظي الفعل باهتمام أبي حيان، فذكره في مواضع عدة من كتبه، إما نقلاً عن شيوخه، وإما نظرًا منه، وهو المتمكن من ناحية اللغة، وقد رتبت مباحثه على الوجه الآتي:

- تعريف الفعل.
- أقسام الفعل.
- أبنية الفعل.
- حذف الفعل.
- أفعال بين الاستعمال والدلالة:
  - ماله وجهان في التركيب.
  - اللازم والمتعدي.
  - نعم وبئس.
  - عسى.
  - فعال.
  - فَعَلَ وأفعلَ بمعنى.
  - المطاوعة انفعل.
  - فَعَل – يَفْعُل.
  - يفعل يراد به فعلَ.
  - افتعل واستفعل.

تعريف الفعل:

الفعل يعمّ ما تصرّف بالزمن، كقولك: ضرب للماضي، ويضرب للحال، والمستقبل من الزمان.[1]

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٧٤.

وقال في موضع آخر: "الفعل ما شاع في الزمان".[1]

تعليق:

إنَّ "أصحاب النظر اللغوي الصحيح... يرون أن الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة، وهو لا يعدو أن يكون حدثاً يجري على أزمنة مختلفة".[2].

وقد عرّفه سيبويه: "وأما الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع".[3]

وأرى أن عبارة أبي حيّان أكثر وضوحاً على الرغم من تركيزه على عنصر الزمن، ولعلّه أقرب إلى ما قاله الزجاجي في (الجمل) "الأفعال الثلاثة فعل ماضٍ، وفعل مستقبل، فعل في الحال يُسمى الدائم"[4]. مما تعدّ صياغته تعليمية تميز بينه وبين الاسم.

أقسام الفعل:

"وسمعت غيره يقول: الأفعال ثلاثة: ماضٍ، وهو مبني على الفتح، ومستقبل وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والألف، والدائم وهو الحال".[5]

"وسمعت أبا حفص الأشعري يقول: لا معنى للحال إنما هو الماضي والمستقبل، وتحصيل الحال من المحال، وتوهمها باطل، لأنك لا تفرغ من الماضي إلى المستقبل، ومتى فرضت واسطة بينهما كنت فيها واهماً، فقيل له:

إن الذي يوضح الحال أنك إذا أتيت بالسين في قولك: سيصلي، لم يكن المعنى

١- أخلاق الوزيرين، صـ ٢٢٥.

٢- إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م، صـ ١٥، وينظر: أحمد عبد الستار الجواري: نحو الفعل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت، ط جديدة، سنة ٢٠٠٦م، صـ ٣٠.

٣- الكتاب، طبعة هارون، ١/ ١٢.

٤- الجمل طبعة أبي شنب – باري، صـ ٢١ – ٢٢.

للتفصيل في دلالة الفعل الزمنية ينظر:

- عبد الله بو خلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر، د. ط، سنة ١٩٨٥م.
- مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة، د. ط، سنة ١٩٨٦م، صـ٨٣ – ١١٤.
- فريد الدين آيدن: الأزمنة في اللغة العربية، دار العبر للطباعة والنشر/ اسطنبول، د. ط، ١٩٩٧م.

٥- البصائر والذخائر، ١/ ١٧٥.

إلا في الاستقبال، فلولا أن هذا الغرض قد كان كامناً في قولنا يصلّي لم توضحه السين، وكأنّ الشبهة أن يصلي دالة على الحال متضمنة معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما يصبّه على الغرض الواضح. وكان يكابر عند هذا البيان.(١)

تعليق:

ههنا فائدة يسوقها أبوحيان في بيان المراد بـ (الدائم) وهو مصطلح عبّر عن معناه سيبويه بقوله: "وما هو كائن لم ينقطع."(٢) وابتكره الكوفيون مصطلحاً(٣)، ولكن يريد به الحال على ما جرى عند الزجاجي.(٤)

أبنيـة الفعـل:

"قال بعض النحويين: الكلام يدور على ثمانية عشر بناءً،

إذا سُمّي فاعله:

ثلاثة منها ثلاثية

وأربعة رباعية

وستة خماسية.

وخمسة سداسية.

فأما الثلاثي ففعَل نحو: جلَس وضَرب، وحَدث.

وفَعِل نحو: عمِل

وفَعُل نحو: ظُرف وكُرم.

وأما الرباعي فأن يكون على فعلَل نحو: دحرج ويلحق به حوقل، وجلبب، وفاعل نحو: قاتل وعالج، وفعّل نحو: كرّم ويسّر، وأفعل نحو: أكرم، وأقفل.

والخماسي نحو: انفعل كقولك: انطلق واندفع، وافتعل كقولك: استمع،

١- نفسه، ١/١٧٦.

٢- الكتاب ١/١٢.

٣- ينظر مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، المجمع الثقافي / أبوظبي، د.ط، سنة ٢٠٠٢م، صـ ٢٩٩.

٤- ينظر الجمل (طبعة أبي شنب) صـ ٢١-٢٢.

وارتبط، وافعلّ نحو: احمرّ واشهبّ، وتفعلل كقولك: تدحرج وتجلبب، وتفاعل كقولك: تعالج، وتفعّل كقولك: تحرّك وتكسّر.

والسداسي نحو: استفعل كقولك استغفر واستخرج، وافعالّ نحو: احمارّ، وابياضّ، وافعوّل نحو: اعلوّط، واجلوّط، وافعوعل نحو: اخلولق، واغدودق، وافعنلل نحو: احرنجم، واخرنطم.[1]

تعليق:

استوفى أبوحيان أبنية الفعل صرفياً بلغة التقسيم وهو ملحظ تعليمي سائد لديه مع أمثلة تبين هذا التقسيم ليحذو المتعلم حذوه، ويحصي ما أراده من أبنية الفعل[2]، ويجمعها في موضع واحد، وهي متفرقة لدى أرباب الصرف.

حذف الفعل:

- شيّع الحسن بن سهل المأمون فقال له: حاجتَك يا أبا محمد؟
- نصب، يريد هات حاجتك، أو آذكر حاجتك.[3]
- وقيل له: حكي أن العرب تقول: نحن العربَ أقرى الناس للضيف، فقال: إن هذا نصب على المدح.[4]
- وقال ابن أبي طاهر أيضاً: كنت مع علي بن عبيدة يوماً، ونحن عند قيان، وحان وقت الظهر، فبادر الناس الصلاة والجارية قاعدة، وهما في حديث، فأطالا حتى كادت الصلاة أن تفوت، هكذا قال، قال فقلتُ: يا أبا الحسن، الصلاةَ، ونصبت على الإغراء.[5]

أريد حياته ويريد قتلي　　　عذيرَك من خليلك من مراد

١- البصائر والذخائر، ٥/ ١٩٥.

٢- ينظر محمد خير حلواني: المغني الجديد في علم الصرف، دار الشرق العربي / بيروت، طـ٥، سنة ١٩٩٩م، صـ ٩٠-٩٣.

٣- البصائر والذخائر ٢/ ٥٢.

٤- الإمتاع والمؤانسة، الليلة الثانية والثلاثون.

٥- البصائر والذخائر ٤/ ١٥٠.

وأما نصبه (عذيرَك) فإجماع من النحويين، قالوا: معناه من يعذرك وإن الفعل أوجب النصب، لأنك لو خفضت بغير خافض ولو رفعت استحال خبراً، فلما بطل الوجهان صحّ الثالث أعني النصب، كأنه أريد به خيراً ويريد بي شرّاً، أي هات الآن من يعذرك ومن عاذرك وكأن العذير هاهنا فعيل بمعنى فاعل."[1]

"والعرب تقول إذا سمعت عطسة من لا تحب: وَرْياً، ينصبون على مذهب الدعاء، أي ألزمك الله تعالى هذا، وفي خلافه يقولون: عمراً وشباباً."[2]

تعليق:

لا يكتفي أبوحيان بالحركة الإعرابية بل يحاول تفسيرها على وفق الدلالة المرادة، ويشرح ثمّ يقدمّ أمثلته التوضيحية بأسلوب تعليمي واضح، مبيناً مواضع يحذف فيها الفعل اختصاراً لوضوحه، وسهولة تقديره، وحذف الفعل في هذه المواضع جائز."[3]

"لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب"[4]... ولاسيما في "باب من الاختصاص.. وفيه معنى الافتخار."[5] وحذف الفعل في هذه المواضع جائز.[6]

أفعال بين الاستعمال والدلالة

أفعال لها وجهان في الدلالة:

"سمعت في مجلس أبي سعيد شيخاً من أهل الأدب يقول:

ومن الأفعال ماله وجهان، كشيء ينصرف على معنيين مثل:

أصاب عبدُ الله مالاً، وأصاب عبَد الله مالُ، إذا أصابه مال من قسمة.

١- نفسه ٨/ ١٣٤.
٢- نفسه ٨/ ١٣٥.
٣- سيبويه: الكتاب (طبعة عبد السلام هارون)٢/ ٢٣٣.
٤- سيبويه: الكتاب (طبعة عبد السلام هارون)٢/ ٢٣٣.
٥- نفسه، ٢/ ٢٣٤.
٦- ينظر شرح ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبد الحمد، المكتبة العصرية / صيدا – بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٤م، ٢/ ٢٧٥.
وينظر شرح الأشموني، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، ط، سنة ٢٠١٠م، ٢/ ٣٦٢.

ووافق زيدُ حديثنا، إذا صادفهم يتحدثون.

ووافق زيداً حديثُنا، إذا سرّه وأعجبه.

وأحرز زيدُ سيفَهُ إذا صانه في غمده.

وأحرز زيداً سيفُهَ إذا خلصه من القتل وشبهه.

ولو قلت أحرز آمرؤُ أجله لم يجز، لأن الرجل لا يحرز أجله ولكن أجله يحرزه، إلا أن تذهب إلى قولك: أحرزت أجلي بالعمل الصالح.[1]

تعليق:

يختار أبوحيان في نقله ما يراه مفيداً للمتعلم والمتلقي من وجوه الاستعمال على وفق القصد والدلالة، ويمنح القارئ متسعاً في أفعال معينة تنصرف إلى معاني عدة في ضوء المرفوع والمنصوب تقديماً وتأخيراً، وهذه التفاتة بارعة لا تتأتى إلا لمن تبحر في فن القول وأساليب الكلام.

اللازم والمتعدي:

وسمعت أرباب النحو يقولون: الفعل خمسة أجناس:

فمنها فعل لا يتعدى البتة مثل قام.

وفعل يتعدى إلى واحد مثل ضرب زيد عمراً.

وفعل يتعدى إلي مفعولين يقع المعنى عن أحدهما مثل كسوت زيداً ثوباً.

وحرمت زيداً عطاءه.

وفعل يتعدى إلي مفعولين لا يستغنى عنهما مثل ظننت زيداً قائماً.

إلا أن تريد بظننت آتهمت فيقف على مفعول واحد، وكذلك حسبت وخلت، ولهما مفعولان فلا غنى البتة عنه.

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٧٩.

وفعل يتعدى إلى ثلاثة لا غنى عنهم مثل إعلمْ أن الله خلق زيداً بشراً خيرَ الناس. وهذه الأجناس كلها يتعدى إلى الزمان والمكان، لأن الفعل والفاعل لا يستغنيان عنهما، ولا يجدان بّداً منهما."[1]

وفي نصّ آخر:

"قال أبو سعيد السيرافي: قد جاء في فعلين تعدى الفاعل إلى ضميره وهو فقدتني وعدمتني، وإنما جاز ذلك لأنه محمول على غير ظاهر الكلام، وحقيقته، لأن الفاعل لابدّ من أن يكون موجوداً، وإذا عدم نفسه صار عادماً معدوماً، وذلك محال، وإنما جاز لأن الفعل له في الظاهر والمعنى لغيره، لأنه لا يدعو على نفسه بأن يعدم، فكأنه قال: عدمني غيره..."[2]

تعليق:

سبق لي أن عقدت بحثاً بعنوان (تعدّي الفعل ولزومه بين الدرس النحوي والاستعمال القرآني) شكّل القضية الثانية في كتابي (قضايا مطروحة للمناقشة في النحو واللغة والنقد – صـ٤١-٧٠، دار أسامة للنشر/ عمّان، سنة ١٩٩٨م)

خلصت فيه إلى:

"أن هذا الموضوع فيه خلط كبير، وتحكّم في التقعيد، وأحكام ساذجة، وأنّ به حاجة إلى إعادة درسه ضمن المنهج الوصفي... وليس هناك خط فاصل بين (التعدي) و (اللزوم) إلا المعنى."[3]

١- البصائر والذخائر، ١/ ٢٤٠-٢٤١.

٢- نفسه، ٤/ ٥٨.

٣- سعيد جاسم الزبيدي: قضايا مطروحة للمناقشة في النحو واللغة والنقد، دار أسامة للنشر / عمّان، طـ ١، سنة ١٩٩٨، صـ ٦٠. وللتفصيل في مسألة (التعدي واللزوم):

- أبو أوس إبراهيم الشمسان: الفعل في القران الكريم تعديته ولزومه، مطبعة ذات السلاسل / الكويت، سنة ١٩٨٦م.

وفي نقل أبي حَيان عن أرباب النحو منحى تعليمي – وقصده هذا أولاً في سائر نقوله – وملحظ دلالي في النصّ الثاني إذ كثيراً ما يرد هذا الاستعمال مفسّر المقصود منه وهذا ما نهج عليه أبوحيان في تأكيد (نحو الدلالة).

نعم وبئس:

نُعم وبئس من باب أفعال لا تنصرف (وأظنها لا تتصرف وهذا تصحيف من الطباعة). وهما فعلان ماضيان يرتفع فاعلاهما بهما، والفاعلان على ضربين: مضمر ومظهر، والمضمر مفسر، ومثاله: نعم رجلاً عبدُ الله، وبئس غلاماً زيدُ، أضمرت (الرجل) في نعم قبل أن تذكره فلزم تفسيره ليدل على الفاعل، و(غلاماً) انتصب بنعم ولا يكون هذا التفسير الا نكرة، فأما مثال الفاعل المظهر فضربان أحدهما أن يدخل الفاعل الالف واللام فيكون الاسم دالاً على الجنس نحو: نعم الرجل، وبئست المرأة، وبئس المرأة، والآخر أن يضاف إلى ما فيه الالف واللام نحو: نعم غلام الرجل، وبئس صاحب القوم.[1]

تعليق:

شاع في الدرس النحوي قديماً وحديثاً القول في (نعم وبئس، أفعلان هما أم اسمان؟)[2] حتى حسم هذا الخلاف الزميل المرحوم الدكتور محمد خير الحلواني في كتابه الرائع (الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف، دار القلم العربي م حلب، ط، سنة ١٩٧٤)[3].

وبيّن أن المسألة ليست خلافية وأن كلا المذهبين: البصري والكوفي يقول بفعليتهما، فينقل أبوحيان بأمثلة دالّة للمتعلم طرائق آستعمال هذين الفعلين، وبيان ما يلزمهما من مرفوع أو منصوب بأسلوب وصفي واضح ودلالي ملحوظ.

١- البصائر والذخائر، ٢/ ٥٢- ٥٣.
٢- أبو البركات الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- صيدا – بيروت، سنة ٢٠١٢م، ١/ ٨١-١٠٣.
٣- ينظر محمد خير الحلواني: الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف، صـ ٢٢٦-٢٤٠.

الفعل (عسى):

قال أبو سعيد: في عساك وعساني ثلاثة أقوال:

أحدها قول سيبويه وهو أن عسى حرف بمنزلة لعلّ ينصب ما بعدها وهو الاسم، والخبر مرفوع، والكاف اسمها وهي منصوبة، واستدل على النصب في عساك بقول: عساني والنون والياء فيما آخره الألف لا تكون إلا للنصب.

والقول الثاني قول الأخفش: إنّ الكاف والياء والنون في موضع رفع.

وحجته أن لفظ النصب آستعير للرفع في هذا الموضع كما آستعير له لفظ الجرّ في لولاي ولولاك.

والقول الثالث قول المبرد: إن الكاف والياء والنون في عساك وعساني في موضع نصب بعسى فإن اسمها فيها مرفوع جعله كقولهم: عسى الغوير أبؤساً، وحكي أنه قُدّم فيها الخبر لأنها فعل وحذف الفاعل لعلم المخاطب به فعل صحيح لا يدخله الاختلاف فيه.[1]

تعليق:

تجسد في هذا النقل تمام الكلام عن أحوال (عسى) وآستعمالها، وأقوال النحاة فيها، وليس بعد هذا الكلام فضل زيادة، ليقدّم للمتعلم ما يراد مناسباً في الاستعمال بأمثلة واضحة، إذ ينقل له ما يتعلق بـ (عسى) معنى وآستعمالاً، سواء كانت حرفاً عند سيبويه وابن السراج[2]، أم فعلاً عند الجمهور[3]، ليختار المتعلم ما يريد من معنى أو آستعمال.

صيغة فعالِ:

وأما كسر نذارِ فبناء،نظيره:حذارِ،ونزالِ،وتراكِ،وقطامِ،وحذامِ وقيل إنهم أشاروا بهذا البناء إلى تكرير الفعل كأنهم قنعوا به عن قولهم: احذرْ، واتركْ، والله أعلم.[4]

١- البصائر والذخائر، ٥/ ١٤٣.
٢- ينظر المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني (طبعة فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل)، صـ ٤٦١.
٣- نفسه، والصفحة نفسها.
٤- البصائر والذخائر، ٨/ ١٣٦

تعليق:

مفردة جديدة يضيفها أبوحيان إلى نظائرها مما ورد من بناء (فعالِ) في العربية مع بيان دلالتها بتفسير دلالي ييسر المسألة على المتعلم، ومثل هـذه الـصيغ تـسمى عنـد النحاة أسماء أفعال معدولة وهي قياسية.[1]

فعل وأفعل:

يُقال: حزنته وأحزنته بمعنى[2] ويقرأ (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ)[3].

تعليق:

نقل سيبويه عن شيخه الخليل فقال: "قال الخليـل: وقـد يجـيء فعلـت وأفعلـت المعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا.... فيجئ به قوم على فعلت ويلحـق قـوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت."[4]

وأفرد القدماء كتباً بعنوان (فعلت وأفعلت)[5].

وهذا باب معروف جاء من تداخل اللغات على ما وضـحه الخليـل، في الـنصّ الذي نقله سيبويه في أعلاه.

المطاوعة (انفعل):

- "ومع ذلك لا يقال في عذلته – بالذال منقوطة – انعذل، هذا ما لم يسمع، والقياس فيه مرذول."[6]
- "وقول الكتّاب (انضاف هذا إلى هذا وسينضاف كلمة خطأ كذا قال السيرافي)"[7].

١- ينظر مصطفي الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية / صيدا – بيروت، ط ٣٩، سنة ٢٠٠١م، ١/ ١٥٧.

٢- البصائر والذخائر ٤/ ٦٠.

٣- لآية ٦٥ من سورة يونس
قرأ بها نافع المدني (ت ١٩٩هـ) ينظر: أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وتاريخ أشهر القراء، عالم الكتب / القاهرة، ط ٣، سنة ١٩٩٧م، ٢/ ٣٦٠.

٤- الكتاب (طبعة عبد السلام هارون) ٤/ ٦١

٥- للتفصيل: ينظر خليل ابراهيم العطية في مقدمة تحقيقه كتاب (فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني) إذ عقد عنواناً لـ (أشهر المؤلفين في فعل وأفعل) صـ ٧١-٧٦، مطبوع بالبصرة سنة ١٩٧٩م.

٦- البصائر والذخائر ٢/ ٧٣.

٧- نفسه ٥/ ٨٧.

▪ وقال الزجاج: لا نولُكَ أن تفعل هو في موضع: لا ينبغي لـك أن تفعـل، تقـول: بغيت الشئ فآنبغى لي، فعلى هذا ينبغي لي أن أفعل، أي يطاوعني هـذا الفعـل، ولا يحسن قولك: مـني، وهـو في موضـع لا تنـاوَلُ أن تفعـل، ولا ينـال لـك أن تفعل، أي لا يصلح الفعل.[1]

تعليق:

في النصوص المذكورة يثير أبوحيان صورتين للصيغة (انفعل)، الأولى لا تجـوز، ولا يجوز القياس عليها في كل الأفعال، والثانية كيف يستعمل معها الحرف المناسب. وقد رأى أستاذنا المرحوم مصطفى جواد من الصورة الأولى منطلقاً لرفض ما يـسمى صيغة المطاوعة، ويعدّ قرار مجمع اللغة العربية المصري منسوخاً لأن المطاوعة "خرافـة عجيبة... وقد قام الخيال الصرفي في هذه المسألة بدور كبير، ونحن لم نجد عربياً فصيحاً استعمل في كلامه جملة (كسرت العود فانكسر) ولا أمثالا."[2] وخلص إلى أن الأفعال المزعوم أنها للمطاوعة فهي في الحقيقة لرغبة الفاعـل في الفعـل أو ميلـه الطبيعـي أو شبه ميله إليه من غير تأثير من الخارج."[3] وتبنى هذا الرأي أستاذنا المرحـوم إبـراهيم السامرائي وكرره في كتابه (الفعل زمانـه وأبنيتـه)[4]، ورأى أن مـا أسمـوه بـالمجهول (فاعله، كما في (كُسِرَ الزجـاج)) مـسند إلى مرفوعـه إسـناد (انكـسر الزجـاج) وإنّ (انكسر) ليس مطاوعاً لـ (كسر) ومرتباً عليه أو هو فعل قابل للتأثير من الأول، وأن المعنى المتحصل من كلا التعبيرين واحد، وإن اتصاف المرفوع بكل منهمـا علـى نحـو واحد.[5] وأنا أوافق على ما ذهب إليه الأستاذان الفاضلان.

فَعَلَ – يَفعُل:

"سمعت شيخاً من النحويين يقول: ليس في كلام العرب فَعَل يفعُل من المضعف

١- نفسه ٦/ ١٢٨.

٢- المباحث اللغوية ومشكلة العربية العصرية، الدار العربية للموسوعات/ بـيروت، ط١، سـنة ٢٠١٢م، صـ ٢٣-٢٤، يذكر أن طبعة هذا الكتاب الأولى بعنوان (المباحث اللغوية في العراق) وطبعته الأولى سنة ١٩٥٥م.

٣- نفسه صـ ٢٤.

٤- ينظر الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م، صـ ١٠١-١٠٤.

٥- نفسه صـ ١٠٤.

إلا في شدّه يشدُّه، وعلَّه يعلُّه، وهَّره يهُّرهُ، ونمَّ الحديث ينمُّه.[1]

تعليق:

على عادة مَنْ يستقصي مسألة يذكر للمتعلم ما نقله عن شيوخه بلهجة الواثق بهذا الضبط الصرفي.

يَفْعل بمعنى فَعَل:

قال النحوي: اعلم أنّ أسير بمعنى سرت إذا أردت بأسير معنى سرتُ، قال أبو سعيد السيرافي: إنما يستعمل ذلك إذا كان الفاعل قد عُرِف منه ذلك الفعل خُلُقاً وطبعاً، ولا ينتظر منه في المضي والاستقبال ولا يكون لفعل فعله مرة من الدهر ومن ذلك قول بعض بني سلول:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبني فمضيت ثُمتَ قلت لا يعنيني

يريد: ولقد مررتُ، ولم يُرد أن ذلك كان منه مرة، ولا أنه لا يعود إليه وإنما أراد أن ذلك سجيته أبداً.[2]

تعليق:

سبق سيبويه النحاة جميعاً في بيان دلالة صيغة (يفعل) على (فَعَلَ) فقال: وقد تقع (نفعل) في موضع (فعلنا) في بعض المواضع، ومثل ذلك قوله، لرجل من بني سلول مولّد:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فمضيت ثُمّتَ قلتُ لا يعنيني

وآعلم أن أسير بمنزلة سرت إذا أردت بأسير معنى سرت.[3] وقد نقل أبوحيان نصّه عن أبي سعيد السيرافي وهو شارح كتاب سيبويه لنتبين دقتهما في ذلك فضلاً عن إضافة غاية في الأهمية هي ربط الفعل بفاعله الذي يفعله طبعاً وسجية، وعن

١- البصائر والذخائر، ٣/ ١٢٢.
٢- البصائر والذخائر ٨/ ١١٠-١١١.
٣- الكتاب (طبعة هارون) ٣/ ٢٤

نصّ سيبويه تناقل النحاة هذه الدلالة[1].

صيغة (افتعل) و (استفعل):

"واعلم أن شين (اشتغلت) ليست نظير سين (استعنت) لإن الاشتغال افتعال والشين من سنخ الكلمة، وهي أحد أجزائها، بها تتم وعليها تنتظم، وأما الاستعانة فإن سينها مجتلبة لأن أصل الكلمة أعان يُعين، ثم تجلب لها السين للمعنى المراد وهو سين استفعل التي هي في قولك استمال من مال، واستقال من الإقالة، واستمتع من المتعة وكان الأصل على التمام آستعونت ولكن قُصِد التخفيف على جاري العادة في كلامهم.

فظن هذا البائس أن هذا الوزن إذا جمعهما فالحكم قد جمعهما، والشيء قد يخالف منظره مخبره، وظاهره باطنه، وجليّته سرّه."[2]

تعليق:

تنبيه أبي حيّان دقيق يهدف من ورائه إلى أن يجنّب المتعلم الخلط بين صيغتين: (آشتغلت – آستعنت) وبيان وزنهما الصرفي: آفتعلت للأولى، وآستفعلت للثانية مع أمثلة تعين على الإحساس بالفرق ومعرفة الزائد من الفعلين، وهذا مبحث صرفي دقيق.

١- ينظر:
- الفراء: معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٠، ١/ ٦٠-٦١، قال: "وذلك جائز إذا أردت بتفعلون الماضي.... وذلك عربي كثير في الكلام." وأيضاً ٢/ ٢٣.
- آبن جني: الخصائص، تحقيق محمد على النجار، عالم الكتب/ بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠٦م، ٢/ ٣٣٢.
- شرح ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية / صيدا – بيروت، د. ط، سنة ٢٠٠٤م، ٢/ ١٨٢-١٨٣ مع الهامش.
- عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر، د. ط، سنة ١٩٨٥م، صـ ١٢٧-١٢٩.

٢- البصائر والذخائر، ١/ ١٦٢-١٦٣.

المبحث الثالث: الحرف وما يتعلق به

عرض أبوحيّان في جملة ما عرض من مسائل النحو التي نثرها في كتبه للحرف مفهوماً وتطبيقاً ودلالة مما ينبئ عن علم وطيد تحصّل له بالسماع المباشر عن شيوخه، وما أداه نظره إليه ومن ذلك:

تعريف الحرف:

"والحرف ما كان جامداً لا يدلّ على معنى، نحو هلْ وبلْ وقدْ، وكأنه يريد أن معاني الحروف تتضح بقرائنها، فكأنه لا تأثير لها بتجريدها حتى يصحبها غيرها."[1]

وقال في موضع آخر: "والحرف ما آتتلف به اللفظ."[2]

تعليق:

اختلف النحاة في تعريف (الحرف) فمنهم من ذهب إلى أنه "جاء لمعنى"[3]، ومنهم من ذهب إلى أنه "لا يفيد معنى إلا في غيره."[4] وهناك قرائن سياقية أخرى تعيّن آستعمال الحرف ودلالته، ولدينا جملة صالحة من كتب الحروف لعلّ أكثرها تداولاً:

- الأزهية في علم الحروف للهروي.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.

١- البصائر والذخائر ١/ ١٧٤.

٢- أخلاق الوزيرين، صـ ٢٢٥.

٣- سيبويه: الكتاب (طبعة هارون) ١/ ١٢، وينظر للتفصيل:
خليفة بن ناصر البرواني: الخلاف بين البصريين والكوفيين في معاني الحروف، المالقي – للمرادي – ابن هشام أنموذجاً، بحث تخرج في الماجستير – جامعة نزوى، سنة ٢٠١١م، صـ ١٢ وما بعدها.

٤- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس / بيروت، طـ٥، سنة ١٩٩٦م، صـ ٥٤.

معاني حروف:

❖ عن:

▪ عن بمعنى من: لغة في هذيل.[1]

تعليق:

لم أعثر على نصّ في كتب الحروف، ولا في دراسة عبد الفتاح المصري: (لغة هذيل)[2] من ينسب هذا المعنى إلى هذيل، اللهم إلاّ ما ورد عند الأشموني[3] أنّ جملة معاني (عن) عشرة... السادس:

موافقة (من) نحو (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)[4].

و(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)[5] فيتجلى أبوحيّان بدقته ومعرفة لغات القبائل.

❖ ليس:

فحكم ليس هو حرف نفي على موجود.[6]

تعليق:

ذهب جمهور النحاة إلى أنّ (ليس) فعل[7]، إلا ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، وابن شقير (ت ٣١٧هـ)، وأبا على الفارسي (ت ٣٧٧) فقالوا إنها حرف نفي[8]، وهي أداة

١- البصائر والذخائر ٣/ ٢٥.

٢- منشورة في مجلة التراث العربي – اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، العدد ١٣، ١٤، السنة الرابعة تشرين الأول وكانون الثاني سنة ١٩٨٤م.

٣- شرح الأشموني، تحقيق محمد حمد عزوز، المكتبة العصرية / صيدا – بيروت، ط١، سنة ٢٠١٠م، ٢/ ٤٠-٤١.

٤- الآية ٢٥ من سورة الشورى.

٥- الآية١٦ من سورة الأحقاف.

٦- البصائر والذخائر ٢/ ٢٣٦.

٧- ينظر العكبري: التبين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان / الرياض. ط١، سنة ٢٠٠٠م، صـ ٣٠٨.
- والمالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد الخراط، ط٢، دار القلم / دمشق ١٤٠٥هـ صـ ١٤١.
- والمرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة / بيروت، ط٢، سنة١٩٨٣م، صـ ٤٩٣.
- وابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله.
- إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة / بيروت، طـ ٣، سنة ١٩٨٣م، صـ ٦٥.

٨- المصادر السابقة نفسها، والصفحات نفسها.

آستثناء وقصته مع سيبويه معروفة[1].

أراد أبو حيان أن يضيف للمتعلم هذا المعنى، لأنه يعرف أن الشائع في ليس كونها فعلاً لا يتصرف.

❖ هاء السكت:

- "وتقول في الأمر: شِهْ، كما تقول: قِهْ من الوقاية، وفِهْ من الوفاء، والأصل حرف، ولكنْ ضُمّت الهاء أخرى للسكت، ولأنّ الكلام بناء، والبناء لا يكون بحرف واحد إنما يخرج الحرف من أحكام الحروف بآرتدافه حرفاً آخر، والحرف يذكر ويؤنث."[2]

- "وقال النبي صلى الله عليه وسلم-: اخبرْ تَقْلَهْ، الهاء زعم الرواة أنها للسكت."[3]

تعليق:

قال ابن عقيل: "يجوز الوقف بهاء السكت على كل فعل حُذفِ آخره للجزم أو الوقف."[4] فذكر أبوحيان هاء السكت وبيّن بالأمثلة كيف تلحق آخر اللفيف المفروق إن بقي منه حرف، وآخر المضارع المجزوم، تنبيها وتعليماً.

١- كان سيبويه يستملي على حمّاد بن سلمة، فقال حماد يوماً: قال صلى الله عليه وسلم: ليس أحدٌ من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال له حمّاد: لحنت، ليس هذا حيث ذهبت وإنما ليس ها هنا استثناء فقال سيبويه:
لا جرم، لأطلبنى علماً لا تلحنني فيه أبداً، فلزم الخليل وبرع.
ينظر: أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف / القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٣م، صـ ٦٦.
وينظر أبوالبركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الادباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت – ط١، سنة ٢٠٠٣م، صـ ٦١.
وينظر على النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب / القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٩م، صـ ٨٤.
وينظر صلاح روّاي: النحو العربي، نشأته، تطوه، مدارسه، رجاله، دار غريب / القاهرة، د. ط، سنة ٢٠٠٣م، صـ ١٩٥-١٩٦.

٢- البصائر والذخائر ٢/ ٧١.

٣- نفسه ١/ ٢٤٤، ٢/ ٧١.

٤- شرح ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية / صيدا – بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٤م، ٢/ ٤٧٤.
وينظر: المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة / بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م، صـ ١٥٢.
الأشموني: شرح الأشموني (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية / صيدا – بيروت، ط١، سنة ٢٠١٠م، ٣/ ١٨٨.

أدوات الأستثناء:

عرض أبوحيان ثلاث أدوات من أسلوب الاستثناء وبيّن كيف تضبط، وما دلالتها، منطلقاً من النصوص وعلى الوجه الآتي:

١- بَلْهَ:

- قال الراعي:

إذا آبتدرَ الناسُ المكارمَ عزُّهم   عراضةُ أخلاق آبن ليلى وطولُها
يمدّ إلى المعروف كفّاً طويلةً   تنالُ العُدى بَلْهَ الصديقِ فضولُها

كذا أنشدهما الأموي عن البكّائي، بضم العين من (العُدى)، وكسرها جائز، وفتح العين من (عَراضة)، وفتح الهاء من (بَلْهَ)، وكسر القاف من (الصديق).[1]

٢- غير:

- وقال حارثة بن بدر الغُداني:

يا كعبُ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ   إلاّ تُقرّبُ آجالاً لميعاد
يا كعبُ صبراً على ما كان من حَدَثٍ   يا كعبُ لم يبقَ منّا غيرُ أجلادِ
إلا بقيّاتُ أنفاسٍ نحشرجُها   كراحلٍ رائحٍ أو باكرٍ غادِ

قال أبو سعيد: فإنّ (غير) ها هنا بمنزلة (مثل)، ومن جعله بمنزلة الاستثناء لم يكن له بُدّ من أن ينصبَ أحدهما، هو قول بن أبي إسحاق.[2]

٣- حاشا:

- قال أبو سعيد السرافي: حاشا عند سيبويه حرف جر وليس باسم ولا فعل، وأما الجر فلا خلاف فيه بين النحويين قال الشاعر:

حاشا أبي ثوبان إنّ به   ضناً عن الملحاة والشتم

١- البصائر والذخائر ١/ ١١٠.
٢- نفسه ٤/ ٥٩.

قال:

وأكثر الناس يخالف سيبويه فيها. وهم مع خلافهم سيبويه مختلفون فيها، فأما الفرّاء فزعم أن حاشا فعل وزعم أنه لا فاعل له، وهذا طريف وهو كالمحال، لأن الفعل لا يكون بغير فاعل وزعم أن الأصل: حاشا لزيدٍ.

فكثّروا الكلام بها حتى أسقطوا اللام وخفضوا بها، وقال المبرد:

هي حرف جر كما قال سيبويه وتكون فعلاً ينصب مثل خلا وعدا، واستدل على ذلك بتصرف الفعل، وقولهم: حاشيت زيداً أحاشيه كقول النابغة:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهُهُ ولا أحاشي من الأقوام من أحدِ

ومما احتج به في قوله: حاشا لزيد، لو كان حاشا حرف جر لم يجز دخولها على اللام، قال أبو سعيد: أما احتجاجه بحاشيت فلقائل أن يقول: حاشيت إنما هو تصريف فعل من لفظ حاشا الذي هو حرف يستثني به، وليست بحاشيت يقع الاستثناء ولا بحاشا، ومنزلة حاشيت من حاشا كمنزلة هلّل وحوقل وبسمل وقد صرف الفعل بما ليس بفعل قال: ومما يقوي قول أبي العباس أن أبا عمرو الشيباني وغيره حكى أن العرب تخفض بها وتنصب، وقال الزجاج: حاشا لله في معنى برّآه الله، وهي مشتقة من قولك: كنتُ في حشا فلان أي في ناحيته، كما قال الشاعر:

بأيّ الحشا أمسى الخليطُ المباينُ

وإذا قال: حاشا لزيدٍ، فمعناه تنحّى زيد من هذا وتباعد عنه، وكما أنك إذ قلت: قد تنحّى من هذا فمعناه قد صار في ناحية منه، فكذلك تحاشا من هذا، أي صار في حشا منه، أي في ناحية، وعلى طريقة. الزجاج: قال بعض أصحابنا: حاشا في معنى المصدر، قال: ويقال: حاشا الله، وحاشا لله، كما يقال: لاه الله، ولاه لله، ويدخله النقص، فيقال: حشا الله، وحشا لله، كما يقال في النقص في غدوّ: غدُ، وفي مهلاً: مَهْ، ولا يقال ذلك في الحروف. وتستعمل حاشا لتبرئة الاسم الذي بعدها عند ذكر سوء في غيره أو فيه، وربما تبرئة الإنسان من سوء، ثمّ يبرّئون من أرادوا تبرئته، وتكون تبرئتهم لله تعالى ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾[1] ومذهب حاشا لله كمذهب معاذَ الله وسبحانَ الله، في

١- الآية ٥١ من سورة يوسف

الإنكار والتعجب، وإذا آستثنوا بحاشا فآستثناؤهم أيضاً بها على طريق التبرئة للاسم المستثنى بها من سوء أدخلوا فيه غيره. هذا آخر كلام أبي سعيد، سقته لأنه تمام المعنى في لفظ مختلف فيه.[1]

تعليق:

ضبط أبوحيان (بَلْهَ) بفتح الهاء وكسر الكلمة التي تليها على معنى أن (بَلْهَ) مصدر يضاف إلى ما يليه، وللنحاة كلام طويل في معاني (بله) والأحوال الإعرابية للكلمة التالية لها[2]، واختار ذلك أبو حيّان، وتأكيده علة معنى (غير) و (حاشا) وآستعمالهما، بأمثلة توضيحية كافية نقلاً عن شيخه السيرافي.

للتفصيل في أدوات الاستثناء ينظر:

- كاظم إبراهيم كاظم: الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، عالم الكتب / بيروت، ط١، سنة ١٩٩٨م.

(أل):

ألالف واللام يدخلان في الكلام على خمسة أوجه:

لتعريف الجنس نحو قولك: أهلكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ، ولم ترد درهماً بعينه ولا ديناراً، وإنما أردت الجنس، ومنه قوله: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) يعني الجنس، والدليل عليه قوله عزوجل: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) لأن الاستثناء وقع في الجميع.

ويدخلان للعهد نحو قولك: مررت بالرجل، وأخذت الكتاب، فتريد بهما ما سلف العهد به.

ويدخلان للخصوص نحو قولك: وجدت الشمس طالعة، والقمر قد غاب، والنجم قد ارتفع – بالالف واللام – قد دخلتا للخصوص لأنك تعرف واحداً منهما.

١- نفسه ٥/ ٢٠٠ – ٢٠١ - ٢٠٢

٢- ينظر أحد كتب الحروف مادة (بَلْهَ)، (غير)، (حاشا) على التوالي:
- المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، (طبعة الخرّاط).
- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني (طبعة فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل).
- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، (طبعة مازن المبارك ومحمد على حمد الله).

لأنك إذا قلت: قد طلع النجم عُلِم أنه الثريا وألزم الالف واللام للتخصيص.

ويدخلان للإشاعة والإفهام كقولك: الذي في الدار زيد، والتي قامت هند، ألا ترى أن هذا الاسم شائع في بابه غير مخصوص يدخل تحته كل ذكر وأنثى من الآدميين وغيرهم، وإنما يتبين معناه للاسم الذي يجيء بعده فيكون خبراً له وهو قولك: الذي في الدار، لوقلت: الذي في الدار لم يكن كلاماً، ولا دلّ هذا على شخص بعينه، فحين قلت (زيد) وقعت الفائدة في الجملة.

ويدخلان في الأسماء المنقولة من باب الأوصاف إلى باب الأسماء الأعلام، وهو قولك: العباس والحكم والحارث والفضل فالألف واللام في هذه الأسماء لم يدخلا لتعريفها وإنما دخلتا عليها حين أوصافاً كقولك: مررت بالرجل الحكم، وبالرجل العباس، فلما قصدوا أن يسمّوا بها نقلوها مع الألف واللام إلى باب: زيد وعمرو، ومن العرب من يقول: حارث وعباس وحكم، فكأنه نقلها إلى باب الأعلام على تنكيرها حين قيل: مررت برجل حكم، فأما الأسماء التي لزمت حذف الالف واللام فإنها كانت في الأصل مصادر وأجريت مجرى المصادر، فلما نقلوها إلى الأعلام لزموا فيها طريقة واحدة، كما لزموا في زيد وعمرو.[1]

تعليق:

ذكر أحد أصحاب كتب الحروف أن جملة معاني (أل) حرفاً وآسماً أحد عشر قسماً[2]، فآختار أبو حيّان منها خمسة أوجه لعلّها الأكثر شيوعاً ووروداً وآستعمالاً، لكي يلمّ بها المتعلم وينتفع بأمثلتها التي ساقها بياناً يفي بالغرض المطلوب.

أَمْ:

- قولهم إنها لأبل أم شاء، معناه بل شاء.[3]

تعليق:

من معاني (أم) التي ساقها النحاة أن تكون منقطعة[4] شرط ألا يتقدم عليها همزة

١- البصائر والذخائر ٤/ ١٣٤ – ١٣٥.
٢- ينظر: المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة / بيروت، ط ٢، سنة ١٩٨٣م، من صـ ١٩٢-٢٠٤.
٣- أخلاق الوزيرين صـ ٢٢٦.
٤- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (طبعة مازن المبارك ومحمد على حمد الله) ١/ ٦٥ – ٦٦.

التسوية، ولا همزة مغنية عن أي[1]، ومثلوا كلهم بعبارة: إنها لأبل أم شاء.

سوف والسين:

وأما سوف فحرف يدلّ على الأفعال فيقررها عما مضى وعما حضر إلى ما يكون بعد ويستقبل تقول: سوف يقوم هذا، وهي شقيقة السين في قولك: سيقوم هـذا، لـيس بينهما فضل.[2]

والسين لطلب الفعل في قولك آستشرته[3].

تعليق:

أختلف النحاة في أن هناك فرقاً بين (السين) و (سوف) أن مدة الاستقبال في السين أضيق منها في سوف[4]، ولعل عبارة أبي حيان (ليس بينهما فرق) أكثر توفيقاً.

(من):

قال شيخ من النحويين: من تكون زائدة، وتكـون تجنيساً، وتكـون ابتـداء غايـة، وتكون تبعيضاً.

فقول الله تعالى: (**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**)[5] وقوله تعالى: (**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ**)[6].

ابتداء غاية من حال تبعيض ومن برد تجنيس.

وقيل في قوله تعالى: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**)[7].

ولم يقل: يغضوا أبصارهم، لأنه لم يَحْظر عليهم غضّ الأبصار في ملك اليمين.[8]

١- ينظر شرح ابن عقيل ٢/ ٢١٢.
٢- البصائر والذخائر ٥/ ٨٥.
٣- نفسه ٧/ ٢٣٠.
٤- ينظر ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (طبعة مازن المبارك ومحمد على حمد الله) ١/ ١٨٤.
٥- الآية ١٨ من سورة المؤمنون.
٦- الآية ٤٣ من سورة النور.
٧- الآية ٣٠ من سورة النور.
٨- البصائر والذخائر ٦/ ١٩١.

تعليق:

أختار أبوحيان أربعة معاني لـ (مِنْ)، أما النحاة فمنهم من قال إنّ لـه أربعـة عـشر معنى.[1] وذكر آخر خمسة عشر معنى[2]، وهدفه واضح من هذا الاختيـار الـذي عـززه بأمثلة قرآنية مناسبة.

أنْ المخففة النون:

للأعشى:

وفتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أنْ هالك كلّ من يحفى وينتعلُ رفـعَ (هالـكُ) حـين خفّف النون، وكذلك: ولكنِ اللهُ، ولكنِ الشياطينُ، وإن الخفيفة تكون في معنى ما قـال الله تعالى: (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)[3] أي ما الكافرون، وإنْ وهي مكسورة لا تكون إلا وفي خبرها اللام، يقولون: إنْ زيدٌ لمنطلق، ولا يقولونه بغير لام مخافة أن تلتبس بالتي معناها ما، وقد زعموا أن بعضهم يقول: إنْ زيداً لمنطلق، يُعملها على المعنى، وهي مثـل قوله: (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)[4] وما زائدة بالتوكيد.[5]

- إنّ:

"سأل أعرابي ابنَ الزبير فحرمه، فقال الأعرابي: لعن الله ناقـةً حملـتني إليـك، فقـال عبد الله: إنّ وراكبها، أي أجل."[6]

- إنْ:

"وقال بعض العلماء (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[7].

إنْ بمعنى ما واللام في موضع إلاّ، كأنه قال: ما هذان الا ساحران."[8]

١- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني صـ ٣٠٨ – صـ٣٢١.
٢- ينظر ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ١/ ٤١٩.
٣- الآية ٢٠ من سورة الملك
٤- الآية ٤ من سورة الطارق
٥- البصائر والذخائر ٨/ ٨٧-٨٨
٦- نفسه ٦/ ١٢٦ – ١٢٧.
٧- الآية ٦٣ من سورة طه
٨- نفسه ٦/ ١٢٧.

- أنىّ:

وقولك أنىّ بمعنى كيف ومن أي شيء، قال الكميت:

أنـــىّ ومـــن أيـــن آبـــك الطـــربُ   مـــن حيـــث لا صـــبوة ولا ريـــب

وقوله تعالى: (أَنَّى لَكِ هَذَا)[1] أي من أين لك هذا، وقوله تعالى: (أَنَّـى يَكُـونُ لَـهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا)[2] أي كيف يكون.

وقال بعض العلماء في قوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[3] على معنى كيف شئتم في الحال والهيئة، وأنىّ شئتم على معنى في أي مكان شئتم في القبل والدبر.[4]

تعليق:

يضبط أبو حيان الحرف، وحين يرى أنه قد يلتبس على المتعلم يذكر نظائره التي قد تسبب ذلك اللبس بالأمثلة والشرح لئلا يقع في الخطأ، وهذا نهج سار عليه في جملة مباحثه النحوية للتعليم، والتنبيه عليه.

- اللام:

قال أبو سعيد السيرافي: إنّ هذا لِزيد إذا كان المشار إليه هو زيد، وكسروا اللام ليزول اللبس وأصلها الفتح لأن الباب في الحروف المفردة أن تُبنى على الفتح فإذا وصلتها بالمكني عادت إلى أصلها من الفتح وذلك قوله: إنّ هذا لَهُ، وإن هؤلاء لنا، لأنك تقول في المكني المرفوع: إنّ هذا لأنا، وإن هؤلاء لَنحنُ، وإنّ هذا لَهو.[5]

تعليق:

نصّ آخر يوضح أبوحيان هدفه منه في ضبط الحرف ودلالته، آتقاء اللبس، وكيف يضبط مع غيره.

١- الآية ٣٧ من سورة آل عمران
٢- الآية ٢٤٧ من سورة البقرة
٣- الآية ٢٢٣ من سورة البقرة
٤- نفسه ٦/ ١٢٧.
٥- البصائر والذخائر ٩/ ١٧٨.

حذف حرف الجر:

"قال الكسائي: رحت القوم، وأنت تريد: رحتُ إليهم، مثل قولك: ذهبتُ الشامَ."[1]

تعليق:

باب الحذف في العربية واسع فسيح، مطرّد وغير مطّرد[2]، قال آبن جنّي: "حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه."[3]

وحذف (إلى) هنا في هذا النصّ لسببين:

الأول: أن معناها آنتهاء الغاية في الزمان والمكان.[4]

الثاني: وضوح القصد والدلالة.

وقال ابن عقيل: "فاعلم أنه سُمِعَ نصب كلّ مكان مختصّ... مع ذهب نحو... ذهبتُ الشامَ، واختلف الناس في ذلك فقيل: هي منصوبة على الظرفية شذوذا، وقيل: منصوبة على إسقاط حرف الجر... وقيل منصوبة على التشبيه بالمفعول به."[5]

وتتجلى دقة أبي حيّان في نقله عن شيخ ثقة، وما قاله النحاة الآخرون في مثل هذه التراكيب التي يقول فيها للمتعلم اعرفْ ذلك.

الباء:

"وقال المأمون: لا تستعن في حاجتك مَنْ هو للمطلوب أنصح منه لك.

لا تطالبني بأن أقول: (لا تستعن في حاجتك بِمَنْ) فإن الباء تدخل مَنْ ههنا وتخرج والمعنى على صحته، ويدلك عليه قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)، ولا تقل به،

١- البصائر والذخائر، ٦/ ١٨٤.

٢- ينظر أحمد عبد الستار الجواري: نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ الأردن، طبعة جديدة، سنة ٢٠٠٦م، صـ ٧٨.

٣- الخصائص ٢/ ٥٤٤.

٤- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة / بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، صـ ٣٨٥.

٥- شرح ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٤م، ١/ ٥٣١-٥٣٢.

وينظر: شرح الأشموني، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، ط١، سنة ٢٠١٠ م، ١/ ٤١٥.

وقولك: اللهم إنّا نستعينك. وإنما محصت لك هذا لنقصٍ بان لي من كاتب كبير ذي رزق واسع وجاه عريض، قرأ عليه صاحب لي من رقعة هذه الكلمة بحذف الباء.[1]

تعليق:

يرى أبو حيان في (الباء) التي أسقطها المأمون من عبارته هي الأفصح، وهي التي وردت في القرآن الكريم على الرغم من إقراره أن دخولها وخروجها من السياق يبقي المعنى صحيحاً قال الزمخشري: إياك نعبد وإياك نستعين..... لا نعبد غيرك ولا نستعينه...[2]

ولا أرى غضاضة في دخولها وخروجها، لكن أبا حيان يتحرّى الأفصح.

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٦٢ - ١٦٣.

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان / الرياض، ط١، سنة ١٩٩٨م، ١/ ١٢٠.

المبحث الرابع: مسائل متفرقات

وقفت على مسائل أوردها أبوحيان في كتبه لا تندرج في المباحث الثلاثة: لا في الاسم، ولا في الفعل، ولا في الحرف، فآثرت منهجياً أن أضعها بهذا العنوان وعلى الوجه الآتي:

- معاني الكلام.
- الإعراب وما يتعلق به.
- توجيه أساليب وتراكيب.
- مصطلحات.

لأرسم صورة لأبي حيان النحوي تسوّغ هدف الكتاب كلّه، وتعزز ما ذهبنا إليه في عنوان الكتاب.

معاني الكلام

انتهى الدرس النحوي زمن التوحيدي إلي مزج النحو بالمنطق، على الرغم من محاولات ترى أن يعيد النحوي النظر في أساليب العربية وخصائصها، ويربط المعنى به، شرط أن يجمع بين الذوق، ومعرفة وطيدة بها[١]. فكان أبوحيان ممن ينطبق عليهم هذا الشرط أديب مرهف الحسّ، صحيح الذوق،[٢] فنشر ما وعاه من مسائل نحوية في مؤلفاته مختاراً منها ما صحّ لديه، فبثّه فيها ليقف عليها من يريد نحواً خالياً مما علق به من شوائب، مؤثراً ما آستعملته العرب، معوّلاً على سماعه من شيوخه الذين وثق بهم، وعلى قدرته الفذّة في نثره الفني، وطواعية الأساليب الراقية، منطلقاً من النصوص العالية الفصاحة: القرآن الكريم والشعر والعبارة الأدبية، فكان منطلقه الأول (معاني الكلام):

"وإعلمْ بعد هذا أن الكلام من الحكيم وإن اختلفت صفاته، بأن يكون مرة خبراً، ومرة آستخباراً، ومرةً وعيداً، ومرة وعداً، ومرة نهياً، ومرة أمراً، ومرة إباحةً، ومرة

١- ينظر ابراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، طـ٢، سنة ١٩٩٢م، صـ ٩٦.
٢- نفسه، صـ ٩٧.

حظراً، ثم لا يكون الحظر إباحةً ولا الأمر بالشيء نهياً عنه، ولا الخبر بالشيء استخباراً عنه، وهو مع هذا التفاوت الواقع فيه لا يخلو من أن يكون حقّاً وصدقاً.[1]

تعليق:

من منطلقات أبي حيان الرئيسة التي يعتمد عليها في أساليب العربية أنّ المعاني هي الهاجسة في النفوس المتصلة بالخواطر، والألفاظ ترجمة للمعاني، وكلّ ما صح معناه صحّ اللفظ به، وما بطل معناه بطل اللفظ به.[2]

وأن هذا التقسيم لوجوه الكلام مختلف فيه عند القدماء، فهو عند الأخفش (ت ٢١٥هـ) ستة خبر، واستخبار، وأمر ونهي، ونداء وتمن.[3] وعند ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة.[4] وعند ثعلب (ت ٢٩١ هـ) أربعة أيضاً: أمر ونهي وخبر واستخبار.[5]

أمّا عند أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في (باب معاني الكلام) فهي عشرة قال: "هي عند بعض أهل العلم عشرة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعَرْض، وتحضيض، وتمنٍ، وتعجب."[6]

أما ابن السيد البطليوسي فقد استوفى (معاني الكلام) عند سابقيه، على غير ترتيب، وسأعيد ما ذكره على الوجه الآتي[7]:

"زعم قوم أن الكلام كله قسمان: خبر وغير خبر...."

"... وقال قوم: هي ثلاثة: أمر واستخبار وخبر..."

"... وقال آخرون وهم الذين حكى قولهم ابن قتيبة أربعة: خبر واستخبار وطلب ونداء..."

"... وقال قوم هي خمسة: قول جازم وهو خبر وأمر وتضرع وطلب ونداء..."

١- البصائر والذخائر، ١/ ١٧٨ – ١٧٩.
٢- نفسه، ١/ ١٧٤.
٣- ابن السيد: الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، سنة ١٩٩٩م، ١/ ٤٤.
٤- أدب الكاتب، تحقيق محمد طعمة الحلبي، دار المعرفة / بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠١م، صـ١٧.
٥- قواعد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجة، طبعة مصطفى الحلبي، صـ ٣٧.
٦- الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء التراث العربي / القاهرة، د. ط، سنة ٢٠٠١م، صـ ٢٨٩.
٧- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، ١/ ٤٤.

"وزعم آخرون أنها ستة وأسقطوا (الشرط) لأنهم رأوه من قسم الخبر."

"وزعم قوم أنها سبعة وأسقطوا (الشك) لأنه من قسم الخبر."

"وزعم قوم أنها ثمانية وأسقطوا التشفع لأنهم رأوه داخلاً في المسألة كدخول الاستفهام."

"وزعم آخرون أنها تسعة وأسقطوا الاستفهام لأنهم رأوه داخلاً في المسألة."

"وزعم آخرون أنها عشرة: نداء ومسألة وأمر ونهي وتشفع وتعجب وقسم وشرط وشك واستفهام."

هذا الاختلاف الذي يترجح بين قسمين وعشرة، وقد علّق الاستاذ الدكتور عبد القادر حسين على هذه الأقسام فقال:

إنّ هذه الأقسام كانت معروفة لدى السابقين من النحاة، ولم تكن معروفة كشيء مفرّق تطوّع ابن فارس بجمعه... وإذا كان المتأخرون قد تأثروا بجمع هذه الأبواب في تناولهم لعلم المعاني... فسيبويه يحدثنا عن خروج الاستفهام إلى معاني... وخروج الخبر إلى... والفرّاء أيضاً يذكر مثل ذلك... هكذا بقية النحاة... مثل المبرد، وثعلب، وابن جنّي وغيرهم.(1)

وفضيلة أبي حيان في إيراده معاني الكلام لسببين:

الأول: ربط معاني الكلام بالأساليب، وجعلها هدف تأليف الكلام ونظمه، وخروجه عن الدلالة الأصلية لتأليف الكلام وأتاح لها هذه الدلالات المتعددة.(2)

الثاني: تعليمي، ينبّه المتعلم عليها ليعرفها، ويحذو حذوها.

اللفظ والمعنى:

يذهب أبوحيان إلى أن (اللفظ) و(المعنى) وجهان متساويان، وكرر هذا المفهوم كثيراً في مواضع عدة منها:

- "أقرب الطرق للإفهام أن تكون الغاية مثالاً للعقل، ثمّ يكون المعنى مسوقاً إليها،

١- أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب / القاهرة، د.ط، سنة ١٩٩٨م، صـ ٣٥٢-٣٥٣، وينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب / القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٩م، صـ ٢٤٤.

٢- ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، طبع جامعة أم القرى / مكة المكرمة، ط١، سنة ١٤٢٤هـ صـ ٥٣٨.

واللفظ منسوقاً عليها.[1]

وقال:

"الناس بين عاشقٍ للمعاني وتابع لها، فالألفاظ تواتيه عفواً، وكَلِفٍ بالألفاظ والمعاني تعصيه أبداً، فأما من جمع بين هذه وهذه، وكان قيّماً بمنثورها ومنظومها، عارفاً باختلاف مواقع تأليفها فإنه الحاوي قصب الرهان، والمعدود في أفاضل الزمان.[2]

وقال:

"إنّ حقيقة المعاني لا تثبت إلا بحقائق الألفاظ وإذا تحرّفت المعاني فذلك لتزيّف الألفاظ فالألفاظ متلاحمة متواشجة متناسجة، فما ثلم هذه فقد أجحف بهذه، وما نقص من هذه فقد فسد من هذه، وليس الشأن على أن يفهم من أعجمي طمطمته فإن ذك المفهوم لم يكن عن تمام اللفظ وصحة التأليف.[3]

وقال:

"المعاني ليست في جهة، والألفاظ في جهة، بل هي متمازجة متناسبة، والصحة عليها وقف، فمن ظنّ أن المعاني تخلص له مع سوء اللفظ، وقبح التأليف، والإخلال بالأعراب فقد دلّ على عجزه ونقصه.[4]

وينقل عن شيخه أبي سليمان قوله عن البلاغة:

"هي الصدق في المعاني مع ائتلاف الأسماء والأفعال والحروف، وإصابة اللغة وتحري الملاحة والمشاكلة، برفض الاستكراه ومجانبة التعسف.[5]

وقال:

"والذي ينبغي أنْ يهجر رأساً، ويرغب عنه جملة التكلف والإغلاق واستعمال

١- البصائر والذخائر ٢/ ٦٦.
٢- نفسه ٢/ ٦٨-٦٩.
٣- نفسه ٥/ ٩٠.
٤- نفسه ٦/ ٣٧.
٥- المقابسات (طبعة السندوبي) القاهرة، سنة ١٩٢٩م، صـ ٢٩٣.

الغريب والعويص وما يستهلك المعنى أو يفسده أو يحيله، ويجب أن يكون الغرض الأول في صحة المعنى، والغرض الثاني في تخيّر اللفظ، والغرض الثالث في تسهيل النظم وحلاوة التأليف واجتلاب الرونق، والاقتصاد في المواخاة، واستدامة الحال، يستمر الثاني على الأول، والثالث على الثاني، وأن تتوقى الفضاء الذي يعرض بين الفصل والوصل."[1]

تعليق:

شغلت قضية (اللفظ والمعنى) النقاد وأهل الأدب قديماً، فمنهم من يقدم المعنى على اللفظ، أو اللفظ على المعنى، أو يساوي بينهما[2].

وأبو حيان ممن يساوي بين (اللفظ والمعنى) في نصوصه التي وقفنا عليها، وربما فاتنا منها شيء، ووضوح موقفه في نصوصه ليس به حاجة إلى بيان، فهي تفصح بوضوح عن ذلك.

الإعراب وما يتعلق به

تعريف الإعراب:

"وسمعت أبا سعيد السيرافي يقول: والإعراب حركة تحلّ بآخر حرف من الاسم كالدال من زيد."[3] "والإعراب: الإفصاح، وهذا لم يفصح الكلام، ثمّ بحركاته وسكناته يقع البيان."[4]

تعليق:

هذا تحديد تعليمي يذكره أبوحيّان للمبتدئين من باب التنبيه، ومن أجل التفريق بين حركة بنية المفردة الصرفية وحركتها النحوية، ويراه أيضاً أن به الإفصاح يتمّ، وبالحركات والسكنات يكون البيان.

١- أخلاق الوزيرين (طبعة محمد بن تاويت الطبخي) صـ ١٣٤-١٣٥.
٢- ينظر إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر، من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة / بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٨م، تنظر الصفحات على التوالي: ٩٤، ٩٨، ١٠٨، ١٧٦، ٢٣٥، ٦٠٤، ٦٢٧.
٣- البصائر والذخائر ١/ ١٧٤.
٤- نفسه ٩/ ٦٤.

أهمية الإعراب:

"ألا يعلم أن الكلام كالجسم، والنحو كالحلية، وأن حاجته إلى حركة الكلمة بأخذه وجوه الإعراب حتّى يتميز الخطأ من الصواب... أو تراه يقف على تحصيل المعنى المدفون في هذا اللفظ إلا بتمييز وجوه حركات اللفظ؟..."[1].

وأضاف:

"... كذلك من يعرف الفرق الواقع بين الإعراب الذي هو حركة آخر الكلمة في قوله: أنتِ طالق إنْ دخلت الدار، وأنتِ طالقٌ أنْ دخلت الدار. وفي قوله: (**فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**)[2] وأنّا نعلم فرق، متى يقض عليه زلّ إلى الكفر."[3]

تعليق:

إنّ كلام أبي حيّان ينصبّ على الذين لا يعتدون بالمعاني المترشحة من اختلاف حركات الإعراب، وهذه شكوى دائمة من ذلك قديماً، وحديثاً، "إذنْ وجب أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوالّ على معاني."[4]

ولعلّ ما ساقه أستاذنا فاضل السامرائي – مدّ الله عمره – فضرب هذه الأمثلة:

أكرمَ الناسُ أحمدَ

أكرمَ الناسَ أحمدُ.

أكرمُ الناسِ أحمدُ.

أكرمِ الناسَ أحمدُ.

وقدّم لهذه الأمثلة قوله: "إذا كانت غُفلاً آحتملت معاني عدة فإن شُكلّت نصّت. على معنى واحد."[5] وسبقه أبوحيّان حين نقل عن أبي الأسود: "وقالت بنت لأبي

١- نفسه ١/ ١٨٠.

٢- الآية ٧٦ من سورة يس.

٣- نفسه ١/ ١٨٠.

٤- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٢م، صـ ٤٩.

٥- معاني النحو، دار الفكر/ عمّان، ط٢، سنة ٢٠٠٢م، ١/ ٢٤.

الأسود لأبيها: ما أطيبُ الرطبِ؟ فقال: جنسُ كـذا، أرادت التعجـب، وذهـب هـو إلى الاستفهام.[1] ونقل غير هذا ما يتعلق بحركة تقود إلى معنى خطأ.[2]

وأبوحيان من الذين يرون في وظيفة النحو أفقاً أوسع مما رآه بعض النحاة الـذين لم يتعد نظرهم خارج علامات الإعراب أي تغيرّ أواخر الكلم لأن النحـو، عنـدهم علـم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً[3]، فضاقت دائـرة البحـث النحـوي، وقـراءة تعليق أبي حيّان توضح ما وراء هذه الحركات من معنى، والتنبيـه علـى مهمـة البحـث وراءها وبيان دلالتها، حذر الوقوع في ما لا تحمد عقباه، فإنّ الإعراب هـو الفـارق بـين المعاني.[4]

وهذا موقف جمهرة النحاة إلا قطرباً (محمد بن المستنير ت ٢٠٦ هـ) من القدماء[5]، وإبراهيم أنيس من المعاصرين اللذين لا يريان للحركة الإعرابية أي مدلول[6].

توجيه حركات:

- كذلك من يعرف الفرق الواقع في الإعراب الذي هو حركـة آخـر الكلمـة في قولـه: أنت طالق إنْ دخلت الدار، وأنت طالق أنْ دخلت الدار، وفي قوله: (فَلَـا يَحْزُنْـكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)[7] وأناّ نعلم فرق متى لم يقـف عليـه زلّ إلى الكفر، وكذلك في قوله: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)[8] فرق يتوسط بين الصواب والخطأ، صوابه إيمان وخطأه كفر. وبسبب هذا الحرف وضع النحو.[9]

تعليق:

منطلق أبي حيان في الإعراب أنه من أدلة المعنى.

١- البصائر والذخائر ٦/ ٦٧.
٢- نفسه ٦/ ٦٦-٦٧.
٣- ينظر الصبّان: حاشية الصبّان، دار إحياء الكتب العربية / عيسي البابي الحلبي/ القاهرة، ١/ ١٦.
٤- ينظر أحمد بن فارس: الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية / القاهرة، سـنة ١٩٧٧م، صـ ٧٦.
٥- ينظر الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس / بيروت، ط٥، سنة ١٩٨٦م، صـ ٧٠.
٦- ينظر من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة، ط٨، سنة، صـ ١٦٩.
٧- الآية ٧٦ من سورة يس.
٨- الآية ٣ من سورة التوبة.
٩- البصائر والذخائر ١/ ١٨٠، وينظر ابو البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيـق محمـد ابـو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٣م، صـ ٧٠-٧.

▪ شيّعَ الحسنُ بن سهل المأمونَ، فقال له: حاجتَك أبا محمد؟ نصَب، يريد هات حاجتَك، أو آذكر حاجتَك.(١)

تعليق:

دليل الحذف هنا مقتضى الحال والحذف جائز.

– قال آبن سلاّم: قلت ليونس: كيف تنشدُ:

مـا تـنقمُ الحـربُ العـوانُ مـنيّ   بـازلُ عـامين حـديثُ سـنّي

لمثـل هـذا ولـدتني أمـيَ

قال: على الثلاثة أوجه: بالرفع على الاستئناف، وبالجرّ على من، وبالنصب على الحال.(٢)

تعليق:

توجيه الحركات على وفق المعاني.

▪ سمعت نحويا يقول: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا)(٣) لا يجوز جزم (نسألُك) وكذلك قوله تعالى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ)(٤) فلو جزم بطل المعنى، وذلك أن الجزم يدل على أنّ من أمر أهله بالصلاة لا يسأله رزقاً والله تعالى يسأله رزقاً قبل ذلك وبعده، وكذلك في القتال.(٥)

تعليق:

يوضح أبوحيان في هذا النص ما يجوز وما لا يجوز على وفق المعنى المتحصل.

▪ سمع ابن السكيت عن المتوكل جارية تغنّي:

أسُـليم إنّ مـصابكم رجـلاً   أهـدى الـسلامُ تحيـةً ظلـمُ

فلتحققه بالإعراب شغل عن تأمل عجز البيت وحكم على صدره فقال: هذا

١- نفسه ٢/ ٥٢.
٢- نفسه ٢/ ١٨٢.
٣- الآية ١٣ من سورة طه.
٤- الآية ٨٤ من سورة النساء.
٥- البصائر والذخائر ٣/ ١٠٦.

خطأ، والصواب أن تقولي: رجلٌ، وزعم أنه خبر إنّ، فلم تلتفت الجارية إليه وأقامت على قولها وما علّمها أستاذها، ونصرها غيره من الندماء وحاكموها إلى أبي عثمان المازني فأمر المتوكل بإشخاصه من البصرة على البريد فأُحضِر وذُكِر له البيت، فأعلمهم أن الصواب مع الجارية وأن خبر إن في (ظلم) والتقدير: إن إصابتكم رجلاً أهدى السلام ظلْم والرجل منصوب بالمصدر وهو من صلته.(١)

تعليق:

هذه حكاية تداولتها كتب السير والتراجم لبيان عناية القدماء في التثبت من الحركة والمعنى.

- وسألت السيرافي عن قوله (قائماً بالقسط) بم انتصب قائماً؟

قال: بالحال. قلت أين الحال؟ قال: لله تعالى. قلت أيقال لله حال؟ قال: إن الحال هي للفظ، لا لمن يلفظ بالحال عنه.(٢)

تعليق:

يقف ملياً أبو حيان على دلالة (الحال) ومفهومه عند النحاة ولا يرتضيه هنا.

- قال الأصمعي: سمعتُ مولى آل عمر بن الخطاب يقول: أخذ عبد الملك رجلاً كان يرى رأي الخوارج فقال: ألست القائل:

ومنّا سويدُ والبطينُ وقعنبُ ... ومنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال الرجل:

إنما قلتُ (ومنّا أميرَ المؤمنين شبيبُ) بالنصب – أي يا أميرَ المؤمنين، فخلى سبيله. قال ابن قتيبة: أما ترى تيقظه ونقله الكلام بالإعراب عن سبيل هلكته إلى سبيل نجاته؟ وهل يجوز لذي تمييز ولبّ أن يقول إن هذا لا يعرف المعنى الذي فرّق بين الإعرابين؟(٣)

- وبلغني أن أعرابياً سمع مؤذناً يقول: أشهد أنّ محمداً رسولَ الله – بالنصب – فقال: ويحك! يفعل ماذا؟ لأنه إذا رفع كان خبراً، وإذا نصب كان وصفاً فاحتاج الكلام

١- نفسه ٣/ ١١١-١١٢.
٢- نفسه ٣/ ١٤٩.
٣- نفسه ٦/ ٦٦.

إلى خبر. قال: ومثل هذا في الكلام الذي يتمّ وينقص بالإعراب قولك: كان عبد الله أخانا، هذا كلام تام، فإن رفعتَ الأخ نقص الكلام فاحتاج إلى الخبر.(١)

تعليق:

كيف يتغير المعنى بتغير الحركة الإعرابية.

- وأمّ الحجّاج قوماً فقرأ (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) فقال في آخرها (أن ربهم) – بالنصب – ثمّ تنبّه على اللام في (لخبير) وأنّ (إنّ) قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذف اللام، فقال: خبير. فكان نقص الكلام أسهل عليه من اللحن.(٢)
- قال رجل لأعرابي: كيفَ أهِلك؟ فقال الأعرابي: صلباً. ظنّ أنه سأل عن هلكته كيف تكون، وإنما سأله عن أهله. قال: وهذا وأشباهه يدلّك على معرفة العرب بالمعاني التي اختلف لها الإعراب، وتلك المعاني هي العلل.(٣)

تعليق:

الإحساس بالأسلوب في النص الأول، والحركة التي تقلب المعنى في الثاني.

- قال بعض النحويين في قوله تعالى: (حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(٤) إذا توجهت كان الله كافيك ومن اتبعك فمن منصوب بكافيك، وإذا توهمت ان الله يكفيك ويكفيك مَنْ اتبعك فمن مرفوع بالفعل.(٥)

تعليق:

الإعراب والدلالة.

- قال أبو العيناء: ما رأيت مثل الأصمعي قط، أنشد بيتاً من الشعر فآختلس الإعراب، وقال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كلام العرب الدرج، قال: وحدثني عبد الله بن سوار أنّ أباه قال: إن العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً، قال الأصمعي: وحدثني عيسى بن عمر أن ابن أبي إسحق قال: العرب ترفرف على

١- نفسه ٦/ ٦٦.
٢- نفسه ٦/ ٦٧.
٣- نفسه ٦/ ٦٧.
٤- الآية ٦٤ من سورة الأنفال.
٥- البصائر والذخائر ٦/ ١٢٩.

الإعراب، ولا تتفيهق به، قال: وسمعت يونس يقول: العرب تشامّ الإعراب ولا تحققه، قال: وسمعت الحسحاس بن حباب يقول: العرب تقع بالإعراب وكأنها لم تُرِدْ، قال: وسمعت أبا الخطاب يقول: إعراب العرب الخطف والحذف، قال: فتعجب الناس منه.[1]

تعليق:

ينقل أبو حيان مذاهب العرب في الحركات.

- "قال ثعلب: الكلام مبني على الحركة والسكون، فالحركة يبتدأ بها، وبالسكون يوقف، ولو كان متحركاً كلّه لقلق اللسان وطاش، ولو كان ساكناً ما كان كلاماً، وباجتماع الحركة والسكون يكون كلام.[2]
- "وقال يعني ثعلباً – في قول الله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) قال: إذا قال (الكذبَ) ردّه على الألسنة. والكذب مفعول به، قال: وقرئ (الكذبُ)[3] ردّه على ما قال.[4]

تعليق:

يضيف ابو حيان إلينا معلومة هي معرفته بالقراءات القرآنية وما تبعها من دلالة نحوية.

- "ما معنى قوله تعالى: (لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ)[5] وقد علمنا أن إلهين لا يكونان إلا آثنين؟ ولا قناعة لن بقول من قال: هذا توكيد، فإن المطالبة فوق التوكيد. وأضعف المتكلمين في القرآن مَنْ زعم أن شيئاً منه زائد، وأن كذا وكذا لغو، وأن هذا على وجه التوكيد، ونحن نعلم أن التوكيد مذهب العرب، وكذلك الزيادة والحذف والإضمار، فالحكمة المطلوبة غير ذلك.[6]

١- نفسه ٦/ ١٤٧-١٤٨.
٢- نفسه ٦/ ١٨٣.
٣- قرأ بها: معاذ، وابن أبي عبلة، ومسلمة بن محارب، ينظر: معجم القراءات القرآنية: أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، ٣/ ٣٧.
٤- البصائر والذخائر ٨/ ٧٣.
٥- من الآية (٥١) من سورة النحل
٦- أخلاق الوزيرين (طبعة محمد بن تاويت الطنجي)، صـ ٢٦٩.

تعليق:

في هذا النصّ يسوق أبوحيان أمثلة لمذاهب العرب في: التوكيد – الزيادة – الحذف – الإضمار، وأن وراءها مطلباً آخر ينبغي لك أن تبحث عنه.

فذكر لفظ (اثنين) بعد مثنى وهو يُغني عنه، التصريح بما تضمنه المثنى من دلالة لئلا يجوز أن يقول القائل (إلهين عاجزين أو....) فمعنى (اثنين) شامل لكل الصفات أو د يذهب الاحتمال (إلهين أو ثلاثة أو أربعة...) لأن إلا له الحق لا يتعدد، وأنّ كل من يتعدد فليس بآله، فآقتصر على ذكر الآثنين، لأنه قصد نفي التعديد[1]. وهذا ما يبحث عنه أبو حيان بعبارته (فالحكمة المطلوبة غير ذلك) فهو يبحث عماّ وراء الإعراب.

توجيه أساليب

- معاً- جميعاً:

قال ثعلب: قال رجل لابن قادم: أها هنا فرق بين:

قام زيد وعمرو جميعاً.

وقام زيد وعمرو معاً.

فضجّ، فقلت: لِمَ تضجّ، (معاً) يقع القيام في حالة و(جميعاً) معاً في وقتين.[2]

تعليق:

قال الخليل: وأما (مع) فهو حرف يضمّ الشيء إلي الشيء تقول: هذا مع ذاك.[3]

وذهب النحاة إلي أن (مع) ظرف لازم للظرفية... وتقع خبراً وصلةً وصفةً وحالاً. وإذا أفردت عن الإضافة نوّنت نحو: قام زيد وعمرو معاً. والأكثر حينئذ أن تكون حالاً.[4]

ومن هذا كله يتضح الفرق بين (مع) و (جميع) في التركيبين.

١- ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي / بيروت، ط٥، سنة ٢٠٠٣م، ١٠/ ١٠١.

٢- البصائر والذخائر ٨/ ٨٢-٨٣.

٣- كتاب العين (طبعة المخزومي والسامرائي) باب العين والميم.

٤- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني (طبعة فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل)، صـ ٣٠٦-٣٠٧.

توجيه أفعل التفضيل:

قال السيرافي: لو قلتَ: زيد أفضل أخوته لم يَجُز، فإذا قلت: زيد أفضل الأخوة جاز، والفصل بينهما أن أخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج عن جملتهم، والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل وقال: من أخوة زيد؟ لم يجز أن تقول: زيد وبكر وعمرو وخالد، وإنما تقول: عمرو وبكر وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان خارجاً عن أخوته كان غيرهم فلم يجز أن تقول:أفضل أخوته، كما لم يجز أن يقال: حمارك أفره البغال، لأن الحمار غير البغال، كما أن زيداً غير أخوته، وإذا قلت: زيد خير الأخوة جاز لأنه أحد الأخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الأخوة، ألا ترى لو أنه قيل لك: مَنْ الأخوة؟ عددته فيهم فقلت: زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارك أفره الحمير، لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير، فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدلّ على الجنس فتقول: زيد أفضل رجل، وحمارك أفره حمار، فيدلّ رجل على الجنس كما دلّ حمار على الجنس.(١)

تعليق:

تتجلى دقة أبي حيان في نقل النصّ واختياره هذا الاستعمال ليعرفه المتعلم ولا يخطئ في استعماله.

- تركيب ملغز:

وجرت في مجلسه (أي السيرافي) مسألة وهي: هل يصحّ أن يقال: هذا هذا هذا هذا هذا هذا، فقال: تجعل الأول مبتدأ والثاني توكيداً والثالث فعلاً من قولك: هاذى يهاذي من المهاذاة والرابع توكيداً للفعل، والخامس مفعولاً به والسادس توكيداً للمفعول به.(٢)

تعليق:

ولا يفوّت أبوحيان هذه الجملة الملغزة ويوجهها بوضوح.

١- البصائر والذخائر ٥/٢٠٨-٢٠٩.
٢- نفسه ٦/١٩٨.

أسلوب (ما):

قال بعض النحويين: بين قولك:

ما زيد كعمرو ولا شبيهاً به.

وبين قولك: ما زيد كعمرو ولا شبيهٍ به. فَرقٌ، أن القول الأول في النصب نفي لزيد عن مشابهته، وفي الجرّ نفي عن كونه شبيهاً به، وهذا فيه تحكمٌ، وكثير من أصحابنا لا يطمئنون إلى هذا الفرق.[1]

تعليق:

توجيه المعنى على وفق الحركة الاعرابية وموقفه من ذلك.

دلالة تركيب:

قال بعض النحويين: معنى قولك: أنت أنت لولا أن أباك أبوك هو: أنت الكامل لولا أبوك، كأنه إشارة إلى فضله التام إلا من جهة الوضع من أبيه.[2]

تعليق:

كعادة أبي حيان في بيان دلالة التركيب.

- ها + الضمير + ذا:

فأما قوله: ها أنا ذا، وها نحن أولاء، وها هو ذاك، وها أنت ذا، وها أنتم أولاء، وها أنتن أولاء، فها للتنبيه، والأسماء بعدها مبتدآت، والخبر أسماء الإشارة ذا وذلك وإن شئت جعلت الضمير المقدم هو الخبر والإشارة هي الاسم.

وأما (ها) فيجوز أن يكون مع (ذا) وفصل بينهما (أنت) والمراد أن يكون مع (ذا) والتقدير: أنا هذا، ويجوز أن يكون التنبيه للضمير لأنهما يشتركان في الإبهام، فأما من قدّر (ها) مع (ذا) وفصل بينهما فإنه يحتج بقول زهير:

تعلماها لعمر الله ذا قسماً ... فاقصدْ بذرعك وانظرْ كيف تنسلك

١- نفسه ٩/ ٦٨.

٢- نفسه ٩/ ٦٨.

وإنما هو: تعلما هذا لعمر الله قسماً. ويحتج أيضاً بقوله: فقلت لهم هذا لها هـا وذا ليا

والتقدير: هذا لها وهذا لي، وإنما يقول القائل: هـا أنـاذا، إذا طُلِبَ رجـل لم يُـدْرَ أحاضر أم غائب، يقال: ها أنا ذا، أي الحاضر أنا، وإنما يقع جواباً، تمّ كلام السيرافي.[1]

تعليق:

دقة أبي حيان في تعليم المتلقى هذا الأسلوب.

- وتكلّم يوماً الخطيب في قول الرجل: لا مالَ له قليلٌ ولا كثيرٌ، ولا مالَ له قلـيلاً ولا كثيراً، فلم يفهم عنه.[2]
- وقيل له: لِمَ جاز: إنّ زيـداً منطلـقٌ وعمـرو، ولم يجـز ليـت زيـداً منطلـق وعمـرو، والحرفان متضارعان في إيجاب النصب.[3]

تعليق:

ليس بالنصين حاجة إلى تعليق، وينظر تعليق النحاة على النص الأخـير في: شـرح ابن عقيل ١/ ٣٤٤ -٣٦٢.

مصطلحات:

آستعمل أبو حيّان مصطلحات النحاة: بصريّهم، وكوفيّهم، وذكرنـا جملـة منهـا في مباحث الاسم وما يتعلق به، والفعل وما يتعلق به، والحرف وما يتعلق بـه، والإعـراب وألقابه، والسماع والقياس، وآثرنا أن نذكر هنا تتمة لتلك أمثلة مما أستعمله في مواضـع أخرى ومن ذلك:

- **الكناية:**

مصطلح متعدد الدلالة: نحوية، وبلاغية.

قال الفرّاء: سبعة لا يكنون، يقال: كنيت الرجل وكنوته، وكنيتّه، وكـأن الكنايـة في

١- نفسه ٩/ ١٧٩-١٨٠.
٢- أخلاق الوزيرين صـ ٢٦٤.
٣- نفسه صـ ٢٦٤.

الكلام إرادة معنى بغير الاسم الموضوع له، واللفظ المقصور عليه، وكأنها أخت التعريض.[1]

وورد عنده:

- "يا أبا حيّان من كنّاك."[2]
- "وكانت الكناية عند فشوها تصير إلى حدّ الاسم الأول فينتقلون إلى كناية أخرى."[3]

تعليق:

الكناية مصطلح مشترك بين النحو والبلاغة، فالكناية عند النحاة الضمير، وعند أهل البلاغة: أن يعبّر عن شيئ لفظاً كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض.[4]

وذكر الجاحظ الكناية والتعريض[5] بالمعنى الذي أشار إليه الفرّاء، ومنح المبرد الكناية ثلاث دلالات: التعمية والتغطية، والرغبة عن اللفظ الخسيس، والتضخيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكنية[6] وهي "ما صُدّر بأبٍ أو أمٍ أو آبن أو بنت."[7] فآستعملها أبو حيان بهذه المعاني.

- ألقاب الإعراب:

"فأما الرفع والنصب والخفض والهمز والإدغام والإمالة، وأشباه ذلك فألقاب وضعها النحويون للمتعلمين من العجم والمنطقين ليقربوا بها عليهم البعيد، ويجمعوا الشتيت، فإذا قال المعلم للمتعلم: حركة كذا رفع، وكل فاعل رفع، وحركة كذا نصب، وكل مفعول به نصب، وحركة كذا جرّ، وكل مضاف مجرور، وكذا ظرف، والظرف

١- البصائر والذخائر ٢/ ٥٩.
٢- أخلاق الوزيرين (طبعة محمد بن تاويت الطنجي) صـ ٣٠٧.
٣- نفسه صـ ٣٨٧.
٤- الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس / بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٣م، صـ ٢٦٧.
٥- ينظر البيان والتبيين (طبعة عبد السلام هارون) ١/ ١١٧.
٦- ينظر: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية / صيدا - بيروت، طبعة جديدة، سنة ٢٠٠٦م، ٢/ ٥٠٠-٥٠١، وينظر أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات / بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٦م، ٣/ ١٥٥-١٥٦.
٧- الشريف الجرجاني: التعريفات صـ ٢٦٧.

منصوب، وكذا حال، والحال منصوب، كفاه بهذه الجمل على كثرته، واعتبار بعضه ببعض، وأما العرب فإنها لا تعرف مواضع هذه الألقاب.[١]

- الهمز والجرّ:

"وقيل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء."[٢]

"وقيل لآخر: أتجرّ فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي."[٣]

- "وقيل لآخر: أتهمز الفأرة؟ قال: الهرة تهمزها.

فكلاهما عرّف موضع الهمز إلا أنه لم يعلم الموضع الذي وضعه النحويون."[٤]

الأصل والفرع:

- "وكان غيره (أي غير أبي سعيد السيرافي) يقول: الأسماء أصول والأفعال فروع عنها."[٥]
- "وسمعته يقول: المذكر أصل والمؤنث فرع."[٦]
- "والأصل: ما لم ينظر إلى ما قبله لأنهّ بنفسه قبل غيره، والفرع ما آنشعب عن الأول."[٧]

تعليق:

إن ثنائية (الأصل والفرع) كانت الأكثر تجريداً في نظرية النحو العربي، وقد استطاع الفكر النحوي من خلالها – في دقة متناهية – حصر ظواهر اللغة[٨]، ويرى أحد الباحثين أن أصل فكرة الأصل والفرع في النحو عقيدة التوحيد في الدين الإسلامي...[٩] فكان

١- البصائر والذخائر ٦/ ٦٧.
٢- نفسه ٦/ ٦٧.
٣- نفسه ٦/ ٦٨.
٤- نفسه ٦/ ٦٨.
٥- البصائر والذخائر ١/ ١٧٥.
٦- نفسه ١/ ١٧٥.
٧- أخلاق الوزيرين صـ ٢٢٦.
٨- ينظر محمد عبد الفتاح الخطيب: ضوابط الفكر النحوي – دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النحاة آراءهم – دار البصائر / القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩٧.
٩- حسن خميس الملخ: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق / عمّان، ط١، سنة ٢٠٠١م، صـ ١٣١.

علم أصول النحو صورة رائعة لتفاعل العلوم الإسلامية، ولاسيما علم الفقه مع العلوم اللغوية.[1]

ومن هذا المنطلق نلمس تأثر النحو بالفقه، وأصوله بأصوله، يقول أبو البقاء العكبري" وأما الفرع والأصل فهما في هذه الصناعة غيرهما في صناعة الأقيسة الفقهية.[2]

ولعلّ هذا دفع أحد الباحثين فقال: "من أجل ذلك فإن فكرة الأصالة والفرعية بمفهوم النحاة تحتاج إلى إعادة نظر."[3] مدللاً على ذلك بقوله: "فالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة أصلية التعريف لدلالتها عليه منذ بادئ الأمر، دون تغيّر معناها الي التنكير، ومن غير المنطقي أن نحكم عليها بفرعية التعريف."[4] وهذا في معرض بيان التنكير أصل والتعريف أصل.

ومثل هذا يقال في سائر ما عدّ أصلاً أو عدّ فرعاً بلحاظ أن اللفظ دالّ على معناه منذ وضعه في اللغة، فضلاً عن أن ليس لنا معجم تاريخي يوثق ذلك، فنستدل به للتمييز بين أصل وفرع، فكان أن تأثر أبوحيان بما تقرر في الدرس النحوي فنقل ما تحصّل له من شيوخه.

الفصل والوصل:

"قلت لأبي عبيد النصراني بغداد، وكان سهل البلاغة، حلو اللفظ، حسن الاقتضاب، غريب الإشارة، مليح الفصل والوصل..."[5].

"وأن تتوقى الفضاء الذي يعرض بين الفصل والوصل. قلت: ما معنى الفضاء؟ قال: عدم الرباط بين المتقدم والمتأخر..."[6].

١- نفسه صـ ٥٧.
٢- التبيين عن مذاهب النحويين، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان / الرياض، ط١، سنة ٢٠٠٠م، صـ ١٤٤.
٣- إبراهيم بن صالح الحندود: درجات التعريف والتنكير في العربية، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد ٣١، رمضان، سنة ١٤٢٥هـ، صـ ٤٠٧.
٤- نفسه صـ ٤٠٨.
٥- أخلاق الوزيرين، صـ ١٣٣.
٦- نفسه، صـ ١٣٥.

تعليق:

هذان المصطلحات (الفصل والوصل) من المصطلحات المشتركة في: الخط العربي، والقراءات، والنحو، والبلاغة[1].

ففي الخط يتمثلان في همزة الوصل، والقطع، وعلامات الترقيم[2]، وفي القراءات كانا يسميان بـ (الوقف والابتداء) و (الوقف والاستئناف) و (القطع والوصل)[3].

وفي النحو الفصل "ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه"[4] والوصل "عطف بعض الجمل على البعض."[5] ويتجليان في العطف والتوكيد وعطف البيان والحال وضمائر الفصل وضمائر الوصل وأنواع الجمل وأدوات الربط ومعاني الحروف.

وفي البلاغة الفصل والوصل يستند مفهومهما عند عبد القاهر الجرجاني على (العطف وترك العطف) أي العطف النحوي[6].

ويريد بهما أبو حيان ما أريد بهما في النحو والبلاغة.

الصفة والنعت:

استعمل أبو حيّان هذين المصطلحين فقال:

"وهو يجري كالصفة الحالّة، والنعت المصحوب."[7]

تعليق:

من النحاة من يرى (الصفة) و(النعت) شيئاً واحداً[8]، ومنهم من يفرّق بينهما

١- ينظر: منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم – دراسة في الأسلوب، منشأة المعارف / الأسكندرية، ط٢، سنة ١٩٩٧م، صـ١٣.
٢- ينظر ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق محمد طعمة الحلبي، دار المعرفة/ بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠١م، صـ ١٥٣-١٥٩.
٣- ينظر بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر / بيروت، ط١، سنة ١٩٨٨م، ١/ ٤١٥.
٤- الشريف الجرجاني: التعريفات، صـ ٢٤٥.
٥- نفسه، صـ ٣٤٧.
٦- ينظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة – جدّة، ط٣، سنة ١٩٩٢م، فصل القول في الفصل والوصل، صـ ٢٢٢.
٧- البصائر والذخائر ٢/ ٤٢.
٨- ينظر عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات / الرياض، ط١، سنة ١٩٨١م، صـ ١٦٦.

فالنعت يكون بالحلية نحو طويل وقصير، والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج.[1] وأذهب هنا مع أبي حيّان في الاستعمال.

النعت والاسم:

وقيل في قوله: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[2]، أي يبقى ربُّك، ويدلك على أنّ الوجه هو نفسه رفعُ (ذو) لأنه نعت الوجه، وقال في السورة – أي سورة الرحمن– (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ)[3] لأنّ الاسم غيره.[4]

تعليق:

يتخذ أبو حيان من الإعراب – النعت – دليلاً على المعنى المراد: (ويبقى وجه ربك) أي يبقى ربّك، ويفرق بينه وبين الاسم.

وبهذه المصطلحات التي لا ندّعي أننا آستوفينا الكلام عليها، وإنما حسبنا أن نعزز ما أردناه من أن أبا حيان – وهو غير نحوي – كان نحوياً بجدارة وآمتياز.

١- ابن يعيش: شرح المفصل، مكتبة المتنبي / القاهرة، د.ت، ٣/ ٤٧.
٢- الآية ٢٧ من سورة الرحمن
٣- الآية ٧٨ من سورة الرحمن
٤- البصائر والذخائر ٨/ ١٥٨.

المبحث الخامس: المناظرة
بين أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس القنائي

ربّ سائل يقول: لِمَ أفردتَ لهذه المناظرة مبحثاً مستقلاً؟

فأقول: أفردتُها لثلاثة أسباب:

الأول: إنّ المناظرة "هذا المصطلح الأخّاذ الذي عرفه العرب على أعلى ما يمكن أن يكون فكراً وأدباً ولغةً، وسماحةً في الخُلُق، وسجاحةً في النفس... أشك في أن يكون شيء من هذا في الحضارات الأخرى، ومن هنا فهو مجد للعرب."[1]

وأنّ المناظرة خدمت اللغة، وأنّ مجالسها كانت رحابا لبحث علومها في مرحلة وضع الأصول، ثمّ ساهمت في تطوّرها، واتضاح علومها.[2]

الثاني: بيان علاقة (النحو) بـ(المنطق)، وهل بينهما مناسبة؟ فقد ساد عند أهل المنطق "أنّ عمل النحو ينحصر في وضع الحركات، أو حذفها."[3] وأنّ "جلّ نظر النحوي في الألفاظ."[4] وأن "لا حاجة بالمنطقي إليه (يعني النحو)، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق."[5]

أو "أنّ علم النحو إنما يعطي قوانين تخصّ ألفاظ أمة ما، وعلم المنطق يعطي قوانين مشتركة تعمّ ألفاظ الأمم كلّها."[6] وإن معنى هذا الإدعاء أنّ عالم

١- من مقدمة علي جواد الطاهر لرسالة الدكتوراه التي أعدّها رحيم جبر الحسناوي بعنوان: المناظرات اللغوية والادبية التي قدمها في قسم اللغة العربية - كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة، سنة ١٩٩٥م، والتي نشرتها دار أسامة / عمان، ط١، سنة ١٩٩٩م.

٢- رحيم جبر الحسناوي: المناظرات اللغوية والأدبية، صـ ٢٦٢

٣- نقلاً عن: كيس فيرستيج: أعلام الفكر اللغوي - التقليد اللغوي العربي، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة / بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٧م، ٣/ ٩٩.

٤- أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تحقيق علي شلق، دار المدى / بيروت، سنة ١٩٨٣م، المقابسة الثانية، صـ ٥٥

٥- نفسه المقابسة الثامنة، صـ ٨٨.

٦- أبونصر الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق أنجل جوانزبلانثيا، مدريد - غرناطة، سنة ١٩٥٣م، قسم ٥/ صـ ٢٣

المنطق أكثر تأهيلاً من النحوي في الحكم على صحة المعاني.[1] وكيف تصدى السيرافي لهذا كلّه؟

الثالث: المسائل النحوية التي تضمنتها هذه المناظرة، وكيف استثمرها السيرافي في تفنيد مزاعم أهل المنطق؟

وأعرض هنا نصّ المناظرة على ما وردت في كتاب (الإمتاع والمؤانسة – بتحقيق محمد الفاضلي، نشر دار الجيل / بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٣م، الجزء الأول – الليلة الثامنة من صـ ٧٧ – ٩١).

الليلة الثامنة – الجزء الأول

ثم إنّي أيّها الشيخ – أحياك الله لأهل العلم وأحيا بك طالبيه – ذكرتُ للوزير مناظَرةً جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات[2] بين أبي سعيد السيرافيّ وأبي بشْر متّى واختصرتُها؛ فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام فإنّ شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيهِ بين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُغتنَمَ سماعُه، وتُوعَى فوائده، ولا يُتهاوَنَ بشيء منه. فكتبتُ: حدثني أبو سعيد بلُمَع من هذه القصَّة. فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنّه رواها مشروحة.

لما انعقد المجلس سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة. قال الوزير ابن الفرات للجماعة – وفيهم الخالديّ وابن الأخشاد والكتبيّ وابن أبي بشر وابن رَباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهريّ وعلي بن عيسى الجرّاح وابن فِراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلويّ ورسول ابن طغج من مصر والمرزبانيّ صاحب آل سامان:–

ألا يَنتدب منكم إنسان لمناظرة متّى في حديث المنطق، فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشرّ والحجةّ من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به، واستفدناه من

١- كيس فيرستيج: أعلام الفكر اللغوي – التقليد اللغوي العربي، ٣/ ٩٥، وينظر: فتحي عبد الفتاح الدجني: النزعة المنطقية في النحو العربي، وكالة المطبوعات / الكويت، ط١، سنة ١٩٨٢م.

٢- أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يقال له ابن خنزابة، وزير من الكتاب (ت ٣٢٧هـ)

واضعه على مراتبه وحدوده، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه. فأحجم القوم وأطرقوا، قال ابن الفرات: والله إن فيكم لَمَنْ يفي بكلامه ومناظرتِه وكسر ما يذهب إليه وإني لأعُدّكم في العلم بحاراً، وللدّين وأهلِه أنصاراً، وللحق وطُلاّبه مناراً، فما هذا الترامز والتغامُز اللّذان تُجِلّون عنهما؟ فرفع أبو سعيد السيرافيّ رأسه فقال: اعذِر أيّها الوزير، فإن العلم المصون في الصدر غيرُ العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المُصيخة[1] والعيون المحدِقة والعقول الحادّة والألباب الناقدَة؛ لأن هذا يستصحب الهيبة، والهيبة مَكسَرة، ويجتلب الحياء، والحياء مَغلَبة؛ وليس البراز في معركة خاصّة كالمِصاع[2] في بقعة عامّة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما رسمَه هُجْنة، والاحتجازُ عن رأيه إخلاد إلى التقصير؛ ونعوذ بالله من زَلّة القَدَم، وإياه نسأل حُسنَ المعونة في الحرب والسّلْم؛ ثم واجه متّى فقال له: حدّثني عن المنطق ما تَعنِي به؟ فإنّا إذا فهمنا مرادَك فيه كان كلامُنا معك في قبول صوابه وردّ خطئه على سَنَنٍ مَرضيّ وطريقة معروفة.

قال متّى: أعني به أنّه آلة من آلات الكلام يُعرَف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسدُ المعنى من صالحه، كالميزان، فإنّي أعرف به الرُّجْحان من النقصان، والشائل[3] من الجانح.

فقال أبو سعيد: أخطأتَ، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرَف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلّم بالعربيّة؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرَف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلّم بالعربيّة، وفاسد المعنى من صالحه يُعرَف بالعقل إذا كنّا نبحث بالعقل، وهَبْكَ عرفتَ الراجح من الناقص من طريق الوزن، فمن لَكَ بمعرفة الموزون أيّما هو حديد أو ذهب أو شَبَه أو رَصاص؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمتِه وسائر صفاتِه التي

١- المصيخة: المستمعة.
٢- المصاع: الضرب بالسيف.
٣- الشائل: المرتفع. والجانح. المائل.

يطول عَدُها؛ فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادُك، إلاّ نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيتْ عليك وجوه، فأنت كما قال[1] الأوّل: [البسيط]

حفظتَ شيئاً وغابت عنك أشياء

وبعد، فقد ذهب عليك شيء هاهنا، ليس كلُ ما في الدنيا يوزَن، بل فيها ما يوزن، وفيها ما يُكال، وفيها ما يُذْرع، وفيها ما يُمسَح وفيها ما يُحرَز وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئيّة، فإنّه على ذلك أيضاً في المعقولات المقرَّرة؛ والإحساسات ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبعيد، مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة. ودع هذا؛ إذا كان المنطقُ وَضَعَه رجل من يونانَ على لغة أهلها واصطلاحِهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، فمن أين يلزم التُرْكَ والهندَ والفُرسَ والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه قاضياً وحَكَماً لهم وعليهم، ما شهد لهم به قبلوه، وما أنكره رفضوه؟

قال متّى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بَحْث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدرَكة، وتصفّح للخواطر السانحة والسوانح[2] الهاجسة؛ والناس في المعقولات سواء ألا ترى أنّ أربعةً وأربعة ثمانية سواءً عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكوراتُ باللفظ ترجع مَعَ شُعَبها المختلفة وطرائقِها المتباينة إلى هذه المرتبة البيّنة في أربعة وأربعة وأنّهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن مع هذا أيضاً إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدرَكة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأتَ، قل في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا اقلّدك في مثل هذا. قال: أنت إذاً لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانيّة وأنت لا تعرف لغة يونانَ، فكيف صرتَ تدعونا إلى لغة

١- البيت لأبي نواس وصدره: "فقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً".
٢- السوانح: الأفكار العارضة.

لا تفي بها؟ وقد عفَتْ منذ زمان طويل، وباد أهلُها، وانقرض القومُ الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها؛ على أنك تنقُل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة بالنقل من لغة يونانَ إلى لغةٍ أخرى سريانيّة، ثم مِن هذه إلى أخرى عربية؟

قال متّى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حَفظت الأغراض وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

قال أبو سعيد: إذا سلّمنا لك أنّ الترجمة صدقتْ وما كذبتْ، وقَوَّمتْ وما حَرَّفتْ، ووَزنتْ وما جَزَفت، أنّها ما ألتاثت ولا حافَت[1]، ولا نقصتْ ولا زادت، ولا قَدّمتْ ولا أخّرت، ولا أخلّت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا بأخصّ ولا بأعمّ العامّ – وإن كان هذا لا يكون، وليس هوو في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني – فكأنك تقول: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلاّ ما أبروزه.

قال متّى: لا، ولكنّهم من بين الأمم أصحابُ عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالَم وباطنِه، وعن كلّ ما يتّصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ ممن أنواع العلم وأصناف الصنائع؛ ولم نجد هذا بغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأتَ وتعصّبت ومِلتَ مع الهوى، فإنّ عِلمَ العالَم مبثوث في العالَم بين جميع من في العالَم، ولهذا قال القائل [السريع]:

العلم في العالم مبثوث ونحوَه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع مَن على جَدَدِ[2] الأرض؛ ولهذا غلَب علمٌ في مكان دون عِلم، وكثرتْ صناعة في بقعة دون صناعة؛ وهذا واضح والزيادة عليه مَشْغَلة؛ ومع هذا فإنما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونانُ معروفةً من بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفِطْنة الظّاهرة، والبِنية المخالِفة، أنهم لو

١- التاثت: اختلطت. وحافت: مالت عن الحقّ.
٢- الجَدَد: المستوي من الأرض.

أرادوا أن يخطئوا لما قدَروا، ولو قَصَدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأنّ السكينة نزلت عليهم، والحقَّ تكفّل بهم، والخطأ تبرّأ منهم؛ والفضائلَ لصقت بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدتْ من جواهرهم وعروقِهم، وهذا جهلُ ممّن يظنّه بهم، وعنادُ ممن يدّعيه لهم؛ بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياءَ ويخطئون في أشياء، ويعملون أشياءَ ويجهلون أشياء، ويَصدُقون في أمور ويَكذِبون في أمور، ويُحسِنون في أحوال ويسيئون في أحوال؛ وليس واضع المنطق يونانُ بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عمَّن قبله كما أخذ عنه مَن بعده؛ وليس هو حجّةً على هذا الخلق الكثير والجمّ الغفير، وله مخالفون منهم ومن غيرهم؛ ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سِنخُ[1] وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتيَ رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلحله أو يؤثر فيه؟ هيهات هذا محال، ولقد بقي العالم بعد منطقة على ما كان عليه قبل منطقه؛ فامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع لأنه منعقد بالفطرة والطباع، وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعبارة أصحابها، لعلمتَ أنّك غنيّ عن معاني يونان كما أنك غنيّ عن لغة يونان.

وهاهنا مسألة، تقول: إن الناس عقولهم مختلفة، وأنصباؤهم منها متفاوتة. قال: نعم. قال: وهذا الاختلاف والتفاوتُ بالطبيعة أو بالاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟

قال متّى: هذا قد مرّ في جملة كلامِك آنفاً. قال أبو سعيد: فهل وصلتَه بجواب قاطع وبيان ناصع؟ ودع هذا؛ أسألك عن حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل؛ فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به وتباهي بتفخيمه، وهو (الواو) ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه أو وجوه؟ فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحويّ حاجة شديدة إلى المنطق، لأنّ المنطق يبحث عن المعنى

١- السنخ: الأصل

والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مرَّ المنطقيّ باللفظ فبالعرَض، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

فقال أبو سعيد: أخطأتَ، لأن الكلام والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار والعَرْض والتّمنّيَ والنهي والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلُّها من وادٍ واحد بالمشاكلة والمماثلة، ألا ترى أنّ رجلاً لو قال: "نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفُحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح، أو فاهَ بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ" لكان في جميع هذا محرفاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً اللفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره؛ والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي؛ ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأن مستملَى المعنى عقل، والعقل إلهيّ؛ ومادّة اللفظ طينيّة، وكلّ طينيّ متهافت؛ وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتِك التي تزهى بها، إلا أنْ تستعير من العربيّة لها اسماً فتُعار، ويسلم لك ذلك بمقدار؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة[1] اللاحقة.

فقال متى: يكفيني من لغتكم هذه، الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات، وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة؛ على أن هاهنا سراً ما علق بك، ولا أسفر لعقلك؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى

---

١ - الخلة: الخلل والنقص.

من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها، ووزنها وميلها، وغير ذلك مّا يطول ذكره؛ وما أظنّ أحداً يدفع هذا الحكم أو يشكُ في صوابه ممن يرجع إلى مسكة[1] من عقل أو نصيب من إنصاف، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجم لك على هذا الوصف؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربيّة أحوجُ منك إلى تعرّف المعاني اليونانية؛ على أن المعاني لا تكون يونانيّة ولا هنديّة، كما أن اللغات تكون فارسية وعربيّة وتركيّة؛ ومع هذا فإنك تزعم أن المعانيَ حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلاّ أحكام اللّغة، فلم تزري على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطا ليس بها، مع جهلك بحقيقتها؟

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها حالُ قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاب[2] والاجتهاد. ما تقول له؟ أتقول: إنه لا يصح له هذا الحُكم ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرفتها أنت؟ ولعلك تفرح بتقليده لك – وإن كان على باطل – أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق، وهذا هو الجهل المبين،والحكم المشين.

ومع هذا، فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تفخميك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأنت تجهل حرفاً واحداً في اللغة التي تدعو بها إلى حكمة يونان، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكمالها، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يَحتاج إليه، ولا ينفعه فيه علم ما لا يَحتاج إليه. وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبّر، ويَتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان؟

---

١ - المسكة: ما يتمسك به.

٢ - الإعتقاب: التتبع.

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد، فكيف لو نشرت عليك الحروف كلها، وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق، والتي لها بالتجوز؛ سمعتكم تقولون: إن "في" لا يعرف النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي "للوعاء" كما يقولون: إن الباء للإلصاق؛ وإن "في" تقال على وجوه: يقال "الشيء في الإناء والإناء في المكان" والسائس في السياسة، والسياسة في السائس".

أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها؟ ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب؟ فهذا جهل من كل من يدعيه، وخطل[1] من القول الذي أفاض فيه، النحوي إذا قال "في" للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكني مع ذلك عن الوجود التي تظهر بالتفصيل؛ ومثل هذا كثير، وهو كاف في مواضع التكنية.

فقال ابن الفرات: أيها الشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع "الواو" حتى تكون أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع هذا فهو مشنع به.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: "أكرمت زيداً وعمراً" ومنها القسم في قولك: "والله لقد كان كذا وكذا" ومنها الاستئناف في قولك: "خرجت وزيد قائم" لأن الكلام بعدَه ابتداء وخبر ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم[2]: [الرجز]

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

ومنها أن تكون أصلية في الاسم، كقولك: واصل واقد وافد، وفي الفعل كذلك كقولك: وجل يوجل، ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل: (**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**)[3]، أي ناديناه؛ ومثله قول الشاعر[4]: [الطويل]

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى

١- الخطل: الكلام الكثير المضطرب.
٢- الرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٠٤، وكتاب الأغاني ١٠/ ١٥٨.
٣- الآيتين ١٠٣، ١٠٤ من سورة الصافات.
٤- البيت لامرىء القيس في معلقته وعجزه "بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل".

المعنى: انتحى بنا، ومنها معنى الحال في قوله عزوجل: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا)[1] أي يكلم الناس في حال كهولته، ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر، كقولك: استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة.

فقال ابن الفرات لمتى: يا أبا بشر، أكان هذا في نحوك؟

ثم قال أبو سعيد: دع هذا، هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: "زيد أفضل الإخوة"؟ قال: صحيح. قال: فما تحكم إن قال: "زيد أفضل إخوته"؟ قال: صحيح. قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلح[2] وجنح وغص بريقه.

فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة؛ المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها؛ و الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها.

قال متى: بين لي ما هذا التهجين؟

قال أبو سعيد: إذا حضرت الحلقة استفدت، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه والتشبيه؛ والجماعة تعلم أنك أخطأت، فلم تدعي أن النحوي إنما ينظر في اللفظ دون المعنى، والنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد بالوهم السانح والخاطر العارض والحدس الطارئ؛ فأما وهو يريغ[3] أن يبرّر ما صح له بالاعتبار والتصفح إلة المتعلم والمُناظِر، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه، وموافقاً لقصده.

قال ابن الفرات لأبي سعيد: تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت[4] عاملاً في نفس أبي بشر.

١- الآية ٤٦من سورة آل عمران

٢- بلح: أعيا

٣- يريغ: يريد.

٤- التبكيت: التقريع والتوبيخ.

فقال: ما أكرهُ من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلاّ ملل الوزير؛ فإن الكلام إذا طال مل.

فقال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر.

فقال أبو سعيد: إذا قلت: "زيد أفضل أخوته" لم يجز، وإذا قلت: "زيد أفضل الإخوة" جاز، والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج عن جملتهم. والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال: "من إخوة زيد"؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول: أفضل إخوته، كما لم يجز أن تقول: "إن حمارك أفره البغال" لأن الحمير غير البغال، كما أن زيداً غير إخوته، فإذا قلت: "زيد خير الإخوة"، جاز، لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة، ألا تري أنه لو قيل: "من الإخوة"؟ عددته فيهم، فقلت: "زيد وعمرو وبكر وخالد" فيكون بمنزلة قولك: "حمارك أفرهُ[1] الحمير" لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير. فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس. فتقول: " زيد أفضل رجل وحمارك أفرهُ حمار"، فيدلّ "رجل" على الجنس كما دل الرجال؛ وكما في: "عشرين درهماً ومائة درهم".

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الإسفار[2].

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً

١- أفره الحمير: انشطهم.
٢- الإسفار: التبين والتوضيح.

لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلّق باختلاف لغات القبائل فلذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف، وإنما دخل العُجب على المنطقّيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم، فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون. وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متى. فقال: أما تعرف يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب، وتقول بالمثل: هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوباً، لأنه نسج بعد أن غزل، فسداته[١] لا تكفي دون لحمته ولحمته لا تكفي دون سداته، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته[٢] ورقة سلكه كرقة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كله ثوب، ولكن بعد تقدمة كل ما يحتاج إليه فيه.

قال ابن الفرات: سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلّما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي لا يُبصره.

قال أبو سعيد: ما تقول في رجل يقول: 'لهذا على درهم غير قيراط، ولهذا الآخر عليّ درهم غير قيراط'. قال: ما لي علم بهذا النمط. قال: لست نازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق[٣]، هاهنا ما هو أخف من هذا، قال رجل لصاحبه: 'بكم الثوبان المصبوغان'، وقال آخر: 'بكم ثوبان مصبوغان' وقال آخر: 'بكم ثوبان مصبوغين' بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ.

قال متى: لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك إذا سألتني عن شئ أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقاً أو مخالفاً،

١- السدى: خلاف لحمة الثوب وهو ما مد من خيوطه.
٢- القصارة للثوب: التحوير والتدقيق.
٣- الزرق: الخداع.

وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتم به كتبكم رددته أيضاً لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها.

ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب كالسبب والآلة والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمحصور وأمثلة لا تنفع ولا تجدي، وهي إلى العي أقرب، وفي الفهاهة أذهب.

ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة فتدعون الشعر ولا تعرفونه وتذكرون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب؛ وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان فإن كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنف ما لا يحتاج إليه ويستغني عنه. هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق.

وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلوا عزيزاً؛ وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية والأينية[1] والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأيسية والليسية[2] والنفسية؛ ثم تتطاولون فتقولون: "جئنا بالسحر" في قولنا: "لا في شيء من "ب" و "ج" في بعض "ب"، ف "لا" في بعض "ج" و "لا" في كل "ب" و "ج" في كل "ب" فإذن "لا في كل "ج"؛ هذا بطريق الخلف، وهذا بطريق الاختصاص.

وهذه كلها خرافات وترهات، مغالق وشبكات؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وأنارت نفسه استغنى عن هذا كله - بعون الله وفضله - وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وإنارة النفس من منائح[3] الله الهنية، ومواهبه السنية، ويختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لاستطالتكم

١- الهلية: نسبة إلي (هل)، والأينية: نسبة إلى (اين).
٢- الأيسية والليسية: الإثبات والنفي.
٣- المنائح: الهبات والعطايا.

بالمنطق وجهاً، وهذا الناشئ أبو العباس[1] قد نقض عليكم وتتبع طريقتكم، وبين خطأكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلي اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم. وهذا منكم تحاجز ونكول[2] ورضى بالعجز وكلول[3]، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض. هذا قولكم في 'يفعل وينفعل' لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتم فيها بوقوع الفعل من 'يفعل' وقبول الفعل من 'ينفعل'، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ومعارف ذهبت عنكم؛ وهذا حالكم في الإضافة.

فأما البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه مقال ولا مجال.

وأنت إذا قلت لإنسان: 'كن منطقياً'، فإنما تريد: كن عقلياً أو عاقلاً أو اعقل ما تقول لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل؛ وهذا قول مدخول، لأن النطق على وجوه أنتم عنها في سهو.

وإذا قال لك آخر: كن نحوياً لغوياً فصيحاً فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك.

وقدر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه، وقدر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به. فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد فاجل اللفظ بالروادف[4] الموضحة والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة، وبين المعاني بالبلاغة، أعني لوح منها لشيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عزّ وحلا، وكرم وعلا؛ واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمترى[5] فيه أو يتعب في فهمه أو يعرج عنه لاغتماضه؛ فهذا

١- أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري الناشئ الأكبر، شاعر مجيد (ت ٢٩٣هـ).
٢- النكول: النكوص.
٣- الكلول: الضعف.
٤- الروادف: التوابع.
٥- يمترى فيه: يشك فيه.

المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشباه ولأشباه الحقائق؛ وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس؛ على أني لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أو لا؟

ثم قال: حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أو رفعتم الخلاف بين اثنين، أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالثُ ثلاثة، وأن الواحد أكثرُ من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله؟ هيهات، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتدق عن عقولهم وأذهانهم.

ودع هذا، هاهنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك. قال قائل: "لفلان من الحائط إلى الحائط" ما الحكم فيه؟ وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معاً وما بينهما. وقال آخرون: له النصف من كل منهما. وقال آخرون: له أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأنى لك بهما، وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك.

ودع هذا أيضاً؛ قال قائل: "من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم محال، ومنه ما هو مستقيم قبيح، ومنه ما هو محال كذب، ومنه ما هو خطأ". فسر هذه الجملة. واعترض عليه عالم آخر، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعترض وأرنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل؛ فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحصل اعتراضه؟

قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملاً له، ثم أوضح الحق منهما، لأن الأصل مسموع لك، حاصلٌ عندك وما يصحّ به أو يَردُ عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسَرْ علينا، فإن هذا لا خفي على أحد من الجماعة.

فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل؛ والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أي لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به، وينصب عليه سوراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيئاً من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحق بالباطل، ويشبه الباطل بالحق، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع

المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بعد المنطق؛ وأنت لو عرفت تصرف العلماء والفقهاء في مسائلهم، ووقفت على غورهم في نظرهم وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة، لحقرت نفسك، وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وتابعوا عليه أقل في عينك من السُّها[1] عند القمر، ومن الحصا عند الجبل.

أليس الكندي وهو علم في أصحابك يقول في جواب مسألة "هذا من باب عد". فعد الوجود بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوه بها وأروه أنها من الفلسفة الداخلة، فذهب عليك ذلك الوضع، فاعتقد فيه أنه صحيح وهو مريض العقل فاسد المزاج حائل[2] الغريزة مشوش اللب.

قالوا له: أخبرنا عن اصطكاك الأجرام، وتضاغط الأركان؟ هل يدخل في باب وجوب الإمكان؟ أو يخرج من باب الفقدان إلي ما يخفى عن الأذهان؟ وقالوا له أيضاً: من نسبة الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية؟ هل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان، أو مزايلة له مزايلة على غاية الإحكام؟ وقالوا له: ما تأثير فقدان الوجدان في الإمكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله؟ وعلى هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة والضعف والفساد والفسالة والسخف. ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله، ولقد مر بي في خطه التفاوت في تلاشي الأشياء غير محاط به، لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول والاتفاق في الفروع، وكل ما يكون على هذا النهج فالنكرة تزاحم عليه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أن النكرة والمعرفة من باب الألبسة العارية من ملابس الأسرار الإلهية من باب الإلهية العارضة في أحوال البشرية.

١- السُّها: نجم بعيد في السماء.
٢- الحائل: المتغير.

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى ويشمت العدو ويغم الصديق، وما ورث هذا كله إلا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق، ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجح إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل، إنه سميع مجيب.

هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الرماني[1] الشيخ الصالح بإملائه، وكان أبو سعيد قد روى لمعاً من هذه القصة.

المسائل النحوية في المناظرة:

استخلصت أبرز هذه المسائل ولم أشأ أن أتفصل فيها، وأعرضت عن جزئيات أخرى، وعلى الوجه الآتي:

المسألة الأولى: معاني (الواو)، وأحكامه، ومواقعه.

المسألة الثانية: أحوال الكلام، والنطق، واللغة، واللفظ، والإفصاح، والإعراب، والإبانة، والحديث، والإخبار، والاستخبار، والعَرْض، والتمني، والنهي، والحضّ، والدعاء، والنداء، والطلب.

المسألة الثالثة: الاسم والفعل والحرف وحركاتها لأنّ الخطأ في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات.

المسألة الرابعة: الفرق بين (زيد أفضل أخوته) وهذا غير جائز. و (زيد أفضل الأخوة) وهو الصواب.

المسألة الخامسة: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، ووضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب، وموقف النحاة من اللفظ والمعنى.

١- علي بن عيسى الرماني، أبو الحسن: باحث معتزلي مفسر، من كبار النحاة، له نحو مئة مصنف (ت ٣٨٤هـ).

المسألة السادسة: استعمال (غير) للاستثناء وغيره، واستعمال (كم).

المسألة السابعة: البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها.

المسألة الثامنة: ا الحكم في قول القائل (لفلان من الحائط إلي الحائط)؟

المسألة التاسعة: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم محال، ومنه ما هو مستقيم قبيح، ومنه ما هو محال كذب، ومنه ما هو خطأ.

تعليق:

بهذه المسائل التي اختارها السيرافي بعناية فضحت معرفة متىّ بن يونس، وألزمته الحجة في أن (النحوي) قادر على أن يكون (منطقياً) وليس العكس.

وأن النحو هو "النظم المألوف"[1] وأنّ القرن الرابع للهجرة كان مهيئاً لصياغة (نظرية النظم) على ما ظهر في مسائل النحو التي نثرها أبوحيان التوحيدي متأثراً بمفهوم أبي سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) للنحو، وما تجلى لدى أبي على المزروقي (ت ٤٢١هـ) في شرحه الحماسة[2]، ووصولاً إلى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٠ هـ) الذي أحكم بناءها[3].

فاستقام لدى أبي حيان نهج واضح عماده "النحو الذي قصد به الماهر فتق المعاني، وصحة الألفاظ، وتوخي الإعراب، واعتياد الصواب، ومجانبة اللحن على حدود ما في غرائز العرب، وطبائعها، وسلائقها."[4]

١- أبوحيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق محمد الفاضلي، دار الجيل/ بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٣م، ١/ ٨٠.

٢- ينظر على جواد الطاهر: المرزوقي شارح الحماسة ناقداً، الدار المتحدة / بيروت، د.ط، سنة ١٩٩٥م، صـ ٨٩-٩٠.

وينظر: سعيد جاسم الزبيدي: الخليل صاحب العين، دار أسامة / الأردن، ط١، سنة ٢٠٠٨م، صـ ١٢.

٣- ينظر دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة - جدة، ط٣، سنة ١٩٩٢م، صـ ٤٩-٥٠.

٤- أبوحيان التوحيدي: المقابسات، صـ ٥٥.

ولعل خير ما نختتم به هنا ما قاله الوزير ابن الفرات (ت ٣٢٧ هـ) عقب انتهاء هذه المناظرة: "ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جلّ علم النحو عندي بهذا الاعتبار، وهذا الإسفار."[١]

وبّين أبوحيان هدفه من ذكر المناظرة في كتابه (أخلاق الوزيرين): "وكانت في الفرق بين النحو والمنطق، ورَيْم[٢] أحدهما على الآخر، وإحصاء الفوائد لكل منهما."[٣]

وانتهى إلى بيان ما للنحو من مزية تفوق المنطق، وتصبح بالمنطقي حاجة إليه، وليس بالنحوي حاجة إلى المنطق!

١- أبوحيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ١/ ٨٦.
٢- الرَيْم: الزيادة.
٣- أخلاق الوزيرين (طبعة محمد بن تاويت الطنجي)، صـ ٤١٤.

الخاتمة ونتائج البحث

يُعدّ أبوحيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) من أعلام النثر العربي، وقد تهيأت له ثقافة موسوعية من كلام وفلسفة ولغة وأدب، فصار نثره أغنى من غيره من الكتاّب ولاسيما الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) على الرغم من إعجاب أبي حيّان به إلا أنه تميّز منه.

إنّ وقوفنا على (نحو) أبي حيان في مؤلفاته يندرج تحت عنوان كتابنا هذا (النحو عند غير النحويين)، فوجدنا أبا حيّان دقيقاً فيما ينقل عن شيوخه، واسع السماع، ذا عقلية منظمة ناقدة، وتظهر قدرته اللغوية واضحة في جميع كتبه.

ومما يميزه في مباحثه النحوية:

- كان حرّ التفكير فلم ينحز لمذهب على الرغم من ملازمته شيخه السيرافي البصري النزعة.
- انطلاقه من النصوص: قرآناً ونثراً وشعراً، وهو الأديب المتمكن من ناحية الكلام.
- نقده ضيق الأفق عند النحاة، وتقييد النحو، فكان يرى أن النحو منطلق نظرية (النظم)، فنظراته فيه من إرهاصات بناء هذه النظرية عند عبد القاهر الجرجاني.
- مساواته بين اللفظ والمعنى، وكان موفقاً في نظراته، وتطبيقاته.
- اختياراته من آراء النحاة ما هو أيسر وأقرب إلى روح العربية.
- لا نزعم في بحثنا هذا أننا استوفينا جميع مباحث النحو عند أبي حيّان، ولكننا حاولنا أن نقارب رسم صورة واضحة لها، نرجو ممن يقف على بحثنا أن يرشد إلى ما فاتنا أو يصحح ما وقعنا فيه من وهم أو خطأ.

والله الموفق للصواب

٢٠ أيلول ٢٠١٢م

الفصل الثالث

ابن الأثير والنحو

وفيه مبحثان

المبحث الأول: نظرات مضطربة وقاصرة.

المبحث الثاني: نظرات صائبة.

الفصل الثالث

ابن الأثير والنحو

مقدمة

لأبناء الأثير الثلاثة مكانة مرموقة في التاريخ العربي الإسلامي، فقد اشتهر أكبرهم أبو السعادات مجد الدين المبارك (٥٤٤ هـ ـ ٦٠٦ هـ) بعلم الحديث، وبكتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وبرز أوسطهم أبو الحسن عز الدين علي (٥٥٥ هـ ـ ٦٣٠ هـ) مؤرخا، وعرف بكتابه (الكامل في التاريخ)، ونبه أصغرهم أبو الفتح نصر الله ضياء الدين (٥٥٩ هـ ـ ٦٣٨ هـ) كاتبا أديبا، وذاع صيته بكتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، مما دعا جامعة الموصل إلى الاحتفال بهم، فكانت "ندوة أبناء الأثير"[١] (ونهضت بحوثها بدراستهم وآثارهم)[٢]، فأشار علي أستاذنا الكبير الدكتور علي جواد بدراسة ما ورد من آراء ضياء الدين في النحو وتقويمها، فقد مرّ به في أثناء بحثيه البارعين: "منهج البحث في المثل السائر"[٣] و "المثل السائر في طبعة دار نهضة مصر"[٤] ما هو جدير بالدراسة، وأن ضياء الدين حين يقبل، أو حين يرفض، يصدر عن علم، وعن ذوق أدبي رفيع.

إن أكثر الدراسات النحوية انصرفت إلى النحاة، وأهملت جانبا خطير الشأن هو: النحو عند غير النحويين وبحوثهم فيه، ومواقفهم منه، وما أصابوا فيه، وما أخطأوا. وأن الاهتمام بهذا الجانب فضلا عما ثبت من علمهم في النحو، أنهم يزاولون الكتابة في ذلك، ويصدرون عن الاستعمال، وهذا ما يفتقده النحوي المتخصص في مباحثه وأسلوبه[٥] فمضيت أتسقط آراء ضياء الدين في (المثل السائر)

١- انعقدت ندوة أبناء الأثير العلمية العالمية في رحاب جامعة الموصل في ٢٧/٣-١/٤/١٩٨٢م.

٢- ينظر كتاب (بحوث ندوة أبناء الأثير) مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٣م.

٣- من منشورات جامعة الموصل – مطابع دار الكتب للطباعة والنشر١٩٨٢م.

٤- ينظر كتاب (بحوث ندوة أبناء الأثير) مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٣م. الصفحات ٢٠٧-٢٩٧، وعلى هذا اعتمدت على طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة سنة١٩٣٩.

٥- فقد روي عن المبرد وهو من أكابر علماء العربية أنه قد يعتذر عما لا يجد سبيلا إلى التعبير عنه بما يرتضيه، ولا يستطيع الإفصاح عما في ضميره لانحراف لسانه إلى غيره. ينظر الجامع الكبير ص٢٢/٢٣. وروى

الذي جمع فيه فأوعب ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره"[1]. والذي لا يعدم من يتأمله أن يجد فيه

جديدا. ووقفت عند كتبه الأخرى، والكتب التي تصدت له، لأمتحن آراءه، وأستكملها؛ ليستقيم البحث بما له، وما عليه. وقد قصرته على النحو لأن ابن الأثير كان يرى أن كلا من النحو والتصريف علم منفرد برأسه"[2]. (ولأن مباحثه الصرفية قد درسها الدكتور فخر الدين قباوة في بحثه (ضياء الدين وعلم العربية في الميزان)[3]، وإن لم يستوفها، وستكون لنا عودة إليها في غير هذا البحث إن شاء الله.

وكان لكتاب محمد زغلول سلام (ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد) فضل كبير في جلاء صورة ابن الأثير ومكانته، مما يسر على الباحث أن يقف على آرائه في كتابيه: (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) و (الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية)[4] فوجدت فيهما ما يعزز البحث، مما دعاني على عدم الاقتصار على (المثل السائر) وحده. أما كتبه الأخرى: (الوشي المرقوم في حل المنظوم)[5] و (كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب)[6] و (رسائل ابن الأثير)[7] و (رسالة الأزهار)[8] و (المفتاح المنشا لحديقة الإنشا) وبذيله بقايا كتاب (الأدعية المئة المختارة)[9] فلم يجد الباحث

=

الزبيدي في طبقاته عن ثعلب ص١٤٣ أنه لم يكن مع ذلك موصوفا بالبلاغة ولا رأيته إذا كتب كتابا إلى بعض أصحاب السلطان خرج عن طبع العامة. فكيف آل الأمر عند النحاة بعدهما ؟!

١- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ٥/ ٣٩١

٢- الجامع الكبير ص٩

٣- ينظر كتاب (بحوث ندوة أبناء الأثير) الصفحات ٣٢٣-٣٤٦

٤- بتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر١٩٥٨م، وقد علمت أن رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب/ جامعة الموصل عنوانها (ابن الدهان النحوي) للسيد فوزي نوري عبد الله، كانون الأول ١٩٨٤م، فاطلعت عليها فلم أجد الباحث يناقش ابن الأثير فيما أورده على ابن الدهان من ردود واتهامات في كتابه (الاستدراك)

٥- طبعة ثمرات الفنون سنة١٢٩٨هـ

٦- نشرته جامعة الموصل – ندوة أبناء الأثير، حققه الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن والأستاذ هلال ناجي،١٩٨٢م

٧- نشرته جامعة الموصل – ندوة أبناء الأثير، بجزأين حققه الدكتور نوري القيسي والأستاذ هلال ناجي سنة ١٩٨٢م.

٨- نشرته جامعة الموصل،وحققه الأستاذ هلال ناجي.سنة ١٩٨٣م.

٩- نشرته جامعة الموصل،وحققه الأستاذ هلال ناجي. سنة ١٩٨٣م.

فيها ما يستحق ذكره. ولأن ابن الأثير قد دُرس دراسات متعددة وافية، ولأني أقف عند جانب لم يدرس من قبل، مما يعفيني عن التفصيل في سيرته، فليس في ذلك إلا التكرار، ولكن لابد من كلمة موجزة، لما سيكون لقابل البحث من علاقة.

بعد هذا كله استقامت لدى الباحث خطوط بحثه فكانت على الوجه الآتي:

- مقدمة.
- تعريف.
- أولا – نظرات مضطربة وقاصرة.
- ثانيا – نظرات صائبة.
- خاتمة.

تعريف

أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، كان مولده يوم الخميس العشرين شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وخمس مئة للهجرة، بجزيرة ابن عمر[١]، وهي بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام[٢]، فنشأ بها، وقضى شطرا من طفولته فيها، ونال قدرا من المعرفة السائدة في زمانه، وانتقل مع والده إلى الموصل سنة تسع وسبعين وخمس مئة للهجرة[٣]، ولأن ضياء الدين هذا كان طامحا فقد هيأ لنفسه أدوات هذا الطموح، فحفظ كتاب الله الكريم، وكثيرا من الأحاديث النبوية، وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئا كثيرا من الأشعار[٤] القديمة والمحدثة[٥] فحذق بهذا وغيره فن الكتابة[٦].

١- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ٥/ ٣٨٩.
٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ١٣٨.
٣- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/ ٣٨٩.
٤- نفسه، ٥/ ٣٨٩.
٥- ابن الأثير: الجامع الكبير، ص١٣، الوشي المرقوم، ص١٠، المثل السائر، ١/ ٥٠، ٢/ ٣٧٠.
٦- مما حذقه ابن الأثير أيضا: محاورات الناس من أكار وفلاح أعجمي، وما تقوله النادبة في المآتم، والماشطة عند جلوة العروس، وما يقوله المنادي في السوق على سلعته، ينظر الوشي المرقوم، ص٤ـ٥. وأشار إلى علمه باللغات السريانية والفارسية، ينظر في ذلك المثل السائر، ٢/ ٢١٥، ٢٨١، وما قرأه من كتب ذكرها أو غفلها، تنظر مقدمة المثل السائر، ١/ ٣. فضلا عن موهبته، ينظر علي جواد الطاهر: منهج البحث في المثل السائر، الفصل الأول، ص١٩ وما بعدها.

ولما كملت الأدوات[1]، صار كاتبا لإنشاء صلاح الدين الأيوبي، فوزيرا للملك الأفضل فردت أمور الناس إليه، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه[2] فأساء ضياء الدين السيرة، ونبا به المقام فخرج من حلب مغاضبا إلى الموصل فأربل، فسنجار، فالموصل ثانية، وعاد كاتبا لإنشاء ناصر الدين محمود بن المالك القاهر الذي أرسله إلى بغداد ليمثله في دار الخلافة العباسية[3] ثم صرف وجهه بعد أن نال ما نال إلى التدريس.

لقد انعقد إجماع المؤرخين قدامى ومحدثين على سوء تصرف ضياء الدين في السياسة، مما دعا أستاذنا الدكتور علي جواد الطاهر إلى أن يرى في ذلك ما صرفه عما هو فيه إلى العلم والأدب والتدريس والتأليف[4]، فكسبناه عالما مؤلفا، وظفرنا ب(المثل السائر) وغيره، قبل أن يودع الدنيا يوم الاثنين التاسع والعشرين سنة سبع وثلاثين وست مئة، ودفن بمدافن قريش ببغداد[5].

ولنا في ما أثاره (المثل السائر) من دراسات معه أو ضده، ما يجنبنا هذين الاتجاهين، فندرس ما في كتب ضياء الدين من علم لنرى ما له، وما عليه، ويبقى للرجل فضيلة الكشف عما آل إليه النحو والنحاة في عصره، فقد رأى أن للنحوي ميدانا غير ميدان النقد، مما لا ينفع اعتراض الباحثين عليه، ولا يغير من حقيقة الموقف، ولا نرى أن ضياء الدين قد أصاب في هذا كله، وذلك ما يتكفل هذا البحث ببيانه.

نحا ابن الأثير في مؤلفاته كلها منحى تعليميا في محاولة مخلصة لتعليم الناشئة الكتابة والنظم، عن طريق صقل ملكاتهم بحفظ فصيح اللغة، والوقوف على استعمال الألفاظ وغير ذلك مما ينبغي لهم من الأدوات، ومنها علم النحو. فكان له في بعض من مباحثه نظرات صائبة، وفي بعضها الآخر قصور في الفهم، ولا ننكر أن له أيضا آراء صائبة وموفقة نوردها على الوجه الآتي:

١- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/ ٣٩٠.
٢- نفسه، ٥/ ٣٩٠.
٣- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥/ ١٨٨.
٤- منهج البحث في المثل السائر، ص١١.
٥- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/ ٣٩٦.

المبحث الأوّل: نظرات مضطربة وقاصرة

١. في النحو والبلاغة:

إن أوّل ما يطالعك به (مثله) في "موضوع كل علم[١] قولـه: إن "موضوع النحو هو الألفاظ والمعاني[٢] وهذاصحيح، ولكنه لما رأى اشتراك (النحو) و(البيان) فيهما، ولكي يسلب من النحو هذه الفضيلة ـ أو كل فضيلة على ما سيأتي ـ عمد إلى القول أن النحو "دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي.. والنحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة[٣]. ويفصل بين النحو والبلاغة، ويقدمها عليه، فيقول: إن "موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية[٤]. ولكي يخرج من مأزقه، ويبرر ما ذهب إليه أضاف: "وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو و الإعراب[٥].

ولم يكتف ابن الأثير بهذا؛ لأنه ينظر لموقف فقال: إن "علم النحو...هو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرة اللحن..فإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعنى[٦].

تأمل كيف يبدأ بفهم صحيح ثم ينقضه، ليصل إلى ما قر في نفسه من تجريد النحو من كل ما يعنى به حين يرتب اللفظ ترتيبا يؤدي إلى المعنى[١] فالنحو لا يعنى

١- المثل السائر (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد)١/٦، وأينما يرد بلا إشارة.
٢- نفسه، ١/٧
٣- نفسه، ١/٧
٤- نفسه، ١/٧
٥- نفسه،١/٧
٦- نفسه، ١/١٠

بالصوت وما يتعلق به من ظواهر لغوية، ولا بالكلمة المفردة وما يتعلق بها وإنما يعنى بالكلمة المؤلفة مع غيرها في عبارة أو جملة[٢]. ولعلك تعجب أكثر مما يورده من أمثلة إذ يقول: "ألا ترى لو أمرت رجلا بالقيام فقلت له: قوم، بإثبات الواو، ولم تجزم، لما اختل من فهم ذلك شيء، وكذلك الشرط..والفضلات كلها تجري هذا المجرى.. فإذا قلت جاء زيد راكب، وما في السماء قدر راحة سحاب، وقام القوم إلا زيد، فلزمت السكون في ذلك كله، ولم تبين إعرابا، لما توقف الفهم..هكذا يقال في المجرورات..وغير ذلك من أقسام أخر."[٣] فابن الأثير هنا لا يفرق بين مستويات التعبير: مستوى الكلام اليومي "المستوى العادي" و"المستوى الفني"[٤] وكأنه لم يقرأ ما قاله ابن سنان: "إن إعراب اللفظة تبع لتأليفها من الكلام."[٥] فليس تؤدي علامة الإعراب وحدها على ما يراه ابن الأثير بلا ترتيب الكلام على وفق ما يقتضيه المعنى إلى الفهم.

إن هذا ليس زلة قلم بل يصدر عن قصد منه، قال: "وهذا لا أقوله غضا من علم النحو، ولا جهلا مني بمكان الحاجة إليه في تقويم اللسان العربي بل أقوله تعريفا إن صاحب النظم والنثر لا يحتاج إليه في باب الإجادة في الألفاظ والمعاني اللذين هما عبارة عن الفصاحة والبلاغة، وإنما يحتاج إليه في اجتناب اللحن لا غير"[٦]. إنه يجعل من النحو شيئا ثانويا، لا علاقة له بفصاحة ولا بلاغة، فيقول: "ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة"[٧]. أليس الجهل بالنحو يؤدي إلى الإخلال بشرط الفصاحة والبلاغة؟ وقد قيل: "لايكون عربيا حتى يضع كل

١- أبو حيان التوحيدي: المقابسات (طبعة السندوبي) ص١٢٣، والقول لأبي سعيد السيرافي، ولم أجده في طبعة محمد توفيق حسين بغداد ١٩٧٠م.

٢- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتطبيق ص٨٢.

٣- المثل السائر ١/ ١٠-١١، وقال الصفدي متهكما على هذا في نصرة الثائر على المثل السائر، تحقيق محمد علي سلطاني، منشورات مجمع اللغة بدمشق ١٩٧١، نصرة الثائر ص٤٢: "ما بقي بعد هذا إلا أن يقول إن مراعاة الإعراب علة موجبة لقبح الكلام".

٤- ينظر عبدالحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد الأدبي ص٨٣،٨٤.

٥- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة (طبعة عبد المتعال الصعيدي) ص٩٩٧.

٦- الاستدراك: ص١٨. وقال ابن الأثير في المثل السائر ١/ ٤٢٦: "وأسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية أو ما يجرى هذا المجرى".

٧- المثل السائر، ١/ ١٨

اسم في موضعه، ويلفظ به على حد ما يلفظ به أهله، قلنا: فقد دخل في هذا إعراب الكلام؛ لأن معانيه تتعلق به"[1].

ويمضي ابن الأثير فيأتي بدليل متهافت: "والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل، ونصب المفعول، أو ما جرى مجراهما، وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة، ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام"[2] ثم اقرأ قوله: "إن الكاتب أو الشاعر إذا كان عارفا بالمعاني، مختارا لها، قادرا على الألفاظ مجيدا فيها، ولم يكن عارفا بعلم النحو، فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام، ويختل عليه ما يقصده من المعاني"[3] فأي اضطراب هذا؟!

وتفسير هذه الأقوال -على ما نراه - ما يأتي:

أولا: إن ابن الأثير نظر إلى ما ساد في الدرس النحوي بعد الخليل،وسيبويه، والفراء حتى عصره، من اقتصار النحو على معرفة الإعراب وإحكام صنعته[4]، والإغراق في التعليل[5]، والإيغال في التأويل والتقدير، وكثرة الآراء في المسألة الواحدة[6]، مما جعل قوله: "فإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني"[7] صحيحا. فقد جمد الفكر النحوي وغدا نظما، وشرحا، وحاشية، وضاقت حدود الدرس النحوي بعد فصل علم المعاني عنه[8]، وانحرف عن غايته التي كانت "منقسمة بين حركات اللفظ، وسكناته، وبين وضع

١- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة ص٩٩.
٢- المثل السائر ١/ ١٩، وينظر الجامع الكبير ص٨.
٣- المثل السائر ١/ ١٣. وينظر قوله "فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو إذا كان ضابطا لمعاني الكلام حافظا لها من الإختلاف. المثل ١/ ١١." وينظر الجامع الكبير ص٧.
٤- ينظر الزمخشري: المفصل ١/ ٨ (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد). ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ١/ ١٦ يقول: "واصطلاح المتأخرين تخصيصه (أي النحو) بفن الإعراب والبناء وجعله قسيم الصرف، فيعرف بأنه علم يبحث عن أحوال الكلم إعرابا وبناء".
٥- ينظر الزجاجي: الإيضاح في علل النحو ص٣٩، وينظر مازن المبارك: النحو العربي، العلة النحوية: نشأتها وتطورها ص٩٧.
٦- ينظر السيوطي: همع الهوامع: (طبعة دار المعرفة بيروت)١/ ١٢٣-١٢٤ فقد وصلت وجوه إعراب الأسماء الخمسة إلى اثني عشر وجها. وينظر شرح ابن عقيل ١/ ١٣ قوله: "وسما لغة في الاسم وفيه ست لغات".
٧- المثل السائر، ١/ ١٠
٨- ينظر أحمد عبد الستار الجواري: نحو المعاني ص١١-ص١٣.

الحروف في موضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك[1].ولقد افتقد ابن الأثير ـ وغيره من الثائرين على جمود الدرس النحوي ـ هذا المفهوم، أو ما يقاربه[2]، ولم يجدوه سائدا في كتب النحاة[3] ومباحثهم.

ثانيا: كأني بابن الأثير قد نفس على عبد القاهر الجرجاني نظريته في النظم الذي رآه أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها[4] فلم يرد أي ذكر لعبد القاهر في كتب ابن الأثير كلها[5]. وهذه مسألة لافتة للنظر، ومدعاة للشك. فليس عبد القاهر ممن ينكر فضله، أو يتجاهل أمره في البحث البلاغي، فضلا عن البحث اللغوي بعامة، فموقفه هذا رد على عبد القاهر، وتوهين لما ذهب إليه.

ثالثا: وقوفه على غلط قسم من مفسري الأشعار ـ ومنهم نحاة معروفون ـ واقتصارهم في شرحها على ما فيها من لغة، وغريب، وبيان مواضع الإعراب

١- أبو حيان التوحيدي: المقابسات ص٨٠.

٢- ينظر نفسه، ص١٧١

٣- ينظر قول أبي حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ١/١٠٨: وقد اعتقد النحاة في القرن الرابع أن النحو منطق مسلوخ من العربية .

٤- دلائل الإعجاز (طبعة محمود محمد شاكر) ص٨١.

٥- ما زال يترجح بين الباحثين تقويم موقف ابن الأثير من عبد القاهر الجرجاني وتحليله في الآراء الآتية:
الأول- يذهب محمد زغلول سلام في كتابه (ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص٦٥) إلى أن ابن الأثير لم يطلع على كتابي الجرجاني على شهرتهما لاختلاف منهجي الرجلين!
ويرى هذا الرأي حفني محمد شرف محقق(الاستدراك)في مقدمته ص٢٣، وشوقي ضيف في كتابه (البلاغة تطور وتاريخ) الصفحات٣٣٢،٣٣١،٣٣٠،٣٢٩.
الثاني- يعرض محققا (الجامع الكبير)مصطفى جواد وجميل سعيد بابن الأثير في هوامش الصفحات:٤٦،٧٦،٨٣ويتهمانه بعدم الإشارة إلى نصوص نقلها من دلائل الإعجاز، أشارا إلى مواضعها في الدلائل. ويرى محققا المثل السائر (الطبعة الثانية/ الرياض١٩٨٣م)الحوفي وطبانة المقدمة١/ ٢٧-٢٨. أنه قرا وأفاد من كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني وأشارا إلى مواضع النقل الهامش ١،٢،٣،/ ٢٤٩وهامش١،٣/ ٢٥٠. ويقول عبد الواحد حسن الشيخ في كتابه (دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير)ص ١٠٨: كان أحيانا يتوكأ على الإمام الجرجاني خاصة في دلائل الإعجاز هكذا بلا إشارة إلى المواطن!
الثالث: ينظر علي جواد الطاهر في كتابه (منهج البحث في المثل السائر)ص٣٠وص٣٧، أن يكشف البحث هذه المسألة المحيرة.

منها، ويعني بهذا: ابن جني[1]، وابن الدهان[2]، وغيرهما[3]، فكانوا غرضا لنقده، ومن خلالهم نفذ إلى النحو والنحاة جميعا[4]، وغالى في ذلك، فليس غريبا، ولا مستبعدا أن يخطئ عالم مثل ابن جني، وغيره، في تفسير بيت، أو أبيات، فيردّ سبب ذلك إلى النحو؟ وهل كان ابن الأثير مصيبا في كل ما اعترض عليه، لا سيما في (الاستدراك)[5]؟ إن في ذلك تجنيا لا يخفى، كان من دوافعه اعتداد ابن الأثير بنفسه اعتدادا كبيرا.

٢. في التوكيد:

يعترض ابن الأثير على ابن جني في موضوع التوكيد، إذ يخرج الثاني بالتوكيد إلى معاني أوسع مما ذكرها النحاة، فيجعله من المجاز الذي يضم، الاتساع، والتوكيد، والتشبيه[6]، وهذا "موضوع بياني صرف"[7]، فيغالطه ابن الأثير، ويستعين بالنحو، وكتب النحاة للرد، فيقول: "إن التوكيد.. لا يؤتى به في اللغة العربية إلا لمعنيين..وهو مذكور في كتب النحاة، وقد كفيت مؤونته"[8].

فهل هذا موقف من يرى "أن علم البيان الذي هو الفصاحة والبلاغة لا يؤخذ من باب الفاعل، ولا باب المفعول، ولا من باب الحال والتمييز، وإنما هو شيء خارج عن ذلك"[9]، و"أن النحاة لا فتيا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة، ولا عندهم معرفة بأسرارهما من حيث أنهم نحاة"[10]، فما الذي عكس الأمر؟! فضلا عن أن ابن

١- ينظر الاستدراك ص١٤،ص١٥.
٢- ألف ابن الأثير كتابا للرد على ابن الدهان سماه (الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماه بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية) حققه حفني محمد شرف ١٩٥٨م مطبعة الرسالة، مصر.
٣- ينظر المثل السائر ١/ ٢٨٨ما قاله في ثعلب، وينظر الاستدراك ص٢٠،ما قاله في الزجاج.
٤- ينظر ابن الأثير:المثل السائر ١/ ١٦٤قال:"النحاة لا فتيا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة،ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث أنهم نحاة"!
٥- تنظر مقدمة المحقق من ١٠-٣٠.
٦- ينظر ابن جني: الخصائص ٢/ ٣٦٧،وينظر الجامع الكبير ص٣٠ -٣١،وينظر المثل السائر ١/ ٣٦٦.
٧- فخر الدين قباوة: ضياء الدين وعلم العربية في الميزان بحث منشور في كتاب (بحوث ندوة أبناء الأثير) ص٣٣٨.
٨- المثل السائر، ١/ ٣٦٧
٩- الاستداك ص٢٠.
١٠- المثل السائر، ١/ ١٦٤

الأثير بحث التوكيد في مواضع كثيرة لا علاقة لها بما حدده بقوله السابق "المعنيين"، فلماذا ضيق على ابن جني؟ وأطلق لنفسه ما يراه! انظر مثلا كيف بحث التوكيد:

التوكيد ب(أن)، وبزيادة اللام في خبرها[1]، وبلام الابتداء[2]، وبإحدى النونين[3]، وبالقسم[4]، وتنويع ضروب الجمل[5]، وبالزيادة في لفظ الفعل، وما يشبهه[6]، وإقامة المصدر مقام الفعل[7]، والتقديم والتأخير[8]، والتكرير[9]، و الاعتراض[10]، وغيرها من المباحث التي يختلط فيها النحو بالبيان، والتي لا يجهلها ابن جني، إلا أنه أضاف إلى التوكيد زاوية نظر جديدة أراد ابن الأثير أن يسلبها إياه بالمغالطة التي أوقعته في موقف مضطرب متناقض!.

٣. في (الفاء) و (ثم):

ليس قول ابن الأثير إن غاية "ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه في الإعراب"[11]، صحيحا؛ لأن النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه[12] درسوا هذه الأحرف درسا نحويا بيانيا، لأنها " أكثر دورا، ومعاني معظمها أشد غورا، وتركيب أكثر الكلام عليها، ورجوعه في فوائده إليها"[13]. وأطلق عليها: "حروف المعاني"[14]. ولكن اعتداد ابن الأثير بما أدى به من قصور في فهم معنى (الفاء) و (ثم).

١- ينظر نفسه، ٢/ ٥٥
٢- ينظر نفسه، ٢/ ٥٦
٣- ينظر نفسه، ٢/ ٥٨
٤- ينظر نفسه، ٢/ ٥٨
٥- ينظر نفسه، ٢/ ١٤، ٥٤
٦- ينظر نفسه، ٢/ ٦١
٧- ينظر نفسه، ٢/ ٦١
٨- ينظر نفسه، ٢/ ٣٨
٩- ينظر نفسه، ٢/ ١٥٧
١٠- ينظر نفسه، ٢/ ١٨٣
١١- المثل السائر٢/ ٥٠.
١٢- ينظر الكاتب١/ ٢٩١، ٣٩٩، ٤٢٩، ٣، ٤٢، ٤/ ٢١٧.
١٣- أحمد عبد النور المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني(تحقيق أحمد محمد الخراط)ص٢.
١٤- المثل السائر، ٢/ ٥١

قال في الفاء: "وهي للفور" مستدلا بقوله تعالى: (فحملته فانتبذت به مكانا قصيًا، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة)[1]، وقال في ثم: "هي للتراخي والمهلة"[2] مستدلا بقوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة)[3]. وقطع ابن الأثير في معنى الحرفين لا ينم عن معرفة وطيدة باستعمالهما حتى في المواضع التي استدل بها[4]. وقد يتبادلان المعنى: فترد الفاء بمعنى (ثم)، وترد ثم بمعنى (الفاء)[5]. وفيهما خلاف بين النحاة[6]، وفي هذا غنى ليكشف عمن هو في موضع استخفاف بالنحو والنحاة "فتحامل ابن الأثير على النحاة من جهة، واعتناقه لآرائهم خفية من جهة أخرى أمر واضح لا يعوز إلى دليل أقوى مما يقدمه هو نفسه"[7].

٤. في التعليل:

نظر النحاة إلى ما سمعوا من كلام العرب، فاستخرجوا له أدلة، وعللا، وغالوا في ذلك[8]، فكان " مما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث "[9]. وكان أن هجم ابن الأثير عليها فقال: "هذه الأدلة واهية، لا تثبت على محك الجدل"[10]. حسنا فمن الذي دعا ابن الأثير إلى أن يعلل فيقول: "وذلك أن الأسماء أقوى من الأفعال"[11]. وغير هذا لديه[12]. ولم يكفه هذا الإضطراب بل مضى في هجومه فقال: "من أين علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع إلى رفع الفاعل ونصب المفعول

١- الأيتان ٢١، ٢٢من سورة مريم.
٢- المثل السائر، ١/ ١٦٤
٣- المؤمنون، ١٤.
٤- ينظر ابن ابي الحديد:الفلك الدائر (الطبعة الثانية-الرياض ١٩٨٤م) ٢٤٤-٢٤٧.
٥- ينظر ابن هشام:مغني اللبيب(طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد)١/ ٥٦،وينظر السيوطي: همع الهوامع ١/ ١٣٠.
٦- ينظر أحمد عبد النور المالقي:رصف المباني في شرح حروف المعاني ص١٧٤،ص٣٧٧.
٧- عبد القادر حسين:أثر النحاة في البحث البلاغي ص٢٨٢.
٨- ينظر مازن المبارك:النحو العربي،العلة النحوية: نشأتها وتطورها ص٦.
٩- ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة ص١٣٠.
١٠- المثل السائر، ١/ ٧١
١١- الجامع الكبير، ص٨٧
١٢- ينظر نفسه، ص٦٠-٦١

هي التي ذكروها[1]. وهذا التعليل يدلل أيضا على قصور اطلاعه على أن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت واقع كلامها، وقام في عقولها عللها، وإن لم ينقل ذلك عنها واعتللت أنا بما عندي..فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته فليأت بها[2] على أنني مع ابن الأثير في هجومه على العلل لولا اضطرابه وقصور اطلاعه!

٥. في الضمائر:

توهم ابن الأثير في بعض مباحثه أنه تناول موضوع الضمائر على نحو لم يتناوله النحاة، فقال: إن قيل في هذا الموضوع إن الضمائر مذكورة في كتب النحو، فأي حاجة إلى ذكرها ههنا ولم نعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته؟ قلت: إن هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يتعرضون إليه، وإنما يذكرون عدد الضمائر، وإن المنفصل منها كذا، والمتصل كذا، ولا يتجاوزون ذلك، وأما أنا فإني أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الأمر النحوي، وإعني بقولي (توكيد الضميرين) توكيد المتصل بالمنفصل..أو يؤكد المتصل بمتصل مثله[3].

أقول: إن هذه الجوانب التي زعم ابن الأثير أنها لم ترد في كتب النحاة لايخلو منها كتاب[4]، وفصلوا فيها كثيرا اللهم إلا الأمثلة التي أوردها، وقد خلط فيها أيما تخليط !.

فمن أمثلته في توكيد المنفصل بالمنفصل قول أبي تمام:

لا أنت أنت ولا الديار ديار[5].

ومن أمثلته في توكيد المتصل بالمتصل[6] قوله تعالى في الكهف: ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبراً.

١- المثل السائر، ١/ ٧١
٢- الزجاجي:الإيضاح في علل النحو ص٦٦.
٣- المثل السائر، ٢/ ١٩
٤- يصعب أن أشير إلى كتاب لم يتناول هذه المباحث فضلا عن الكتب التي تناولتها.
٥- المثل السائر، ٢/ ٢٣
٦- نفسه، ٢/ ٢٠

وواضح أن المثالين خارجان عن التوكيد، وقد نبه ابن أبي الحديد على هذا[١].

٦. في صيغة المبالغة:

ذهب ابن الأثير إلى تخطئة من قال:

وحش حرب مقدم متعرض   للموت غير مكذب حياد

فقال: "فلفظة حياد...قصد بها المبالغة...فانعكس عليه القصد....لأن حيادا من حيد..أي وجد منه الحيدودة مرارا..وإذا كان الرجل غير حياد كان حائدا، أي وجدت منه الحيدودة مرة واحدة، وإذا وجدت به مرة كان جبنا..والأولى أن كان قال غير مكذب حائد"[٢].

وانطلق ابن أبي الحديد من قوله تعالى: "وما ربك بظلام للعبيد"[٣]. ليناقش ابن الأثير في فهمه القاصر فيقول له إن معنى الآية على وفق ما ذهب إليه "أنه يظلم العباد ظلما قليلا"[٤] فالمعنى واضح وهو المبالغة في النفي في المثالين وغيرهما من الأمثلة التي ساقها ابن أبي الحديد[٥]. ليصل إلى أن العرب إذ استعملت هذه اللفظة في النفي فإنهم لا يعنون بلفظ فاعل فقط"[٦]. فلم يستطع أن يفرق بين استعمال صيغة المبالغة واستعمال اسم الفاعل[٧].

٧. في المثنى والجمع:

وينقد ابن الأثير أبا الطيب على قوله:

وتكرمت ركباتها عن مبرك   تقعان فيه وليس مسكا أذفرا

١- ينظر الفلك الدائر، ص٢١٣ـ ٢١٥
٢- المثل السائر، ٢/ ٦٢
٣- سورة فصلت، ٤٦
٤- الفلك الدائر، ص٢٤٨
٥- ينظر نفسه، ص٢٤٨ـ٢٤٩
٦- نفسه، ص٢٤٩
٧- ينظر فاضل السامرائي: معاني الأبنية في العربية ص٤٦، ص ١٠٥.

فقال: "فجمع في حال التثنية، لأن الناقة ليس لها إلا ركبتان، وهذا من أظهر ظواهر النحو.."[1]! وفات ابن الأثير، وابن أبي الحديد[2]، أن مثل التعبير ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: (فقد صغت قلوبكما)[3]، ومثل هذا كثير عند العرب[4]. ثم كيف يحتج بأن "هذا من أظهر ظواهر النحو" وهو القائل إن الجهل بالنحو لا يقدح بفصاحة ولا بلاغة!!

٨. في التقديم والتأخير

يتوكأ ابن الأثير على النحو في بحثه التقديم والتأخير وإن ادعى أن له "تقديما وتأخيرا في الكلام، ولا يتعلق بالنحو[5]"، أو "منها ما استخرجته أنا[6]". وقد درس صورا منه اتضح لنا فيها نظرته القاصرة.

رأى ابن الأثير التقديم والتأخير ضربين:

"الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى، والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر، لاختصاصه مما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى[7]".

فمرة يكون التقديم هو الأبلغ، فتناول: تقديم المفعول على الفعل، وتقديم خبر المبتدأ عليه، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل.

"فأما تقديم المفعول على الفعل كقولك: زيدا ضربت... تخصيصا له بالضرب دون غيره[8]". فهذا مبحث درسه النحاة جميعا، والمفسرون، وعلماء البيان، المتقدمون والمتأخرون وليس لابن الأثير ما ينماز به منهم، ولم يوفق ابن أبي الحديد في رده[9].

١- المثل السائر، ص١/ ١٨
٢- ينظر الفلك الدائر، ص٤٢-٤٣
٣- سورة التحريم، ٤
٤- ينظرأحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، ص٣٤٩
٥- الجامع الكبير، ص١٠٨
٦- المثل السائر، ٢/ ٣٨
٧- نفسه، ٢/ ٣٨، وينظر الجامع الكبير، ص١٠٩
٨- المثل السائر، ٢/ ٣٨
٩- ينظر الفلك الدائر، ص٢٢٨

وأما "تقديم خبر المبتدأ عليه... كقولك قائم زيد"[1]. فيجد أنه يغير المعنى، "وأثبت له القيام دون غيره"[2]، والأمر ليس على ما يراه ابن الأثير لأمرين:

١. من النحاة من يرى أن ليس هنا تقديم وتأخير حين يكون المبتدأ وصفا غير معتمد على نفي أو استفهام وهذا مذهب الأخفش والكوفيين[3].

٢. أن الخبر المقدم لا يعني الاختصاص ما دام منكرا إلا إذا صار معرفة بالألف واللام، فتقول: (القائم زيد) وهذا رد ابن أبي الحديد[4].

وأما تقديم الظرف[5]، أو الحال[6]، أو المستثنى على المستثنى منه[7]، فلا بد أن يضيف إلى الجملة معنى غير ما هي عليه قبل التقديم، وهذه مباحث تناولها الدرس النحوي أو ذكر طرفا منها، فليس في تقديم الظرف جديد نظر، ولم يرد إلا في شواهد معدودة، عد كلامه فيه لغوا[8]، وتقديم المستثنى على المستثنى منه لم يجئ إلا في الشعر[9]، على أن ابن جني سبقه إلى القول بهذا[10]. إن هذه المباحث لم تخلص إلى جديد.

١- المثل السائر، ٢/ ٣٨، ٤١

٢- نفسه، ٢/ ٣٨، وينظر الجامع الكبير، ص١٠٩

٣- ينظر شرح ابن عقيل (الطبعة الرابعة عشرة) ١/ ١٩٢.

٤- ينظر الفلك الدائر، ص٢٣٣

٥- ينظر المثل السائر، ٢/ ٤٣

٦- ينظر نفسه، ٢/ ٤٤

٧- ينظر نفسه، ٢/ ٤٤

٨- ينظر الفلك الدائر، ص٢٤٣

٩- ينظر شرح ابن عقيل، ١/ ٦٠١

١٠- ينظر الخصائص، ص٣٨٢

المبحث الثاني: نظرات صائبة

ولابن الأثير نظرات صائبة في مباحث نحوية أخرى دخل إليها من (علم المعاني)، أي رأى فيها فرقا في التعبير، فنظر إليها من جهة أنه من علماء البيان فوفق فيها، ونوردها على الوجه الآتي:

١. الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية[1] والفرق بينهما:

فقال عنهما: "وإنما يعدل عن أحد الخطابين بين إلى الآخر لضرب من التأكيد المبالغة"[2]. وانطلق في أمثلة من القرآن الكريم يحلل الفرق بينهم بأسلوب رائع يشكل إضافة تطبيقية لما أتى به عبد القاهر الجرجاني في هذا الجانب[3]، فضلا عن افتقاد كتب النحاة لمثل هذا التوجه! وإن قيل فيه إن "دراسته الأولى في المثل أوفى من الثانية الموجزة"[4].

٢. الحذف:

رأى ابن الأثير أن الإيجاز نوعان "أحدهما الإيجاز بالحذف.. والقسم الآخر ما لا يحذف منه شيء"[5]. ورأى أن "الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف"[6]. وهذا هو المبدأ في الحذف عند جميع الدارسين ومنه:

١- ينظر المثل السائر٢/ ٥٤، وينظر الجامع الكبير ص ٢٢٤.
٢- المثل السائر، ٢/ ٥٤
٣- ينظر دلائل الإعجاز، ص١٧٤ـ١٧٥
٤- دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير ص٩٩.
٥- المثل السائر٢/ ٧٨، ويسمي ابن الأثير الإيجاز بالحذف في كتابه (المفتاح المنشأ في حديقة الإنشا) ب(الإشارة) ص٤٣.
٦- المثل السائر، ٢/ ٨١

أ. حذف الجمل:

وقال عنه: "ينقسم إلى قسمين...أحدهما: حذف الجمل المفيدة..والقسم الآخر: حذف الجمل غير المفيدة"[1]. ولا أدري لم خلط بينهما!

ومن وجوه الحذف عنده:

١) حذف السؤال المقدر ويسميه الاستئناف[2]، وذلك إما:

أ. بإعادة الأسماء والصفات:

أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان.

أو أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك.

ب. بغير إعادة الأسماء والصفات:

كقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين.. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)[3].

٢) الاكتفاء بالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب[4]: فالأول كقوله تعالى: (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر)[5].

والثاني: كقوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)[6].

٣) الإضمار على شريطة التفسير[7]:

ويأتي على ثلاثة وجوه:

أـ أن يأتي على طريق الاستفهام فقد ذكر الجملة الأولى دون الثانية كقوله تعالى

١ - نفسه، ٢/ ٨٢
٢- نفسه، ٢/ ٨٢
٣- سورة البقرة، ١
٤- المثل السائر، ٢/ ٨٣
٥- سورة القصص، ٤٤
٦- سورة النحل، ٩٨
٧- ينظر المثل السائر، ٢/ ٨٥

(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين)[1]. ويدل على المحذوف قوله (فويل للقاسية قلوبهم).

ب ـ ويرد إلى حد النفي والإثبات.

ج ـ أن يرد على غير الوجهين المذكورين أي ما لا يكون استفهاما ولا نفيا، وإثباتا. وللتفصيل ينظر المثل السائر ٢/ ٨٦.

٤. خلاف ما تقدم[٢].

ب. حذف المفردات:

واشتمل على أربعة عشر ضربا[٣] نذكر منها:

١. حذف الفاعل بدلالة ذكر فعله:

وهذه نظرات جديرة بأن يتوسع فيها النحاة وإن أثارت ضد ابن الأثير اعتراض ابن أبي الحديد[٤] ومحققي المثل السائر[٥] مع أن الكوفيين يرون حذف الفاعل في موضع غير هذا[٦]، وقد تمثل بقوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق)[٧]، وبقول حاتم الطائي:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يريد (النفس) وإن لم يجر ذكرها. وأنا مع ابن الأثير في حذف الفاعل في المواضع التي عوض لها وفي ما يشبهها، وعلى النحاة أن يدرسوا هذا في (الفاعل) بروح بيانية.

١- سورة الزمر، ٢٢

٢- ينظر المثل السائر، ٢/ ٨٧

٣- ينظر نفسه، ٢/ ٩١

٤- ينظر الفلك الدائر، ص٢٥٨

٥- ينظر المثل السائر(تحقيق الحوفي وطبانة) هامش ١، ٢/ ٩٢.

٦- ينظر شرح ابن عقيل،٢/ ٥٥٠

٧- سورة القيامة، ٢٧

٢ـ حذف الفعل[١]:

يرى ابن الأثير "أن الفعل يحذف على وجهين:

أ- بدلالة المفعول كقولهم في المثل: أهلك والليل.

وكقوله تعالى(ناقة الله وسقياها)[٢]،في باب التحذير.

إن الزاوية التي نظر منها ابن الأثير جديدة على البحث النحوي الذي عالج حذف الفعل في باب الأغراء والتحذير ولكن ليس بهذه الدلالة، واعتراض ابن أبي الحديد شكلي لا قيمة له[٣].

ب- ما لا يظهر فيه قسم الفعل لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه، بل يظهر بالنظر إلى ملائمة الكلام وهذا اللون موجود في القرآن الكريم بكثرة كقوله تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)[٤]وهذا ما يحتمله التفسير للإيضاح. واعتراض ابن أبي الحديد هنا كاعتراضه هناك[٥].

٣- حذف المفعول به[٦]:

يحذف المفعول به ـ عند ابن الأثير ـ حين لا يتعلق المعنى به لأنه "خارج عن الغرض"[٧] ومثل لهذا بآيات من القرآن الكريم، وبالشعر. ونظرته هذه جميلة يمكن للدرس النحوي أن يعززها فتقول مثلا:

إن الفعل (أعطى) الذي أطلق عليه (الفعل المتعدي) أو(الفعل الواقع أو المجاوز) ورد في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه:

أ- قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر)[٨]. تعدى هنا لمفعولين.

١- ينظر المثل السائر، ٢/ ٩٣
٢- سورة الشمس، ١٣
٣- ينظر ابن أبي الحديد، ص٢٨٠
٤- سورة الأحقاف، ٢٠
٥- ينظر الفلك الدائر، ص٢٦١
٦- ينظر المثل السائر، ٢/ ٩٧
٧- ينظر نفسه، ٢/ ٩٧
٨- سورة الكوثر، ١

ب-وقال (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[1]. تعدى هنا لمفعول واحد.

ج- (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)[2]. هنا عومل معاملة اللازم لعدم تعلق المعنى بالمنصوب، فلو أردنا للدرس النحوي في هذا الباب التوسع والاستقصاء لكان علينا أن نستكمل هذه الصور جميعا لتجمع النحو والبيان في درس واحد.

٤. أما موضوعات الحذف الأخرى:

كحذف المضاف أو المضاف إليه، وإقامة كل منهما مقام الآخر[3] وحذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر[4]، وحذف الشرط وجوابه[5]، والقسم وجوابه[6]، وحذف (لو)، وحذف جواب (لو)[7]، وجواب (لما) و (أما)[8]، وجواب (إذا)[9]، وحذف المبتدأ والخبر[10] وحذف (لا)، و(الواو)[11].

فجديدة فيها أمثلته وأنه نظر إليها نظرة أسلوبية يفتقر إليها الدرس النحوي في عصور جموده، ففضله بعث تلك النظرات من خلال التطبيق الذي اختار فيه أعلى الكلام وأفصحه، ولأنه يقول في هذا عبارة تدلل على أن الموضوعات نحوية وأنّ كتب النحو قد تكفلت بها: "اعلم أن الجائز من هذا القسم، وغير الجائز إنما يؤخذ من كتب النحو"[12].

١- سورة الضحى، ٥
٢- سورة الليل، ٧
٣- ينظر المثل السائر، ٢/ ٩٩
٤- ينظر المثل السائر، ٢/ ١٠٠
٥- ينظر المثل السائر، ٢/ ١٠٤
٦- ينظر المثل السائر، ٢/ ١٠٥
٧- ينظر المثل السائر، ٢/ ١٠٨
٨- ينظر المثل السائر، ٢/ ١٠٩
٩- ينظر المثل السائر، ٢/ ١٠٩
١٠- ينظر المثل السائر، ٢/ ١١٠
١١- ينظر المثل السائر، ٢/ ١١٠-١١١
١٢- الجامع الكبير، ص١١٨

خاتمة

وبعد:

فهذا جهد ابن الأثير في النحو، كان في شطره الأكبر لا يرى النحو إلا حركات الإعراب واستخف بالنحاة كثيرا وفصل النحو عن البلاغة، واضطرب موقفه في مواضع عدّة، إلا أنه وفق في نظراته الأخرى وأعطى للموضوعات النحوية روحا، حين نظر إليها من جهة البيان، مما تستدعي الحال أن يعود (علم المعاني) وهو (معاني النحو) بل روحه ليعود إلى النحو وجهه المشرق على ما جاء به الأوائل: الخليل وسيبويه والفرّاء وعبد القاهر الجرجاني في (دلائله).